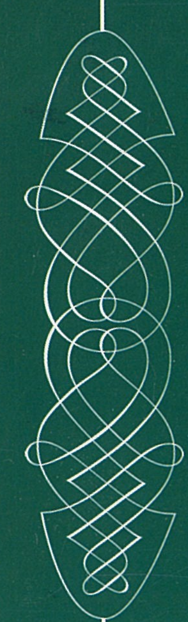


رحلة الدجال الناعمة

قصة التفاهة... من السوفسطائية إلى ما بعد الحداثة

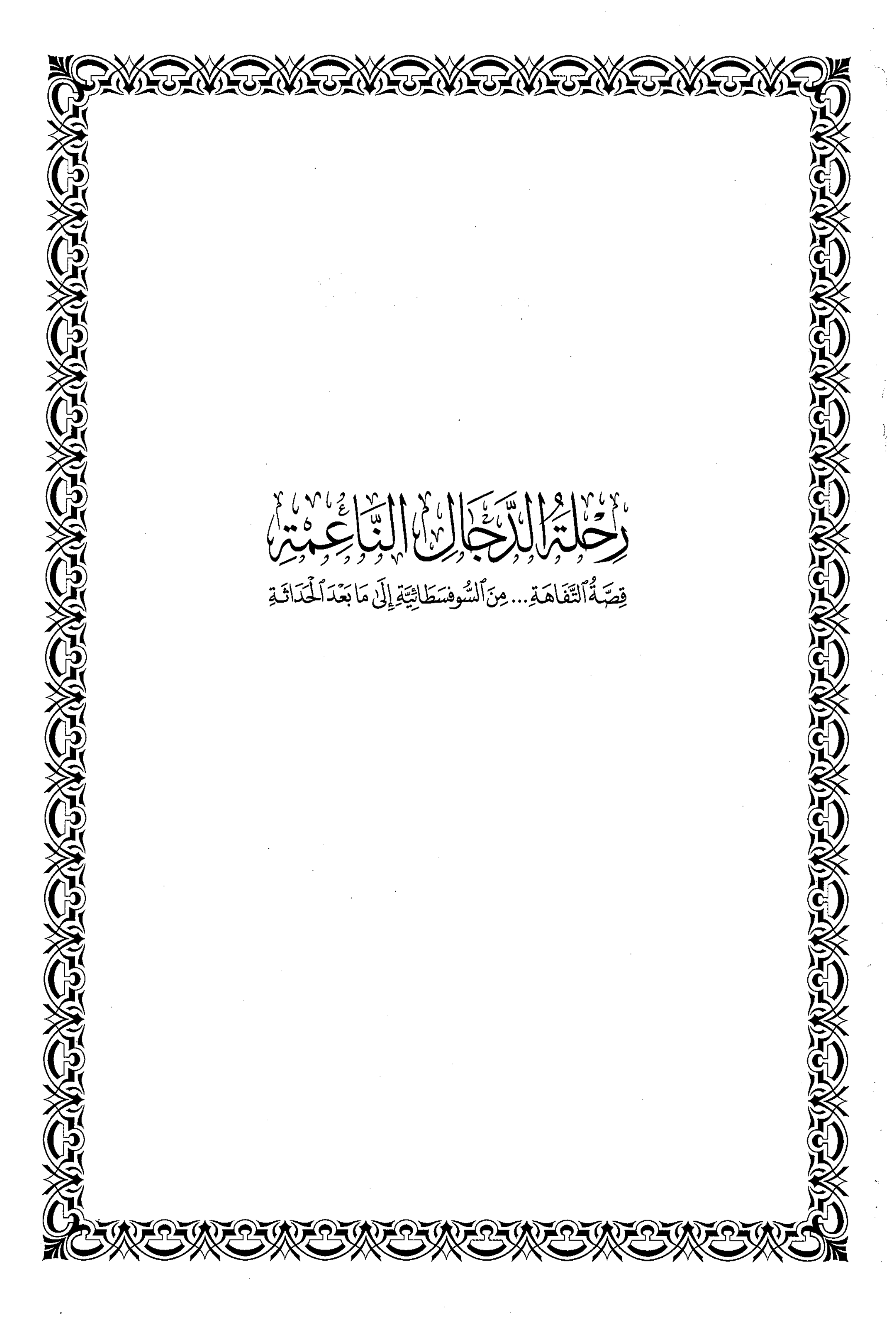




تأليف

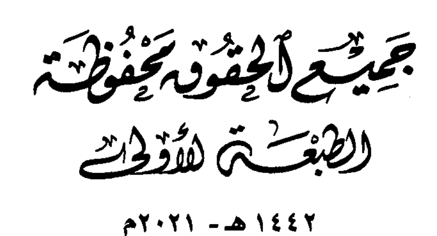
عبد اللطيف عمر المحيمد





رِحلةُ الدَّجالِ النَّاعِمةِ

قِصَّةُ التَّفاهةِ... مِنَ السُّوفسطائيَّةِ إلى ما بعدَ الحداثةِ



١٤٤٢ هـ - ٢٠٢١م



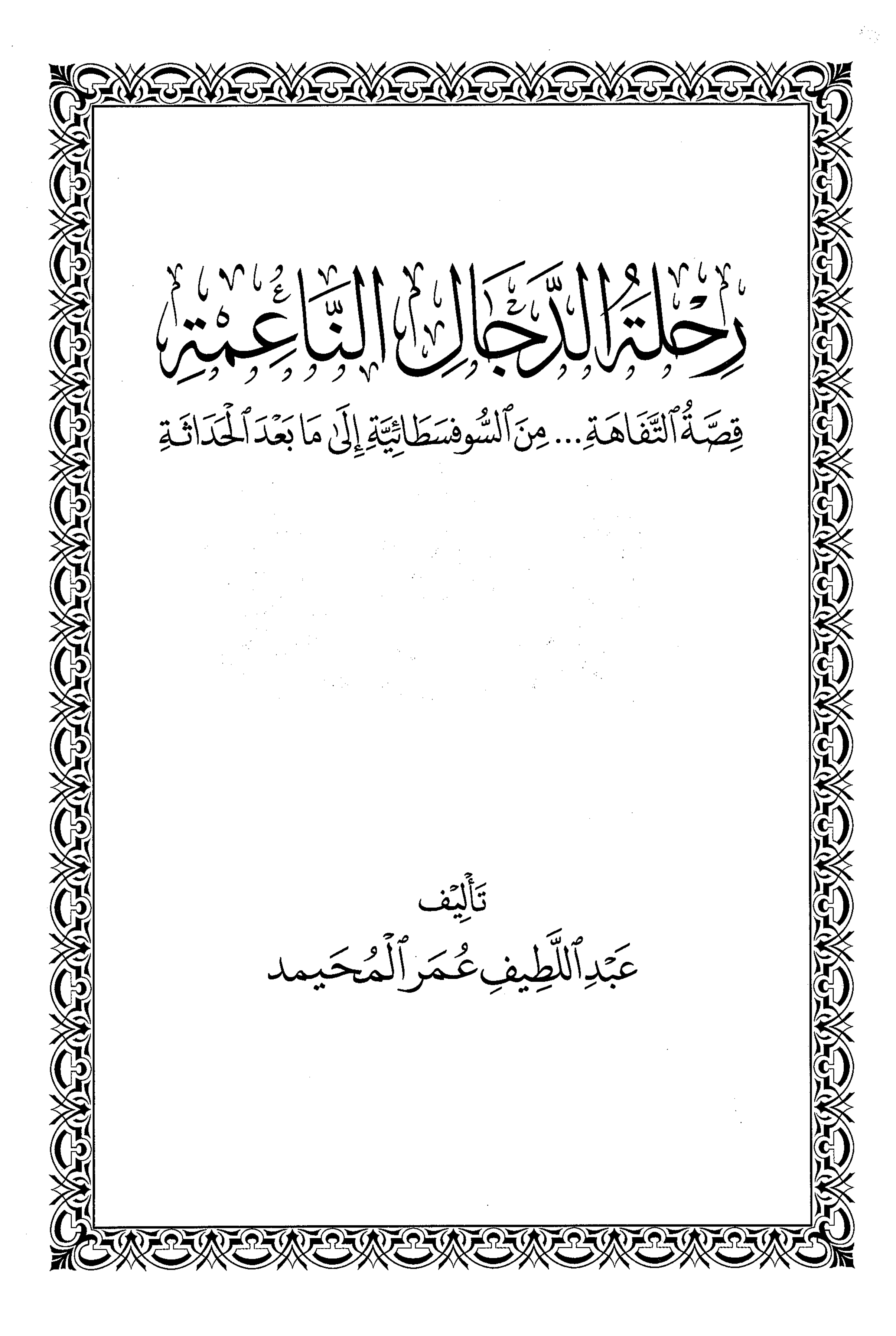
شركة مركز دار فارس للدراسات والبحوث
الخط الساخن: ٠٠٩٦٥٦٠٩٠٨١٩٥
E.mail: dar.fares123@gmail.com

الموزع المعتمد



مكتبة أهل الأثر
للنشر والتوزيع

الكويت - حولي - المثنى
الخط الساخن: ٠٠٩٦٥٦٦٥٥٤٣٦٩
E-Mail: ahel_alather@hotmail.com

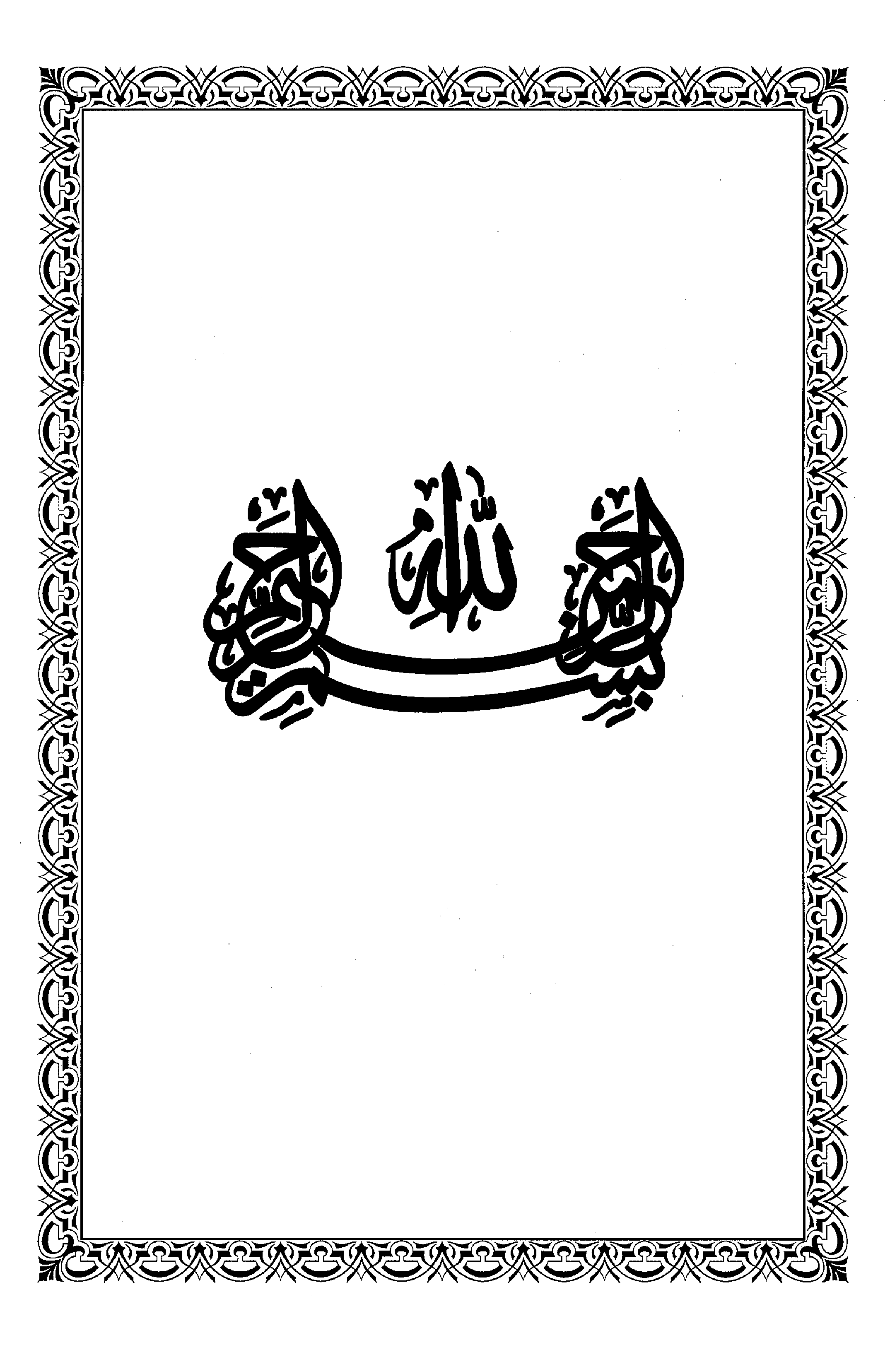


رحلة الدجال الناعمة

قصة التفاهة... من السوفسطائية إلى ما بعد الحداثة

تأليف

عبد اللطيف عمر المحيمد


بسم الله الرحمن الرحيم

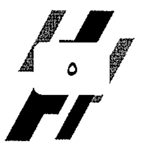
الإهداء..

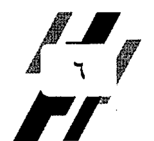
إلى شبابِ الأمَّة:

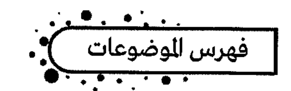
لا تكونُوا عَوْنَاً لأعدائِنا علينا..

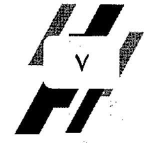
ولا تسمَحوا للتَّفاهةِ أن تأكُلَ عقولَكُم الَّتي زَيَّنَكم اللهُ بهَا..

فهرس المحتويات

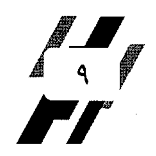


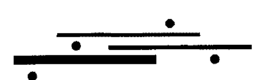



فهرس الموضوعات











بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهديه، واستنَّ بسنته إلى يوم الدين..

أما بعد:

فإن كانت بعض الميليشيات المتطرفة هنا وهناك تقاتل وتقتل الأبرياء من الناس في سبيل خروج مهديهم ومنتظرهم المزعوم من سردابه، فإن ميليشيات الإلحاد والعلمنة والحداثة وما بعدها تفتن جاهدة في سبيل إخراج الدجال من دهاليزه وحضيضه، ليبتلع العالم المؤمن والمتدين بكفره وزيفه وباطله، وبقواه الناعمة في إضلال الخلق عن خالقهم.

فنحن أمام سيفين، أجملهما حاد وقاتل، إلا أن العدو الذي يأتيك بوجهك، خير من العدو الذي يأتيك من ظهرك، وبالتالي فإن العدو الذي يجاهر بعداوتك، ويقاتلك عياناً، أهون ممن يدعي صداقتك وقربك والتودد إليك، ثم يغدر بك على حين غفلة.

وهذه حالنا، فالتفاهة (الدجال الناعم) أسوأ بمراحل من جميع أعدائنا الذين يتربصون بنا الدوائر، لأن حالنا معه كالمفتون في آخر الزمان الذي يلقي نفسه في جنة الدجال، يخالها جنة حقيقية، وإذا بها نار ملتهبة، أو كالفراش الذي يلقي بنفسه في النار يعتقد نجاته فيها.

وليس للعلماء والدعاة طاقة ليعتزلوا هذه الحياة بغنيمات في شعف الجبال، ويتركوا بقية الناس يجدون من جحيم الدجال ما يجدون، فعليهم الأمر بالمعروف والتنبيه له، والنهي عن المنكر والتحذير منه، وإلا هلكوا وهلك الناس.

ولأنه صراع أبدي بين الحق والباطل، وبين الخير والشر، وبين النور والظلمة، وبين (الله) والشيطان، فإننا نحمد الله حق حمده أن جعلنا في صفه، سيفاً في خاصرة الشيطان،



ودعاة على أبواب الجنان، لا الجحيم والنيران، وعلينا واجب عظيم وكبير في بيان الحق، وفضح الباطل للناس، لأنه جزء من إقامة الحجة على الخلق، حتى لا يكون لهم حجة على الله بين يديه.

ولا أعرف بماذا أبدأ.. إنني عشت وأعيش -أثناء جمع مادة الكتاب- في عالم كامل من التفاهة، أشعر بالقرف حقيقة وأنا أكتب ما أكتب، أخجل أن وصلت بنا الحال للكتابة في مثل هذه المواضيع، وأن ننشغل بها باذلين الكثير من وقتنا في ملاحقتها، بعيداً عن كتاب الله تعالى، وكتب أهل العلم، وأن ننبه أجيال الأمة على هذه الأشياء التي ما كانوا ليعطوها بالاً لولا هذا العصر الذي يحار فيه الحليم..

شعرت بالقرف وأنا أركض بين مئات مقاطع الفيديو للتافهين والتافهات في الفيسبوك، واليوتيوب، والتليغرام، وتويتر، وسناب شات، والتيك توك، والكتب، وعالم السوشل ميديا بشكل عام، وكمية (القرف) الذي تحتويه، والذي تحول لظاهرة شغلت المفكرين والكتّاب..

أخجل وأنا أكتب سطوراً في ضياع البشرية وانحطاطها..

أخجل وأنا أقرر البديهيات والواضحات التي ما خطر ببال أحدنا أن يلتفت إليها في يوم من الأيام، فمن كان يخطر بباله أن تصير التفاهة شيئاً له قيمة، ويشار إليها، وتصرف عليها الأموال الطائلة، والأوقات الكثيرة، والساعات الطويلة..

ولكن..

هو قهر الرجال وجهد البلاء، وواجب نضعه عن عاتقنا، وذمة نبرئها أمام الله تعالى يوم القيامة..

عبد اللطيف عمر المحيمد

٩/ ١/ ٢٠٢٠م



تمهيد وتوطئة

لأن الأمة هي الشباب..

فـلا شك -يا شباب- أنكم محـور هذا الكتاب، والشريحـة المستهدفة به، لا لشيء، إلا لترجعوا وتأخذوا دوركم المنوط بكم في خدمة هذا الدين وهذه الأمة، وإعلاء رايتها وشأنها، ولاشك أنكم تدركون جيداً أهمية هذه المرحلة الزمنية من أعماركم، لأنها مرحلة القوة، ولأن الشارع الحكيم اهتم بها وركز عليها..

قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اغتنم خمساً قبل خمس، شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك**»(١)، وقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (**اغتنم**) يدل على وجوب الاهتمام بهذه الأشياء لأنها محور مهم في تحديد النجاة يوم القيامة، والنبي لا يقول مثل هذا الكلام إلا لشيء من الأهمية بمكان، وهو يلمح ويهمس في أذان الشباب المسلم ويقول لهم من خلال الحديث (**كونوا جادين، لا تكونوا تافهين**)..

ويقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث آخر: «**لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يسأل عن خمس: عن عمره فيم أفناه، وعن شبابه فيم أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وماذا عمل فيما علم**»(٢)، وهذا الحديث كسابقه في التنبيه على وجوب تنبه الشباب للأمور التي لا تعوض في حياتهم كالشباب والعمر والمال والعلم، فالله سيسألك يوم القيامة

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان برقم: ١٠٢٤٨، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ١، ١٤١٠هـ، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، ٧/ ٢٦٣.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب: صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، باب في القيامة، برقم: ٢٤١٦، دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ٤/ ٦١٢.



عن حياتك من أولها إلى آخرها؛ كيف قضيتها؟ وبأي شيء قضيتها؟

ويسألك عن شبابك أيضاً، ومع أن الشباب عموماً داخل في الحياة والعمر، إلا أن تخصيص النبي لذكر الشباب لأهميته، ولما فيه من نشاط وقوة، ويسر حركة، وغيرها من الصفات التي للشباب لا لغيرهم..

وروي عن حفصة بنت سيرين أنها قالت: «يا معشر الشباب: خذوا من أنفسكم وأنتم شباب، فإني والله ما رأيت العمل إلا في الشباب»[1]، فأنسب الأوقات للعمل والعلم والجد هو وقت الشباب..

وقد مدح الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الشباب في القرآن الكريم فقال: ﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴾ [الكهف: ١٣]، فانظر كيف وصفهم بالفتية، وقرنه بالإيمان، والهدى..

كما نقل أن الحسن بن علي بن أبي طالب كان ينظر مرة إلى شباب فقال لهم: «يا معشر الشباب، أما تشتاقون إلى الحور العين؟»[2]، وهذا يدل على أن الشباب هم أهل الجهاد والعمل والدفاع عن الأمة..

ومن جميل الكلام عن الشباب، ما روي عن الحسن البصري رحمه الله تعالى أنه قال: «يا معشر الشباب عليكم بالآخرة؛ فاطلبوها، فكثيراً رأينا من طلب الآخرة فأدركها مع الدنيا، وما رأينا أحداً طلب الدنيا فأدرك الآخرة مع الدنيا»[3]، ومعنى كلامه أن يكون هم الشاب المسلم رضا الله تعالى لا جمع الدنيا والاهتمام بها على حساب آخرته..

(١) أورده ابن الجوزي في صفة الصفوة، دار المعرفة، بيروت، ط: ٢، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م، تحقيق: محمود فاخوري، محمد رواس قلعه جي، ٤/ ٢٤.

(٢) أورده ابن القيم في حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، دار الكتب العلمية، بيروت، ص: ١٦٣.

(٣) أخرجه البيهقي في الزهد الكبير، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط: ٣، ١٩٩٦م، تحقيق: عامر أحمد حيدر، ص: ٦٥.



قدمت بهذه المقدمة حول الشباب وأهميته، لأن الأمة -للأسف- بدأت تُطعن من قبل شبابها، الذين من الواجب أن يكونوا خط الدفاع الأول في حمايتها من أعاصير الفتن، وزلازل الشبهات.

وماذا يبقى في الأمة إن فسد الشباب، وذهبت ريحهم!؟

وكيف يرضى الشباب أن تؤتى الأمة من قبلهم، وأن يكونوا شركاء لأعدائنا في توهينها وإضعافها؟

لابد أن يرجع شباب الأمة إلى سالف عهدهم في الحفاظ على الأمة وصيانة ثوابتها وأصولها..

ولأن الموضوع يبدو غريباً نوعاً ما، إلا أنني وأثناء جمعي لمادتي كتابي، أدركت أن الأمر أخطر مما كنت أتصوره، أخطر بكثير، فالأمة تسير إلى نفق مظلم..

إنها التفاهة أيها الإخوة!!

وهل تصور أحدكم أن مختصاً بعلوم الشريعة قد يبذل أسابيع وشهوراً من حياته في الكتابة عن هذا الموضوع، أما أنا فأقول: نعم، بل إنني أزعم أنه من أهم المواضيع التي يجب التركيز عليها، وبث الوعي بين الشباب بخطورتها، وأنه إن شارك فيها؛ فإنه شريك بقتل هذه الأمة..

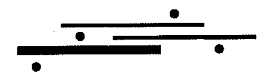
وإنني أزعم أن أخبث عدو يهدد كيان الأمة من داخلها اليوم ليس هو الإلحاد، لأنني أرى أنه ما زال في طور الشهوانية والمرض النفسي في أمتنا، ولست أقلل من شأنه، فإنه جريمة بحق النفس وبحق الله تعالى، إذ كيف يجرؤ بشر على النيل من مقام الألوهية بالإنكار والجحود! ولكن الإلحاد.. وإن كان خطراً ويجب التنبه له وتحذير الأمة منه وتجفيف منابعه وأسبابه، ومعالجة أصحابه وإزالة الشبه عن عقولهم، إلا أن خطر التفاهة أشد بكثير لأنه تحول

إلى ظاهرة منتشرة في كل مكان وزاوية وبرنـامج، إضافة إلى أن الإلحـاد هو من مفرزات التفاهة، ونتيجة من نتائجها...

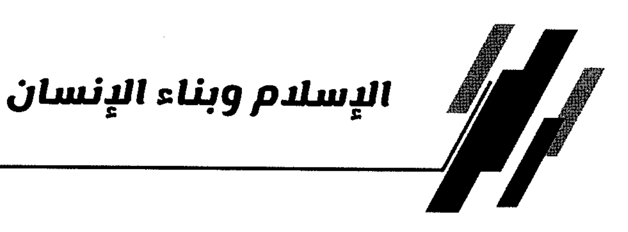
وكذلك فإن التفاهة أخطر من العلمانية وتفريخاتها، لأن هذه الأشياء وإن تركت أثراً في الأمة إلا أن الأمة تجاوزتها، وأفل نجمها، بعد الأثر السيء الذي تركته على الأمة هنا وهناك، أو أن الأمة -على الأقل- كسرت شوكتها، وكشفت زيفها..

إن التفاهة هي أصل وجذر وأساس تلك المفاهيم -أعني العلمانية والحداثة- أو قل: هي أثر من آثارها التي تركتها في الأمة، وبين شبابها، إلا أنني أرى أن هذا الأثر بدأ يتفاقم وينال من هيبة الأمة، من خلال زرع التفاهة بين في كل شيء، ففيها تهوين من عزم الأمة..

وحتى لا أطيل عليكم بالمقدمة والتمهيد، فإن الموضوع معقد ومتشعب، يصعب حصره في بحث معين، فأترككم مع هذا الكتاب لعله يكون وخزة أو وكزة في صدور شباب الأمة كي يستفيقوا من هذا الضياع الذي يعيشونه ويمرون به..







وردت نصوص كثيرة عن النبي ﷺ فيها الإشارة إلى أن التفاهة ستسيطر على الناس في زمن من الأزمان، بشقيها: السلطوي، والمجتمعي، ونقصد بالسلطوي أن يتسلط على الأمة حاكم أو متكلم تافه، يعمل على إنشاء جيل تافه بسياساته وقوانينه، بينما يهتم هو بسفاسف الأمور، فتجتمع الأمم على نهبها وسلب خيراتها..

ونقصد بالمجتمعي أن يتحول الشعب في زمن من الأزمان إلى شعب تافه، ومجتمع تافه، جل اهتماماته تتعلق بالأشياء الخسيسة والضحلة، والتي لا قيمة لها شرعاً وعرفاً.

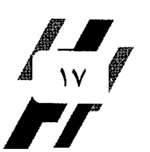
وقد أخبر النبي ﷺ أن الأمة موعودة بزمن أو أزمان يتسلط فيها حكام تافهون، يتكلمون باسم الأمة، وبلسانها، وهذه الأزمان هي السنون الخداعة التي يصدق فيها الكاذب، ويكذب فيها الصادق، ويخون فيها الأمين، ويؤتمن فيها الخائن، والتي ينطق فيها الرويبضة، وهو التافه الذي يتكلم بأمر العامة[1].

فأخبر أن التافه سيقدم بين الناس، ويصبح متكلماً باسم الأمة، ولاشك أن هذه الأزمان لا يمكن أن توجد إلا في زمن الضعف والانهيار والانحطاط، وتضييع المبادئ، لأن الشريعة الإسلامية بمصدريها الكتاب والسنة أكدا على أن المسلمين لا يمكن أن يرضوا بأن يتولاهم تافه وسفيه، فالأصل في الشريعة الإسلامية أن يكون المسلم جدياً في كل أموره، حازماً..

كما وردت إشارات أخرى؛ كما في الحديث، وفيه أن النبي ﷺ قال لكعب بن عجرة: «**أعاذك الله يا كعب من إمارة السفهاء**»، قال: وما إمارة السفهاء يا رسول الله؟ قال: «**أمراء يكونون من بعدي، لا يهتدون بهديي، ولا يستنون بسنتي، فمن صدقهم بكذبهم**

---

(١) أخرجه ابن ماجة في سننه، كتاب الفتن، باب فتنة المال، برقم: ١٣٤٠، ٤/ ١٢٠.



وأعانهم على ظلمهم؛ فأولئك ليسوا مني ولست منهم، ولا يردون على حوضي، ومن لم يصدقهم بكذبهم ولم يعنهم على ظلمهم؛ فأولئك مني وأنا منهم، و يردون على حوضي»[1]..

وجاء في حديث أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لا تقوم الساعة حتى يقود كل قبيلة منافقوها**»[2]..

ولذلك كله فالأمة أحوج ما تكون اليوم إلى صناعة قادة جادين، واستبدالهم بالقادة التافهين الذين أنهكوا الأمة، واستفرغوا طاقاتها في الأمور العبثية التي لم نحصد منها فائدة، فقد فشلوا في كل المجالات الحياتية، تعليمياً وثقافياً واقتصادياً واجتماعياً، بل إنهم كانوا يتعمدون هذا الفشل، ويعملون على زرع الجهل والفقر والتفرق بين أبناء الأمة، خدمة لنظام التفاهة العالمي، الذي تقوده ميليشيا عالمية تشرف عليها كبرى الدول..

وجاء في الحديث الذي يؤكد ما وصلت إليه الأمة من انحطاط وضياع: «**يوشك الأمم أن تداعى عليكم، كما تداعى الأكلة إلى قصعتها**»..

فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟

قال: «**بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن**».

فقال قائل : يا رسول الله، وما الوهن؟

قال: «**حب الدنيا، وكراهية الموت**»[3]..

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، برقم: ٩٣٩٩، ٧/ ٤٦.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، معجم ابن مسعود، برقم: ٩٧٧١، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ط: ٢، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٣م، تحقيق: حمدي السلفي، ١٠/ ٧.

(٣) أخرجه أبو داوود في سننه، برقم: ٤٢٩٩، كتاب الملاحم، باب: في تداعي الأمم على الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، ٤/ ١٨٤.



وهذه نبوءة من النبي ﷺ، ونستفيد منها نظرية الشريعة في الكم والكيف، والتوفيق بينهما، فتركيز الشارع الإسلامي على مسألة الكيف أكثر من الكم، دون إهمال الكم، فالكم إن كان تافهاً فإنه سيكون ضعيفاً، قابلاً للزوال، وهذا ما بينه الحديث في قوله: «**بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل**»..

والكيف إن كان قليلاً فإنه قابل للصمود، وهذا ما حدث في غزوة مؤتة التي قادها ٣,٠٠٠ من الصحابة، أمام جيش الروم، وكان قدره ٢٠٠,٠٠٠، فكمهم كان تافهاً، وكيفنا كان جدِّياً عميقاً، ونعني بالعمق والجدية هنا، حب الموت، وكراهية الحياة الذليلة، وبالتالي حب الجهاد والدفاع عن الإسلام، وحماية بيضته..

والحالة الكاملة للأمة التي يريدها الإسلام، هو توفر الكم، مع توفر الكيف، فقد جاء في حديث عن النبي ﷺ: «**تزوجوا الودود الولود؛ فإني مكاثر بكم الأمم**»[1]، وهذا اهتمام من النبي ﷺ بعدد المسلمين، وأنهم يجب أن يتكاثروا، ليكونوا قوة بشرية أمام بقية الأمم، وأمام الأعداء.

وفي قوله: «**فإني مكاثر بكم الأمم**»، تلميح إلى الكيف، إذ لا يمكن أن يفخر النبي ﷺ بمجرد العدد، دون العدة، وهذا يجمع بين الحديثين، **حديث تداعي الأمم**، وهذا الحديث..

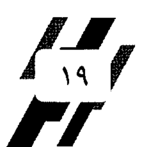
ولأن العبرة بالكيف، لا بالكم؛ فقد جلس أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع أصحابه فقال: تمنوا..

فقال بعضهم: أتمنى لو أن هذه الدار مملوءة ذهباً فأنفقه في سبيل الله.

ثم قال: تمنوا..

---

(١) أخرجه أبو داوود في سننه، كتاب النكاح، باب: النهي عن تزويج من لم يلد من النساء، برقم: ٢٠٥٢، ٢/ ١٧٥.



فقال رجل: أتمنى لو أنها مملوءة لؤلؤاً أو زبرجداً أو جوهراً فأنفقه في سبيل الله، وأتصدق.

ثم قال عمر: تمنوا..

فقالوا: ما ندري يا أمير المؤمنين..

قال عمر: أتمنى لو أنها مملوءة رجالاً مثل أبي عبيدة بن الجراح، ومعاذ بن جبل، وسالم مولى أبي حذيفة، وحذيفة بن اليمان[1].

فلاحظ كيف أن عمر ركز على مسألة الكيف لا الكم، لأن هؤلاء كانوا يجمعون الصفات الخيرية الكثيرة، التي ترفع بهم عن مستوى التفاهة، فهم من هم في خدمة الأمة، وقضاياها.

بل كان السلف يقيسون الرجال بالرجال، فيجعلون بعض الرجال مقابل ألف أو مئة، فعندما حاصر خالد بن الوليد الحيرة طلب من أبي بكر مدداً، فأمده برجل واحد هو القعقاع ابن عمرو التميمي، وقال: لا يهزم جيش فيه مثله[2]..

وكان يقول: لصوت القعقاع في الجيش خير من ألف مقاتل[3]!

وكذلك لما طلب عمرو بن العاص المدد من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في فتح مصر كتب إليه:

أما بعد؛ فإني أمددتك بأربعة آلاف رجل، على كل ألف رجل منهم مقام الألف: الزبير بن العوام، والمقداد بن عمرو، وعبادة بن الصامت، ومسلمة بن مخلد[4]..

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك، باب: ذكر مناقب سالم مولى أبي حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، برقم: ٥٠٠٥، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ، ١٩٩٠م، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، ٣/ ٢٥٢.

(٢) ذكره ابن حجر في الإصابة في تمييز الصحابة، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م، تحقيق: علي محمد البجاوي، ٥/ ٤٥١.

(٣) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر، ٥/ ٤٥٠.

(٤) انظر: كنز العمال، المتقي الهندي، برقم: ١٤٢٢١، مؤسسة الرسالة، تحقيق: بكري حياني، والشيخ صفوة السقا، ٣٥/ ٢١٤.



بل إن سياسة الإسلام منذ البداية بناء الكم والكيف، ولاحظ نشاط النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الدعوة، وحمل الناس إلى الإسلام، ولاحظ أيضاً كيف كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**اللَّهُمَّ أعز الإسلام بأحد العمرين**»(١)..

لماذا هم دون غيرهم؟

لأنهم كانوا يتمتعون بصفات تجعل منهم -في حال إسلامهم- دفعاً ودعماً للإسلام والمسلمين، وتأمل قول بعض الصحابة لما أسلم عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حيث قال: ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر(٢)!!

وحرص الإسلام على بناء الصغار، وزرع الجدية فيهم، وإبعادهم عن التفاهة، فسلم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جيش المسلمين لأسامة بن زيد وهو في السابعة عشر من عمره، وكان كبار الصحابة جنوداً عنده، ويأتمرون بأمره(٣)..

وفي غزوة أحد جاء بعض صغار الصحابة إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يطلبون منه أن يسمح لهم بالقتال معه، ومنهم عبدالله بن عمر بن الخطاب، وأسامة بن زيد، وأسيد بن ظهير، وزيد ابن ثابت، وزيد بن أرقم، وعرابة بن أوس، وعمرو بن حزم، وأبو سعيد الخدري، وسعد ابن حبة، وغيرهم(٤).

فليس للتفاهة مكان بين المسلمين في نظرياتهم وتاريخهم، بل كان همهم إنشاء جيل من القوة والجدية والحزم، فكان الطفل فيهم رجلاً، والضعيف فيهم قوياً، وكانت اهتماماتهم كلها متعلقة بعظيم الأمور وقضايا الأمة من الجهاد والدعوة والفقه والحفظ والفهم والبلاغة..

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبر، برقم: ١٠٣١٤، ١٠/ ١٥٩.

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير، برقم: ٨٨٢١، ٩/ ١٦٥.

(٣) أخرجه البيهقي في سننه، مكتبة الباز، مكة، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، برقم: ١٦٣٧٥، ٨/ ١٥٤.

(٤) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: ١٤، ١٤٠٧هـ ١٩٨٦م، ٣/ ١٧٢.



دخل غلام عربي على خليفة أموي يتحدث باسم قومه، فقال له: ليتقدم من هو أسن منك، فقال: **يا أمير المؤمنين، لو كان التقدم بالسن لكان في الأمة من هو أولى منك بالخلافة**[1]..

ومن تأمل سيرة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سيجد الكثير من الأمثلة التي تشهد لهذه النقطة، بل سيراها جلية واضحة، إذ هي الأصل الذي كان سائداً في وقتها..

أما اليوم فانظر كيف اجتاحت التفاهة وأشكالها شباب المسلمين، حتى بات الشاب الملتزم والجدي غريباً في أهله ومجتمعه، بل غالب شباب الأمة اليوم لا يعرفون من قضايا أمتهم شيئاً، ولا يهتمون بها أبداً، بل هي من آخر اهتماماتهم، والأشد من ذلك والأغرب أن الكثير منهم فقدوا عقيدة الولاء والبراء، فعقدوا صلحاً وقبولاً في قلوبهم مع أي شيء وإن كان كفراً أو إلحاداً..

ولذلك لا تعجب أبداً إن رأيت اليوم شباباً من المسلمين يدعون إلى التطبيع مع الكيان الصهيوني، أو يتقبلون فكرة احتلال كثير من البلاد العربية والإسلامية ولا يرفضونها، بل لا يميزون بين ما هو من الشرع، وما ليس منه، فخرجت إلينا تيارات كثيرة تتخذ من الحداثة والعلمانية وإنكار الشرع والسنة وغيرها دعوة ومنهاجاً، ومنهم من يحاول أن يجد تأويلاً لكل شيء في الإسلام، ويحاول نسبة أية فكرة للإسلام، ولو بتكلف..

وهذه ظاهرة جديرة بالتأمل والتحليل، إذ أنها جزء من التفاهة التي نتكلم عنها، ألا يبقى لدى الإنسان قيمة ولا ثابت يُتمسك به، وهذا غير مستغرب في عصر الانترنت، واختلاط المفاهيم، وتدني التعليم، وقلة الثقافة، وكثرة الشبه، وقلة الحيلة، وانحطاط المسلمين، وقد سلط الله عليهم حكاماً تافهين لا يوفرون جهداً في نشر التفاهات بين الشعوب، ولا يتركون وسيلة لتخديرها إلا ويتبعوها..

---

(١) ذكر قريباً منه ابن عبد البر في التمهيد، مؤسسة قرطبة، تحقيق: مصطفى العلوي ومحمد البكري، ٢٣/ ٢٠٤.

تحرير المفهوم

في اللغة العربية..

الشيء التافه هو القليل واليسير والخسيس والحقير، الذي لا قيمة له..

ورجل تافه العقل، أي: قليل العقل، فلا يدرك حسن وقبح فعله..

سألوا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ما الرويبضة؟ فقال: «**الرجل التافه ينطق في أمر العامة**»[1]..

وفي أثر فيه: «**كانت اليد لا تقطع في الشيء التافه**»[2]، أي: القليل، دون الحد المقدر شرعاً..

والخلاصة: أن التافه هو ما لا قيمة له، إما بقلته إن كان مادة وعيناً، أو لأنه لا معنى له إن كلاماً وفعلاً[3]..

أما عن **مفهوم التفاهة** الذي يشكل محور هذا الكتاب..

فمعناه (الرداءة) أو (الاستهبال) و(الفهلوة) في تناول الأشياء، ومناقشتها بطريقة رديئة تثير الضحك والسخرية.. أو كما سماه بعض الكتّاب الذين تكلموا عن (العقل القمامي) أو (Junk Mind) والحقيقة إنه مصطلح معبر جداً، (ويقصد به أن هناك كماً رهيباً من

---

(١) أخرجه ابن ماجة في سننه، كتاب الفتن، باب فتنة المال، ٤/ ١٢٠.

(٢) أخرجه أبو داود في مسند عائشة، مكتبة الأقصى، الكويت، ط: ١، ١٤٠٥هـ، تحقيق: عبدالغفور عبدالحق حسين، ص: ٦٨.

(٣) انظر: لسان العرب، لابن منظور، دار صادر، بيروت، ط: ١، ١٣/ ٤٨٠، معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، دار اتحاد الكتاب العرب، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م، ١/ ٣٢٠.



الأخبار التافهة والمعلومات الخاطئة والآراء السخيفة التي قد تصيبنا بالوعكة العقلية والتفاهة وهو مصطلح يتشابه نوعًا ما مع (Junk Mind) لذلك يجب أن نحصن أنفسنا كما نحصن أجسادنا بالطعام الصحي وليس القمامي التالف[١].

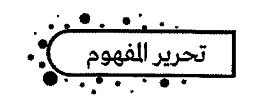
وقد كتب الفيلسوف الكندي آلن دونو كتابه: **نظام التفاهة**، وهي كتاب شهير، وهو من الأوائل الذين كتبوا في هذا الموضوع، وأدرك خطره، ونبه عليه، وهو يلخص قصة سيطرة التافهين على العالم، بل ابتكر مفهوماً مطابقاً لما يسود عالمنا ككل، والعالم العربي خاصة؛ فكتابه نشر في العام ٢٠١٥م، ما يعني أنه كتب قبل هذا التاريخ، ومن الطبيعي أن تحتفل به بعض النخب العربية في ظل تدهور المنطقة المريع، بمعزل عن أن كتباً مهمة أخرى قد لا تحظى بنصف هذا الاهتمام[٢].

ويؤكد الكتاب على فكرة مهمة جداً، وهي أن التافهين قد كسبوا معركتهم وسيطروا على العالم دون إطلاق رصاصة واحدة، وحتى بدون اجتياح الباستيل، إشارة إلى الثورة الفرنسية، ولا حريق الرايخشتاغ، وهو البرلمان الألماني، إشارة إلى صعود هتلر في ألمانيا، والمجازر التي حدثت، وقد صدق آلن دونو، أما نحن -العرب والمسلمين- فنقول: سيطر التافهون على مجتمعاتنا بدون حرب ذي قار، وحطين، واليرموك، وبدون تجهيز جيوش وعتاد وغيره!!

ويشير دونو إلى أثر مهم من آثار التفاهة على المجتمعات والناس، فيقول: (لا لزوم لهذه الكتب المعقدة، لا تكن فخوراً ولا روحانياً، فهذا يظهرك متكبراً، لا تقدم أي فكرة جيدة، فستكون عرضة للنقد، لا تحمل نظرة ثاقبة، وسع مقلتيك، أرخ شفتيك، فكر بميوعة -أي: مرونة وقابلية للتشكل- وكن كذلك، عليك أن تكون قابلاً للتعليب، لقد تغير الزمن،

(١) انظر: مقال نورة حسن بعنوان: تكاثر التافهين، على موقع Caramellapp.

(٢) انظر: مقال للكاتبة منى فياض بعنوان: التفاهة تتحكم بمصير العالم والدولة، على موقع الحرة.



فالتافهون قد أمسكوا بالسلطة)[1].

وهو بهذا الكلام يصف حال الإنسان في المجتمع التافه، وكيف يتم تسليعه، وتعليبه وفق توجه التافهين، وقوله: عليك أن تكون قابلاً للتعليب، يدل على استعباد التافهين للحالة المجتمعية، فينقاد الناس باللاشعور وراء تفاهاتهم، فيسخرونه لخدمة أهدافهم..

طبعاً.. آلن دونو يتكلم عن التفاهة المنظمة إن صح التعبير، وهي التفاهة التي تقودها السياسة والسلطة، ولاحظ قوله: لقد تغير الزمن فالتافهون قد أمسكوا بالسلطة، فكلامه يشير إلى أن الحاكم التافه يعمل على إشغال شعبه بتفاهات بين الحين والآخر ليشغلهم عن ملاحقة الفساد والتدقيق، فتكون مثل (تنفيسة) لهم في هذا العصر..

فالتفاهة هي ثورة تخديرية تدعو إلى التفكير برخاوة، ورمي القناعات في القمامة، لنصبح كائنات طيعة يسهل اقتيادها ومبادلتها أو ركنها جانباً[2].

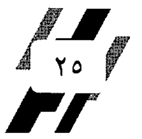
إذاً.. علينا أن نكون واقعيين ونعترف أن من يحكم اليوم في العالم هو نظام التفاهة وأنظمتها، تلك التفاهة التي تنحدر من أنظمة الاستبداد العسكرية، وبالتالي فالمجتمعات تنقاد اليوم إلى هاوية السطحية والضحالة واللامعنى.

فحتى تكون مشهوراً في مجتمع التفاهة لا تحتاج إلى أن تكون مثقفاً ألمعياً، ولا مناضلاً نقياً، وإنما تحتاج أن تكون تافهاً سطحياً، من دون وعي وأفق، فالذي يجمع في شخصه بين التفاهة والسطحية هو الذي سيجمع ملايين (اللايكات) والمشاهدات، وبالتالي هو الذي سيتبعه المجتمع، وهو الذي يشكل الرأي العام للمجتمع، ومع الزمن سيستطيع تغيير ثوابت

---

(١) نقلاً عن مقال الدكتور صبري محمد خليل بعنوان: قراءة منهجية لكتاب نظام التفاهة للفيلسوف الكندي آلن دونو، على موقع صحيفة سودانيل.

(٢) انظر مقال منى فياض بعنوان: التفاهة تتحكم بمصير العالم والدولة على الانترنت.



المجتمع العقدية والفكرية والثقافية، وهو من يسمونه العلامة والفهامة في نظام التفاهة السائد.

وقد أشار ابن الجوزي إلى شيء من هذه المعاني المتعلقة بالتفاهة في كتابه: أخبار الحمقى والمغفلين..

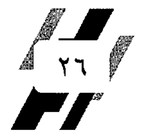
ومنذ سيطر نظام التفاهة على العالم لم تعد بحاجة إلى أن تسجن لسنوات طويلة، وتدفع الثمن غالياً دفاعاً عن حلم سياسي، أو مبدأ علمي، أو حقيقة تعتقدها، ولا أن تجهد عقلك ونفسك بالقراءات والكتابات، ولا أن تمضي شطراً من عمرك في أقبية المختبرات، لتركيب المعادلات، وإجراء التجارب لإنتاج نظرية علمية، أو صناعة عقار يخلص الإنسانية من آلامها، فكل هذا لن يقابل بالاحترام الذي تنتظره، ولا بالاحتفاء الذي سيسعد قلبك وروحك، لأنك ببساطة: جِدِّيٌّ، ولست تافهاً[1].

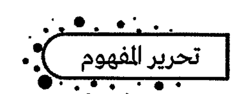
فالتفاهة تدل على انتفاء القيمة الأخلاقية، فالتافه هو عديم القيمة والصلاحية، والتفاهة تدل على الحضيضية في التفكير، فغايتها إخراج جيل لا يفكر بالاحتجاج ولا المطالبة بتوزيع الثروة، والعدالة الاجتماعية، أو المشاركة في صناعة القرار، فلا يهم هذا الجيل سوى الفوز في لعبة: كلاش أوف كلانس، أو بلعبة: البوكيمون، أو الفيفا، أو البوبجي!! هذا من جهة الشعب في الدولة التافهة.

أما من جهة السلطة التي تكون على رأس الهرم في الدولة التافهة متمثلة برئيس الدولة ومجلس الشعب وغيرهم من المتنفِّذين، فإنهم أهل المال والجاه، وبالتالي فهم يسخرون جميع مقدرات الدولة وثرواتها في خدمة تفاهاتهم، ولا مانع لديهم من إقحام البلد في حروب عبثية، لا فائدة منها، من أجل تحقيق أهدافهم، أو من أجل القضاء على حالة التفكير العميق والسليم أو بقاياه التي لا تزال في المجتمع.

---

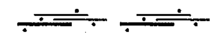
(١) انظر مقال عبدالرحيم العطري، الميديوقراطية وتسيد التفاهة، على موقع عربي TRT.





وفي المجتمعات التي سيطرت عليها التفاهة لا اهتمام للأجيال التي تخرجها التفاهة إلا بأخبار نجوم التمثيل والغناء، ونجوم هوليود، ونجوم التعري، وأفلام الإباحية الجنسية، فترتفع نسب الاهتمام بمثل هذه الحالات بشكل (صاروخي) مقارنة مع المهتمين بالحالة الثقافية والتعليمية والفكرية على شتى مجالاتها ومفرزاتها.

وهذه الأجيال ستكون جاهزة للانقياد، بل وإلى أكثر من ذلك، ستكون جاهزة لحمل السلاح في أي وقت دفاعاً عن الحاكم التافه الذي يكون قد صوَّر نفسه في عيون التافهين على أنه إله، وأنهم سيفقدون تفاهاتهم -والتي يرونها قمة النعيم والرقي والراحة- إن وقفوا ضده، أو فرَّطوا فيه، فلا مبدأ ولا قيمة أخلاقية أو دينية يدافعون عنها..



وليست رقياً..

فالبعض يعتقد أن التفاهة جاءت نتيجة لحالة الرقي والتقدم الاقتصادي مما دفع الناس إلى الاهتمام بالثانويات، وهذا غير صحيح، لأنه يلزم منه أن الشعب قد تحققت له الضروريات والحاجيات، ولا تكاد تجد ذلك في مجتمع سيطرت عليه التفاهة، فالتفاهة حالة مجتمعية تظهر في جميع المجتمعات، الغنية منها والفقيرة، التي تدور فيها حروب طاحنة، والتي تخلو منها، والتي توفرت فيها جميع سبل الحياة الكريمة، من رعاية صحية، ونظم تعليمية متقنة، وتلك التي لم تعرف إلى هذه الأشياء سبيلاً وطريقاً.

والواقع المشاهد يدل على أن هذا النظام يجتاح العالم، في حين يقف المثقف والعاقل والعميق متفرجاً لفقدانه أدوات التأثير كالسلطة والاقتصاد والخطاب وغيره، ولذلك ألف باسكال بونيفاس كتابه: **المثقفون المزيفون** ليشير إلى أن أكبر خطر يتعرض له العلم والعالم، هو المثقفون الذين يتخذون الكذب والخيانة العلمية، وهم في صف واحد مع الحكام التافهين، بل يسميهم باسكال بالمرتزقة، وهم عبارة عن مثقفين خلاصة عملهم واهتمامهم بالحياة



أن يعملوا من أجل توفير المناخ المناسب لتسويق كذب الحكومات وتفاهاتها، وبالتالي تصبح هذه التفاهات ذات مصداقية لكونها خرجت من قبل المثقف الذي يعد ذا مصداقية في أوساط المجتمع، وهو يتكلم عن ذلك في المجتمع الفرنسي الذي عـاش فيه، والذي تتوفر فيه -كما نعرف- الديمقراطية والمحاسبة والنزاهة وغيرها، فكيف إن طبقنا نظريته على المجتمعات العربية والإسلامية التي تكاد تأكلها التفاهة، سلطة وشعباً..

فهؤلاء المثقفون التافهون هم الذين زرعوا في فكر الشعب التفاهة، وهم الذين جعلوه مستقلاً عن كل جدية، وأصبح همه: هل قامت المغنية الفلانية بالشفط والزرع!؟

وهل تزوج الممثل الفلاني أم طلق!؟

وهل لبس اللاعب الفلاني القميص الأحمر أم الأبيض!؟

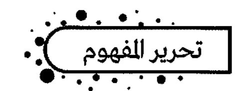
بل خرجت عندنا أجيال يحفظون تفاصيل من سفاسف التفاهة كحياة اللاعبين والمغنين والممثلين وأولادهم وزوجاتهم ومسكنهم ومتى تزوجوا ومتى سافروا! في حين أنه لا يعرف مما يجب أن يعرف من أصوله الدينية والفكرية شيئاً، والتي عليها مدار التمييز عن غـيره، فالعربي مثلاً يتميز عن غيره بهذه الأشياء[1].

وهكذا تسهم التفاهة، في خلق حالة عالمية واحدة مبنية على ضحـالة المعرفة والتفكير، فيصبح العالم واحداً، لكنه يسير إلى وجهة واحدة، وهي الهاوية والهلاك..

والتفاهة تمتلك جاذبية كبيرة، فصناعتها سهلة ومُيسرة؛ لضحـالة المحتوى المطلوب، ونشرها أسهل مما يُتصور، والتفـاعل معها لا يتوقّف، فلها جمـهور واسع ويكبر مع الوقت، والواضح أن الأقزام التافهين باتوا يظهرون بمظهر العمالقة، ويسيطرون ويحكمون قبضتهم على كل شيء، فأخذوا زمام المبادرة، ورسن توجيه المجتمع وتخطيطه الاستراتيجي بتحكمهم

(١) انظر مقال عبدالرحيم العطري، الميديوقراطية وتسيد التفاهة، على موقع عربي TRT.





في المال والسياسة، وتفاهتهم هذه لا يجيدها المثقفون، لأن المثقفين يلتزمون بمنظومة قيم لا يملكها التافهون، ولا يتنازلون عنها، لا يراوغون، ولا يهادنون، ولا يستسلمون في سبيلها[1].

ونحن هنا نتكلم عن المثقفين التقليديين الذي يعيشون حياتهم في خدمة أفكارهم وتطويرها، وتغيير المجتمعات التي يعيشون فيها نحو الأفضل، ونحو الرقي، ونحو التفكير السليم، وهنا يشير باسكال بونيفاس في كتابه: **المثقفون المزيفون** إلى حالة عدم إمكانية المثقفين الحقيقيين جمع حالة العرض التافه الذي يقوم به أولئك التافهون والمزيفون، وبين حالة التفكير السليم، أي لا يمكنهم أن يكونوا مفكرين ومثقفين وفي اللحظة ذاتها يكونون مروجين لتفاهات المجتمعات..

والمثقف الحقيقي عندما يوضع في هذا الموضع سيحرج، لأنه يكون في بيئة لا يفهمها، ولا تفهمه، إنها بيئة التافهين، الذين لا يعطون لشيء قيمة، في الوقت الذي يعطي فيه المثقف والمفكر كل شيء قيمة التي يستحقها، وفي هذه الحالة سيضطر المثقف إلى التنحي جانباً، أو إلى الغرق في هذه التفاهات..

وما تصنع الفلسفة في بحر من التفاهات!!

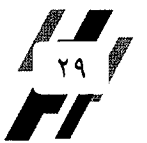
وما تصنع الموعظة في بحر من التفاهات!!

عندها، تخلو الساحة للتافهين، يعرضون بضاعتهم، ويسوقون المجتمع إلى حتفه وحتفهم، إذ أنهم حالة مؤقتة، لا يمكنها أن تدوم طويلاً، لأنها ساذجة، فمهمتهم نقل المجتمع من حالته الجدية إلى حالة اللامبالاة، وبالتالي السقوط في الهاوية..

فالتفاهة مرض خطير، عضال، أخطر من السرطان، بل وباء، يصيبنا بالذبحة الفكرية والثقافية والروحية، حيث باتت تسيطر على منطق الأمور والحياة، حيث خداع القيم، وانهيار الحضارة، وتفكك الثوابت المجتمعية، وهو ما يعني انتعاش منظومات القيم العاملة على

---

(١) انظر: مقال سليمان الطعاني بعنوان: ثقافة التفاهة، على موقع وكالة عمون.



استعباد البشر وامتصاص طاقاتهم المتمردة لصالح حاكم تافه[١].

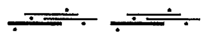
يقول إدوارد جاليانو: (نحن نعيش أوج عصر التفاهة، بات عقد الزواج أهم من الحب، مراسيم الدفن وطقوسه أهم من الميت، اللباس أهم من الجسد، قدَّاس الأحد أهم من الله)[٢].

وتختلف معطيات عصر التفاهة ففيه يتمنى الشاب أن يلتقي مغن ليشرب الخمر على نغمات أغانيه ليشعر بسعادة لا مثيل لها..

وفيه تحقق الأغاني الرخيصة التي لا رسالة فيها غير رسالة الفن الرخيص الذي يتغنى بأي شيء حتى يحقق الشهرة والمال، فهو عصر التهميش الذي يطال كل من يطمح لبناء المجتمع والمساهمة في رقيه، عصر يصفق فيه المجتمع لمن يُخربه ويبحث عن هلاكه، عصر اختلط فيه كل شيء[٣].

إنه العصر المقلوب، وذلك لأن معطيات هذا العصر قد انقلبت على معطيات كل العصور التي قبلها، وبدت وكأنها تؤسس لعالم جديد، فمعطيات الوقت الراهن تؤكد أننا في زمن طوى سجلَّه القديم، واستهل الألفية الثالثة بمعارف انقلبت على كل ما سبقها، وبدأ الألف الثالث على تأسيس عالم جديد يناسب تفاهاته، ويعمل على تعميمها[٤].

فنظام التفاهة.. فتح باب النقاش على الكثير من بواطن الأمور والخفايا والقضايا والإشكاليات والازدواجيات التي نعيشها ونتعايش معها في السراء أو الضراء[٥].



---

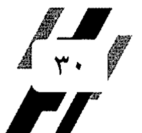
(١) انظر: مقال سامي عبدالعال بعنوان: عن التفاهة، على موقع الحوار المتمدن.

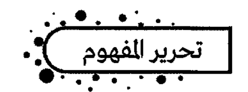
(٢) انظر: مقال سامي عبدالعال بعنوان: عن التفاهة، على موقع الحوار المتمدن.

(٣) انظر: مقال عبدالغفور اقشيشو بعنوان: عصر التفاهة بامتياز، على موقع الحوار المتمدن.

(٤) انظر: مقال عبده خال بعنوان: هل تفوقنا في التفاهة؟، على موقع العربية.

(٥) انظر: مقال عاصم جهاد بعنوان: نظام التفاهة؟، على موقع جريدة الصباح الجديد.





ولاشك **أن مفهوم التفاهة قد توسع كثيراً** في هذا العصر، فإنه يختلف معناه قديماً عن الآن، كان معناه ضيقاً جداً، حيث كان التافه عملة نادرة الوجود، أو مخبأة إن صح التعبير، فلا يستطيع التعبير عن نفسه، لأنه ببساطة يجد نفسه في مجتمع ينبذه ويحتقره، أو على الأقل يرفضه، لأن السيطرة كانت للعلم والحكمة، لا لغيرها..

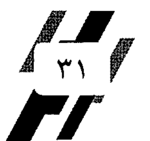
أما الآن فنستطيع أن نقول: إن مفهوم ومصطلح التفاهة قد أخذ بالتوسع والتمدد، وأخذ التافه يأخذ قيمة شيئاً فشيئاً في المجتمعات، وبدأ يأخذ اعتبارية أكثر من قبل، في الوقت الذي كان لابد أن يكبت أكثر، لا أن يظهر على السطح، ويبدو كحالة مقبولة في المجتمع، وبين الناس، بل بين المثقفين..

ومنذ **العشرينيات والثلاثينيات وحتى بداية الستينيات** من القرن الماضي كان مفهوم التفـاهة أو تعريفها يكاد يكون محصوراً في بعض السلوكيات، والتأويلات الشاذة لأشياء رصينة، وهذا يعود لضعف فهم التافه للحديث العلمي، وسرعان ما تذوب تفاهته هذه في بحر الرصانة والجدية التي كانت سمة عامة للمجتمع حينئذ..

أما **التفاهة المعاصرة** فالقصد منها تحويل الأمور الجادة إلى حالة من السطحية ليس إلا، وعلى كل المستويات، وبدأت التفاهة كسمة تظهر بين الشباب الجهال الذين يمكن وصفهم بالمراهقين من خلال الإدمان على الأجهزة الحديثة، وهذه من الحالات السلبية والعيوب التي خلفتها التكنولوجيا على هذا العالم، بل إنها بدأت بشكل من الأشكال على يد أنصاف المثقفين، حيث يجدون في هذا العالم الافتراضي فرصة لعرض بضاعتهم الناقصة، غير الرائجة أكاديمياً[1].

---

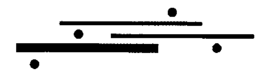
(١) انظر: مقال إكرام لمعي بعنوان: زمن التفاهة، على موقع جريدة الشروق.



من جانب آخر، هناك من يرى أن شيوع ثقافة التفاهة -وخاصة في الشرق الأوسط- ليس إلا نوعاً من المؤامرة وأنّ هناك من يُنفق، ويعمل ليل نهار على تسويق هذه التفاهة، بل حتى كتـاب: **نظام التفاهة**، ليس إلا جزءاً من هذه المؤامرة، ونشره بأكثر عدد ممكن من اللغات والطبعات، فضلاً عن العمل ليل نهار على نشر كل ما يمكن نشره عن الكتاب، عَرْضاً أو تقريظاً ليس إلا شكلاً من أشكال تطبيقها[1].

إلا أنني أرى أن هـذا الرأي غير صائب، إذ أن التفـاهة في مجتمعاتنا الشرقية بادية وواضحة، ولا تحتاج لتبرير، فنحن جزء من مجتمع غارق بالتفاهة، على الرغم من أن الأجهزة الحديثة والتكنولوجيا والسوشل ميديا ما زالت حديثة العهد بيننا، هذا إن دل، فيدل على أننا لم نأخذ منها إلا قشرتها وعيوبها، وتركنا ما يجب أن نستفيده منها..

إلى هذا الحد.. يبدو لي أن مفهوم التفاهة قد أخذ حظاً وافراً من البيان..



(١) انظر: مقال غسان عبدالخالق بعنوان: ما العمل بخصوص نظام التفاهة، على موقع حفريات.

تفكيك الجذور والحاضر

لا يوجد **تاريخياً** -كما يرى البعض- انفصال بين الجدية والتفاهة، فالتفاهة أيضاً تعد أصلاً ملاصقاً للإنسان كالجدية، ولم تتفرد الجدية بالإنسان من قديم الزمان، بل حيث وجدت الجدية وجدت التفاهة، ربما لأن الأشياء لا تتميز إلا بضدها، فلو فرضنا عدم التفاهة لانعدم إدراك الجدية، وستكون عندها نسق حياة لا يمكن فصله أو إدراكه..

والميل إلى القول بهذا الكلام جزء من الفطرة، وهذا يعني أن التفاهة ظاهرة قديمة، موجودة مع الإنسان، والحديث عنها ذماً ومدحاً في انتشارها الكثيف والطاغي، وكذلك اعتبارها وسيطرتها على العالم، وإيلائها أكثر من قيمتها، فأصبحت مع الأيام معترفاً بها، وأصبح الإنسان التافه معترفاً به من قبل السوي، فكأن السوي يقول للتافه: أنت سوي مثلي، بشكل آخر..

هذه هي مشكلتنا مع التفاهة، تضخمها، التعايش معها، عدم النفرة منها، قبولها كحالة صحية في المجتمع، أما القول بقدمها وعتقها فهذا القول وارد، لأن التفاهة فيها جهة نفسية متعلقة بنفس الإنسان بوجه من الوجوه، فلا ضير من القول بقدمها..

إلا أن من الأقوال المرفوضة عقلاً نفي التميز تاريخياً بين التفاهة والجدية، بمعنى القول: أن التفاهة هي في وجه من وجوهها جدية، لا تقل جدية عن غيرها من الممارسات، وكما أن الجدية قد مارست نوعاً من أنواع الدفع بالمجتمع إلى الإمام فكذلك التفاهة، من الممكن أن نقول أن لها دوراً في تعرية المجتمع من عيوبه، وتنقيته، وتنمية قدراته عبر الزمن!!



وهذا كما ترون **تلميع للعبثية**، وتسويق لها، ومحاولة إلى القول بأصالتها، ونحن إذ نقرر قدمها، إلا أننا لا نقول بأصالتها، فهي حالة قديمة، إلا أنها ليست أصيلة، بل عارضة، تظهر بين الحين والآخر في النفس والعقل والسلوك، أي أن جذورها ليست ضاربة في التاريخ، كأساس مستند عليه، بل مرت على التاريخ كحالة تظهر وتخبو..

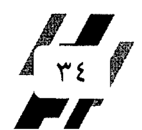
وإنني أرى أن للتفاهة **جذوراً تاريخية بينة وواضحة**، وهذا ما أراه بعينَي فكري، وهذه الجذور إنما ظهرت في السوفسطائية بكل أشكالها العندية والعنادية واللاأدرية، هذه الجذور الواضحة، أما غير الواضحة فلا شك أنها أقدم وأقدم..

ولابد من تقديم بسيط لعرض أفكار السوفسطائية لتكتمل الصورة عندنا..

ينقسم السوفسطائيون إلى ثلاثة أقسام بحسب زاوية الرؤية ونظرتهم للأشياء، فهم عندية وعنادية ولا أدرية، فالعندية ترى أن الحقيقة نسبية، والأشياء نسبية، بحسب الناظر إليها، فما تراه أنت من الحقيقة في شيء من الأشياء قد أرى أنا خلافه! فأحكام الأشياء غير ثابتة، وإنما تعود إلى اعتقادات الناس ووجهات نظرهم، فهم يقولون بتعدد الحقائق بشكل -تقريباً- غير منتهٍ، وإنما تتعدد بحسب عدد الناظرين للشيء، واختلافاتهم حوله، ومشكلتهم باعتبار نظرة الجميع للشيء، فهي ليست مجرد وجهات نظر، وإنما تعدد للحقائق، فالكذب قبيح عندي، فهذه حقيقة عندي قائمة بنفسها، وحسن عندك، وهذه حقيقة ثابتة قائمة بنفسها، وكلاهما حقيقة عند العندية!!

وهذا كما يقول أهل الحقائق عين المحال..

وأما العنادية فإنهم القائلون بإنكار الحقائق رأساً، فلا حقيقة عندهم، وليس للشيء في ذاته حقيقة ثابتة، وإنما مجرد خيالات وأوهام، وهي -كما ترون- منسوبة للعناد، وهذا القول أشد بالتفاهة من العندية، ولكنه أوضح في البطلان، فإن العندية قد تنطلي على البعض ويشكل وجه



البطلان فيها ويختفي وراء المصطلحات، أما العنادية فلا يمكن تصورها، إذ هي تريد منك أن تنكر وجودك مع أنك تشعر به، وتعيشه، وإنكاره ضرب من الجنون، فالعنادية ضرب من الجنون..

وأما اللاأدرية فهم المتوقفون بالحكم على الأشياء، فلا يعرفون عنها شيئاً كما يزعمون، وإن سألتهم فسيقولون: نحن نتوقف في ذلك، ولا نعرفه، أو لا ندري عنه شيئاً، فإن قلت لأحدهم: هل أنت موجـود؟ فالجواب سيكون لا أدري، وإن سألته نقيض الأول وقلت: هل أنت معدوم؟ فالجـواب أيضاً سيكون بلا أدري، وهو لا يختلف من حيث التفاهة عن الأولين، ومآله كمآلهما.

ولرب سائل يسأل فيقول: ألست من نفاة كون التفاهة فلسفة وعقيدة وفكراً! إذاً كيف تقول بأن جذور التفاهة ترجع أو تلتقي بالسوفسطائية في يوم من الأيام..

أليسوا فلاسفة؟

وهذا السؤال وجيه جداً لو كنت ممن يصنف السوفسطائية بأشكالها الثلاثة على أنها فلسفات أو عقـائد، وهذا ما لا أستطيع تصوره، أو لا أقـبل به على أقل تقدير، أنا أرى أن السوفسطائية حالة عبثية تاريخية، تافهة في أغلب وأكثر جوانبها، وتصوراتها للأشياء، لا يمكن ولا بأي شكل من الأشكال تصنيفـها على أنها فلسفة، وبالتالي إقحامها جبراً في الفلسفة والفكر..

فالأقسام الثلاثة كما نرى تؤدي لنتيجة واحدة وهي نسف الحقيقة من أساسها وعدم اعتبارها، وهي نوع من اللف والدوران، وتسخير المصطلحات، وهم في الحقيقة قوم من الجاهلين التافهين الذين رفعوا رؤوسهم بين فلاسفة الحقيقة، فأرادوا أن يتعالموا وينظّروا فقمعهم فلاسفة الحقيقة..



والذي يعد هؤلاء من الفلاسفة والمفكرين، واحد من اثنين: إما تنزلاً عند السياق التاريخي في تناول الأفكار والظواهر، فهم ظاهرة تاريخية، بالتالي من الممكن ان تناقش على أنها فلسفة، وإما إنه به لوثة من التفاهة والسفسطة بالنظر إلى الأشياء.

أما أهل الحق والحقيقة فلا ينظرون إليهم إلا على أنهم قوم بهم جنة وهوس وتفاهة، لا أكثر من ذلك، ولذلك قال الكثير أن الجدال معهم ضرب من العبث، وظهرت بعد ذلك كتب الجدل والمناظرات، وتبينت الحجج والبراهين عند الجدالات والمغالطات، وصنف آرسطو أصول المنطق الذي يضبط التفكير بشكل عام، أو على الأقل -كما أرى- يمنع من ظهور هكذا تفاهات في هذا العالم..

حتى ذلك الجانب الإيجابي الذي تركته السوفسطائية في الحالة الفلسفية عند اليونانيين، والذي يردده أنصار السوفسطائية والقائلون بفلسفيتها وفكرها، بل ربما يذهبون إلى أكثر من ذلك فمنهم من يرى أنها أم الفلسفات، وقائدتها، وأنها حملت لواء التفكير في يوم من الأيام، وهم بذلك يقتلون العقل ويتفوهون بالتفاهة، لأنه لا يمكن أن يقال عن المجنون عاقل، ولا يمكن الجمع بين نفي الحقيقة وإثباتها، أو التشكيك بها والعاقلية!

أقول: إن هذا الجانب الإيجابي كان متمثلاً بتحريك التفكير عند الفلاسفة لنقدها، على أنها حالة لا يمكن أن تستقيم مع المجتمع اليوناني حينئذ، ولذلك لم يبرح سقراط وأفلاطون وآرسطو على نقدها، والحط من قدرها، وبيان عوارها للمجتمع، والتسفيه بأقوالها، لأنهم دعاة الحقيقة، والمدافعون عنها، والمسفهون للتشكيك والنفي..

وهم -أعني فلاسفة اليونان- عندما درسوا السوفسطائية، درسوها **كحالة مرضية** تفتك بالمجتمع اليوناني، ولذلك يجب القضاء عليها من خلال دراستها وبيان علاجها، فلم يدرسوها على أنها فلسفة قائمة بنفسها.



نعم، عندما كثر الحديث حول السوفسطائيين أرباب البيان والبلاغة في المجتمع اليوناني يومها، ظن الكثير من أفراد المجتمع غير المثقفين أن السفسطة حالة وفلسفة معتبرة، وإلا لم يتفرغ الفلاسفة لنقدها وتشويهها والتحذير منها! وهذا ما أعطى السفسطة نوع اعتبارية في أوساط المجتمع..

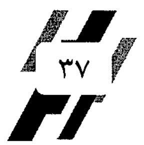
تماماً كالتفاهة اليوم، حيث نظر الناس إلى انتشارها وسيطرتها على وسائل التواصل فظنوا أن لها حقيقة ونظرة وفلسفة، وخفيت وجوه قبحها ببحرها الخضم، فأصبح من الوارد جداً، بل من الطبيعي أن تجد مثقفاً أو مفكراً أو فيلسوفاً يتابع نجماً من التافهين، أو يرصد حالته، ويضحك لضحكته!!

لكن هل نستطيع القول: إن هذا الشيء أصل معتبر وحجة دامغة في كون السفسطة فلسفة وفكراً؟

أبداً..

فالعوام والجهلة والقطيع لا عبرة بهم في الفكر والفلسفة، وخاصة أن الطرح السفسطي قريب من تفكير القطيع، لتفاهته ويسر تفكيكه، فمن الوارد التقارب بينهما، أو أن يتبنى القطيع السفسطة ويدافع عنها، ويرى الفلاسفة أرباب الحقيقة معتدين وظالمين لأولئك التافهين، إلا أننا -تاريخياً- لا يقاس قول القائل ومدى أحقيته بكثرة الأتباع، ومن يلحقونه من الجهلة، بل باللاحقين به من أهل الدراية والعلم، أما القطيع فلا عبرة بهم، فمهمة الفلسفة قديماً وحديثاً تحليل الظواهر، ودراستها، وتفكيكها، وهذا لا يعني اعترافها بكل ظاهرة تدرسها، وتفككها..

وهناك أوجه شبه كبير بين التفاهة بمظهرها الفلسفي السفسطي القديم القائل بالتشكيك والنفي للحقيقة، وبين تفاهة اليوم بمظهرها الفلسفي الجديد الذي تمثله **ما بعد الحداثة**،



والتي تنادي بنسبية الحقائق، فالتقيا وتشابها، فالفيلسوف الألماني فريدريش نيتشه، يعتبر سهم البدء الذي مهد إلى عصر ما بعد الحداثة، حيث مارس التفلسف بالمطرقة على حد قوله، في قلب كل القيم الحداثية، فقد مثل ضربة شك ضارية وأثار أسئلة مهمة، لقواعد وقيم عصر الحداثة والعقلانية، فقد توارث العدمية الإيجابية من ملامح فكر بعض السوفسطائيين، فيعبر نيتشه عن نسبية الحقيقة؛ قائلًا: لا توجد حقائق إنما فقط تأويلات.

ويعد عصر ما بعد الحداثة في الحقبة المعاصرة نظيرًا لما أحدثته السوفسطائية من قلب ورفض قيم ما قبلها، فإن توجهات مفكري ما بعد الحداثة مثل دريدا وليوتار، في رفضٍ مطلقٍ للحقيقة، ولكل السرديات والقصص الكبرى والكلية؛ أي لا وجود لتطابق بين الواقع والحقيقة، فلا شيء ثابت وكل شيء متغير، فلا يوجد شيء كمرجع، إذًا الواقع لا يمكن معرفته ووصفه بموضوعية.

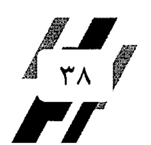
وكما تعرض السوفسطائيون للنبذ من حقل الفلسفة، والتحقير من شأنهم، فيمكن القول أن كثيراً من مفكري ما بعد الحداثة تعرضوا لبعض الأمور المماثلة تقريباً من اتجاهات ترفض توصيفهم كفلاسفة ومفكرين[1].

وذلك كان للشبه الكبير بينهما، فما بعد الحداثة تقول بنسبية جميع المدلولات والحقائق، وتنكر المبادئ الأساسية المقبولة عند جميع الناس، فربما -حسب تصورهم لنسبية الحقيقة- تكون المسيحية حقاً عندك، ولكنها باطل عندي، وكلاهما حق، وهذا عين العندية السوفسطائية التي كانت تقول بأن الحقيقة عندك قد تختلف عن الحقيقة عندي حول الشيء نفسه! فالمعرفة عند السوفسطائيين و تيار ما بعد الحداثة وكذلك الدين والأخلاق نسبية..

فالكذب قد يكون قبيحاً عندك، وغير قبيح عندي!

---

(١) انظر: مقال عصام أسامة بعنوان: أثر الحركة السوفسطائية على الفكر الفلسفي، على موقع الباحثون المصريون.



ولذلك يكثر منهم قول: (الحق المطلق لا يملكه أحد)، و (لا أحد يدعي امتلاك الحقيقة)، و(الحق نسبي)، وغيرها من العبارات المشابهة التي اتخذها هؤلاء حلاً سريعاً يلجؤون إليه عندما يريدون التملص والتخلص من التزام حقائق الأشياء، حيث تكون الأمور فوضى لا ضابط لها، ولا حقيقة ثابتة يعرفها الناس ويتحاكمون إليها! بل أنت تعتقد أن هذا الأمر حـقيقة، وغيرك يعتقد أن خلافه هو الحـقيقة، وكلاكما على صواب، ولا يُنكر أحد على أحـد..!

وأكثر ما يسعى **سفسطائيو اليوم** إلى ترويجه هو عدم الإنكار عليهم، ما دامت الحقائق نسبية ومتعددة، وبالتالي يأخذ باطلهم نوعاً من الحق، فيصبح لهم جمهورهم الذي يقول بقولهم، وبالتالي يتحولون إلى ظاهرة تنتفخ وتنتفخ، وتتمدد كالأخطبوط في المجتمع..

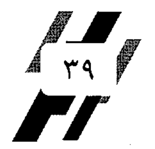
وكما يقول ديفيد جـ كوج: (فما قاله هؤلاء في القرن الخامس قبل الميلاد، أعاده دريدا وليوتار وغيرهما من فلاسفة ما بعد الحداثة، أعادوه إلى العالم بصورة أخرى بل وأشد من الأولى)[1].

بل يرى ليوتار –وهو منظّر لتيار ما بعد الحداثة– أن تياره الحديث هذا هو قمة من حالة التغير الثابت، فلا شيء ثابت يمكن أن يستند إليه البشر، بل كل شيء متغير، بل ذهب تيار ما بعد الحداثة إلى أبعد من ذلك حيث حاولوا كسر قاعدة: الحقيقة هي ما يطابق الواقع، فقالوا بإنكارها، وبالتالي إنكار الواقع وليس فقط الحقيقة، وأن ما تراه هو خرافات، ويريدون بالخرافات هنا المذاهب الفلسفية والدينية والثقافية والاجتماعية والسياسية..

ويخفون هذه النسبية وراء البلاغة والمصطلحات والبيان، وكما تَسمى السوفسطائيون

---

(١) السوفسطائية وأثرها على ما بعد الحداثة، ديفيد ج كوج، ط: الأولى، نشر حروف منثورة للنشر الإلكتروني، ص: ٦٧ ـ ٦٨.



بأرباب البيان، فكذلك ما بعد الحداثة، فإنهم يخفون تفاهاتهم وراء مصطلحاتهم، فتجد بعضهم يقول بنسبية الحقائق، وبعضهم يثبتونها ولكن يقولون بنسبية فهمنا للحقائق، والمهم عندهم التعدد، والجميع صواب!

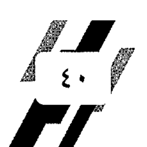
فعالم ما بعد الحداثة هو عالم صيرورة كاملة، كل الأمور فيه متغيرة، ولذا لا يمكن أن يوجد فيه هدف أو غاية، وقد حلت ما بعد الحداثة مشكلة غياب الهدف والغاية والمعنى، بقبول التبعثر باعتباره أمراً نهائياً طبيعياً، وتعبيراً عن التعددية والنسبية والانفتاح، وقبلت التغير الكامل والدائم[1].

يقول محمد عابد الجابري: (والتسامح يتحقق في الاجتهاد، إذ هو مجاله الطبيعي، ومبدأ كل مجتهد مصيب، وقد قال به كثير من علماء الإسلام في الفقه، هو قمة التسامح في هذا الميدان، كما أن اعتماد الشك في التفكير الفلسفي، والأخذ بنسبية الحقيقة، هو التسامح بعينه، فهو اعتراف بالاختلاف، وبمشروعية الاختلاف)[2].

فحالة ما بعد الحداثة ومواجهتها للحقائق الدينية والكونية والفلسفية في العصر الحديث، هي صورة طبق الأصل لحالة السوفسطائية ومواجهتها للحقائق الكونية والدينية والفلسفية في عصر الفلسفة اليوناني، **والفرق بينهما يكمن في النتيجة،** فعصر فلاسفة اليونان كانت السلطة وأدوات التأثير بيد العاقلين إن صح التعبير لا بيد التافهين، ولذلك كان فلاسفة الحقيقة كآرسطو وسقراط وأفلاطون وغيرهما من القوة بمكان، بحيث استطاعوا القضاء على حركة السفسطة التافهة، بل كانوا يسخرون من السوفسطائيين في المجالس، فكانوا منبوذين لتفاهتهم.

(١) آفاق فلسفية عربية معاصرة، طيب تيزيني وأبو يعرب المرزوقي، دار الفكر، ط: ١، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م، ص: ٣٢٢.

(٢) قضايا في الفكر العربي المعاصر، محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط: ١، ص: ٢٠.

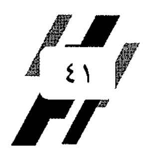


أما نحن اليوم فالأمر انقلب تماماً، حيث أصبحت السلطة وأدوات التأثير بيد التافهين والسوفسطائيين، فبات بمقدورهم تسويق أي فكرة على أنها فكرة معتبرة ومقبولة، ولا شيء فيها، بل عملوا على تذويب الفروق بين الحقيقة واللاحقيقة، وتسفيه كل شيء، وبات -وبكل سهولة- أي تافه بمقدوره أن يسفِّه قول أي مفكر وفيلسوف ويسخر منه، وعرض حقيقته على أنها قمة التفاهة والتناقض، فتنقلب الأشياء ونظرة الناس إليها..

ونستطيع أن نقول بأن هذه الحالة هي الحاضر للتفاهة، بعد تفكيك جذورها السوفسطائية، وحاضرها يتميز أنه يمتلك جميع الأدوات المؤثرة في المجتمع وخاصة الإعلام، والسوشل ميديا، بل أقبح أداة امتلكوها اليوم أنهم تحولوا إلى شكل من أشكال المثقفين، فراحوا يطوعون المصطلحات كما يشاؤون ويستخدمونها في معان شتى، كي يوهمون الناس بأنهم فلاسفة ومفكرون، وبالتالي فأقوالهم قد تكون معتبرة بشكل من الأشكال..

ولست ممن يميز بين تفاهة بروتاغوراس وجورجياس وبيرون قديماً، أو دريدا وليوتار ودعاة ما بعد الحداثة العرب حديثاً، وبين تفاهة الشباب الذين يظهرون في السوشل ميديا بالضحك والقفز واللعب بالكلام، لأن الثاني نتيجة للأول بشكل من الأشكال، أو هو من مفرزاته بلا شك، وإن كان دريدا وليوتار قد يترفعان عن مثل أفعال هؤلاء إلا أن هؤلاء يعبرون عن نظرتهم للأشياء وللحياة بالنظرة ذاتها التي يعبر فيها هؤلاء من منظري ما بعد الحداثة.

أقول هذا **دفاعاً عن التاريخ** والعلم والحقيقة، دفاعاً عن آرسطو وسقراط وأفلاطون الذين قدموا للإنسانية معروفاً بقضائهم على السوفسطائية بكل أشكالها العندية والعنادية واللا أدرية، فهؤلاء الشباب اليوم الذين يتبجحون ويجهرون بتفاهاتهم على العلن وأمام الناس ليسوا إلا شكلاً من أشكال السفسطة، أو هي التطبيق العملي والمرئي للسفسطة.



فماذا كنا ننتظر من المجتمع اليوناني فيما لو انتصر السوفسطائيون على أرباب الحقيقة يومها؟

سيُخرِجون كل تفاهاتهم علناً بما يملكون من وسائل..

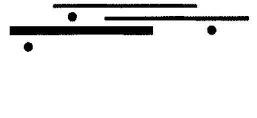
هذا الماضي والحاضر..

أما المستقبل؛ فلا أدري عنه شيئاً، ولست (لا أدرياً) بذلك إذ هو غيب أصلاً، لكننا الآن أمام طريقين في النظر إلى مستقبل التفاهة، فإما إلى الهاوية والزوال وقيام القيامة، وإما إلى زوالها وهلاكها وبالتالي ينتصر العقل على الجنون، أو اللاعقل..

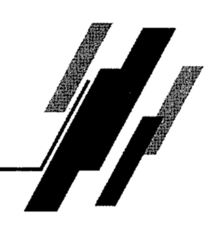
ولست أدري، إن كنا نملك القوة التي امتلكها سقراط وأفلاطون وآرسطو في مقاومتهم للسفسطة، فهنا فرق كبير بيننا كما أعتقد، فهم كانوا يمثلون المجتمع حينها، ويملكون القوة الكافية للتعبير عن رأيهم، وفرضه أيضاً عن طريق السلطة، أما نحن فنُقدَّم من خلال السلطة والإعلام على أننا متشددون متخلفون لا نعبر عن المجتمع والحضارة، بينما يقدم التافهون على أنهم فلاسفة ومفكرون ومواكبون للواقع والحقيقة، وبالتالي يبنون المستقبل، ويسعون إلى تكنولوجيا أكثر خدمة للإنسانية والحضارة، بحيث سيكون العالم عبارة عن حضارة واحدة، لا كفر فيه ولا إيمان، ولا جنة فيه ولا نار!

فنفترق في ذلك نحن وفلاسفة الحقيقة الأوائل..

وربما ننجح في تخفيف الحدة من التفاهة، وتأثيرها على أفراد المجتمع من خلال النشاط الثقافي والفكري هنا وهناك، وهذا ما نمتلكه حالياً، وربما لو أتقنا استخدام السوشل ميديا وكثفنا جهودنا عليها لتطور عملنا وتأثيرنا.







من المفهوم إلى العقيدة

هذا الفصل جواب لسؤال: **هل تطورت ظاهرة التفاهة** إلى حدٍ نستطيع أن نعتبرها عقيدة وفكراً، أما أنها ما زالت حالة عرضية، ستزول!!؟

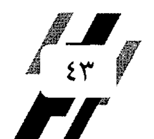
هناك البعض من الكتاب والباحثين من يرى أنها أصبحت عقيدة وفكراً مستقلاً، وأنه يجب أن يدرس كظاهرة ثابتة في المجتمعات، كالعقائد والإيديولوجيات الدينية وغيرها، فإن جمهورها أصبح من الاتساع والكثرة بمكان، فدراستها على هذا النحو يعد شكلاً من أشكال الواجبات الفكرية على المثقفين، وخاصة بعد أن تبنت السلطات بحكامها هذه التفاهة، وأصبح بإمكاننا أن نقول: إن الدولة الفلانية يقودها الحزب الفلاني والذي يتبنى نظرية أو عقيدة التفاهة، ومثَّل بعضهم لذلك بالولايات المتحدة الأمريكية في عهد دونالد ترامب، فعبثيته وتفاهته في التعامل مع كثير من المواقف والقضايا الدولية يوحي بذلك، وعلى كل المستويات، فإنه يحاول أن يحول العالم إلى قرية صغيرة تسودها تفاهة القوي- الأمريكي..

فالفلسفة -كما يرون- تجدِّد صلاحية أيِّ موضوع ولو كان تافهاً، فما بالنا بالتفاهة ذاتها، فربما توجد هناك جوانب ميتافيزيقية بهذا المعنى أو ذاك وربما تمثل نمطاً من الحياة يصلح للشغل الفلسفي العميق، وبالتالي نستطيع القول بأن التفاهة أصبحت أو قد تصبح عقيدة وفلسفة وفكراً.

ولأن الفلسفة لا تكف عن التأمل أمام أية ظاهرة باحثة خلف جذورها البعيدة كحدود قصوى لما هو قريب، فيمكن دراسة التفاهة بهذه الدلالة الحسية عن طريق التفلسف[1].

---

(١) انظر: مقال سامي عبدالعال بعنوان: عن التفاهة، على موقع الحوار المتمدن.



ربما يكون هذا الرأي محلاً للقبول بوجه من الوجوه، **إلا أنه خطير جداً** بكل وجوهه الأخرى، فمن الصعب أن أتقبل أن تصبح التفاهة حالة عقدية وفكرية وإنسانية، لها قيمتها، سأحكم حينها على العالم بما فيه من المثقفين بالإسفاف ونزع هيبة العلم والثقافة!

إنه من الصعب جداً أن نقنع أنفسنا بالتفاهة كمقرر في جامعة أو كلية على دولة من الدول، بل إنني أوقن أن التفاهة لا تتعايش مع أجواء الأكاديميات والعلم لأنها حالة من الفوضى وعدم الانضباط، فيصعب عليها الثبات، إنها كالجراثيم التي تفرخ وتتكاثر في المستنقعات، حتى إذا نقلناها إلى أرض معقمة ماتت، فالتفاهة ما دامت بعيدة عن متناول وقبضة العلماء ويدعمها الحكام بحكم سلطتهم؛ فهي بخير، وتتمدد، وتنتشر..

وفي اللحظة التي تدرس ستزول، لأن التافه إن قرأ حاز الوعي الذي يخرجه من حالة التفاهة إلى التفكير العميق والمتزن..

أعتقد أن اعتبار التفاهة عقيدة وفكرٌ ضرب من العبث، بل والتناقض، لأنها حالة وجدت واستقرت في بيئة بعيدة عن العلم، غير فاهمة له، فلا يمكن جمعها مع عدوها، كما لا نستطيع جمع الداء والدواء في الوقت نفسه، سيقتل الدواء الداء حينها، أو العكس، وكذلك التفاهة والعلم..

نعم، إنها حالة كبيرة الانتشار، وكثيرة الجمهور، وتستحق الدراسة والتحليل والمعالجة، إلا أنها لا تستحق التدريس وتقريريها بمقررات ومواد دراسية، وهناك **فرق كبير** بين دراسة الشيء لفهم حيثياته وتفكيكه وتحليله، وبين تدريسه على أنه حقيقة وواقع وعقيدة، وربما لا نبالغ إن قلنا إن أعظم ضربة نوجهها للعلم أن نتكلف إدخال ما ليس منه فيه، أو أن نجبره على قبول جسم غريب في كيانه، هذا يشبه إلى حد كبير محاولة إجبار الفراشة على التأقلم مع النار، أو إجبار الإنسان على التأقلم مع السم القاتل الذي يحتوي على نهايته..



حتى لو تكلفنا إيجاد رابطة للجمع بينهما في خانة واحدة، كأن نأخذ بالرأي القائل بأن جذور التفاهة قديمة ضاربة في التاريخ، إلا أن هذا لا يسوغ أبداً اعتباره عقيدة أو فكرة، إذ أنه ليس بضابط.

أعني: اعتبار الشيء عقيدة لا يتوقف على كونه قديماً أو عتيقاً، حتى الأفكار التي تشبه التفاهة من حيث المحتويات والنتيجة كالسوفسطائية والعندية واللاأدرية كان من الخطأ والغلط العظيم، والجناية الكبرى على العلم والتاريخ أن تم تصنيفها من قبل البعض على أنها فلسفات، أو أنها ضرب من الحكمة، إذ الصحيح أنها ضرب من العبث الذي لا طائل تحته، وهي بشكل من الأشكال تفاهة، بل تفاهة مقرفة أيضاً، فماذا يعني أن يقول الإنسان عن شيء معلوم وواضح، لا أدري، هذا هروب من الحقيقة، والعندية دون اللاأدرية في الانحطاط واللافهم..

و القاعدة الواسعة كذلك لا تُعد ضابطاً، فكون التفاهة يعتقدها الكثير من الخلق لا يجعلها تعد عقيدة، فهي في الحقيقة لا تتعدى كونها ظاهرة عرضية، تتسع في زمن، وتضيق في أزمان، أو تضيق في زمن، وتتسع في أزمان، كزمننا الحاضر، وكم من ظواهر خرجت كالفقاعة ثم انتهت بنهاية فترتها التي قدرت لها..

من جهة أخرى.. إن اعتبار التفاهة عقيدةً وفكرًا لكونها قديمة، أو لقاعدتها الواسعة، يلزم منه أن ندخل الكثير من الأفكار العارضة، والتي تظهر بين الحين والآخر في ميدان العقائد، كظاهرة النسوية مثلاً، فإن جمهورها أيضاً واسع ويتمدد، إلا أننا لا نستطيع وسمها بالعقيدة والفكر، بل هي حالة نسائية إنسانية خاصة، وكذلك التفاهة فإنها دونها في المعنى، إذ أنها لا تحمل معنى الإنسانية في الموضوع، وليس فيها من الفكر والدفاع عن الحق شيئاً، فهي حركة عبثية، مناقضة للسلامة والاتزان.

نستطيع أن نقول، هي حالة المجتمع الذي يقابل المجتمع السليم، فهي حالة مرضية يجب دراستها لعلاجها..



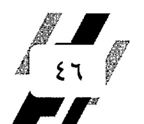
وإقحامها هي وما شابهها في ميدان الفلسفات حتى على سبيل التجوز ليس صائباً، والواجب إخراجها بشتى الطرق، فإننا نطالب المثقفين الذين يدركون خطرها بمكافحتها، بتجفيف منابعها، وتقنين التعامل معها حتى تنضب وتنتهي، وأعتقد أن هناك الكثير من المثقفين الحقيقيين لا المزيفين يشاركوننا في خطورتها ووجوب التخلص منها، بل إنها -برأيي- خطوة متقدمة نحو عهد الدجال ونهاية التاريخ وضياع الثوابت..

وبالمناسبة.. فعمودها الفقري الذي تقوم عليه، **هو تسفيه الأفكار والعقائد،** إنها تحاول بشتى الطرق، من حيث تدري ولا تدري، تمييع الفاصل بين الكفر والإيمان العامين، ليصير العالم كله كافراً، أو كله مؤمناً، لا فرق عندها، فالخط الفاصل بينهما قد زال، إنها تحاول أن تجمع بين الشيطان والملائكة في غرفة واحدة وتقنعهما بكونهما يشكلان كائناً مكوناً من النار والنور، أو من حالتي الشيطنة والملائكية..

أليست هذه العبثية بأسمى صورها!!

إن الذين ينظّرون في الصباح والمساء ليجعلوا التفاهة جزءاً من الفكر المعتبر والفلسفة الحميدة المتعالية والعقيدة هم في الحقيقة تافهون بشكل من الأشكال حتى لو كانوا مثقفين، فإنهم مثقفون مزيفون، يخدمون العبثية في هذا العالم، يشابهون أولئك الذين يحاولون تسويغ حركة المثليين في العالم شرقاً وغرباً، وتجميل فكرتهم على قباحتها ووقاحتها، وبالتالي هم جزء سليم في المجتمع كالرجال والنساء! وإخراجهم من حالة الشذوذ..

والمثلية، هي من أقبح وجوه التفاهة التي تجتاح العالم، والتي تحاول الحكومات التافهة التي تقود العديد من البلدان إلى فرض الاعتراف بالمثلية في العالم على الرغم من كونها فكرة مرفوضة بالفطرة، والعقل والدين بكل أشكاله الإسلامي والمسيحي واليهودي، وحتى تلك الديانات الوضعية التي كان مصدرها البشر..



لم يكن يخطر في بال أحد من الناس قديماً وحديثاً أن يصل الأمر في العالم إلى هذا الإسفاف في التفكير، ولذلك لم يستطيعوا تسويقها إلا من خلال أدوات التفاهة العالمية كالسوشل ميديا التي أعطتهم المنصات التي استثمروها لبث سمومهم في العالم، وكان الحق أن يمنعوا من قبل القائمين على تلك المنصات، هذا إن أحسنا الظن فيهم، أما إن أسأنا الظن فيهم فسنقول بأنهم رواد التفاهة في العالم، وقادتها، وأنهم أوجدوا هذه المنصات واخترعوها، بغرض تسويق التفاهة ومنتجاتها الدنيئة، وإنما خلطوها بالحسن حتى نقول بأنها سلاح ذو حدين، فقبيحها قبيح، وحسنها حسن..

ولست بهذا الكلام أتبنى رأي من يقول بوجوب التخلص من منصات التواصل والسوشل ميديا، فإنها تفرض نفسها علينا في هذه الأزمان، إلا أنني **متشدد جداً وراديكالي** في إمكانية قبول التفاهة كفكرة في المجتمع، أو قبول المثلية كحالة صحية بين الناس.. فهذا لا يمكن أن أقبله ولا بأي شكل من الأشكال، لأنه انحطاط وسير اختياري عاقل نحو الزوال، ووراء المسيخ الدجال..

بل أدعو عقلاء العالم إلى وقفة جادة لوضع كل شيء في نصابه، وفي خط سيره، وتسمية الأشياء بمسمياتها الحقيقية، وترشيد استعمال السوشل ميديا، وملاحقة هؤلاء الشواذ وهدايتهم وإرشادهم إلى الحقيقة الكونية المطلقة..

وهذا الكلام كان سيجد إذناً صاغية، فيما لو كان هؤلاء العقلاء أصحاب قرار، أو في رتبتهم، بحيث يستطيعون تغيير الواقع نحو الأفضل، وهذا حلم حتى الآن، إذ أن السلطة والإعلام وجميع أدوات التفاهة ما زالت بيد التافهين، وما زال المصلحون في هذا العالم من القلة بمكان، وهم محكومون بطريقة ما بالمال والاقتصاد السلطويين، وهذا ما يجعلهم في حالة ضعف تام وخضوع للقادة التافهين حول العالم، فكبرى رؤوس الأموال بيد التافهين،



وما زال العالم -للأسف- يشهد حالة من تسلط وامتداد أخطبوط التفاهة في كل تفاصيل الحياة، وما زال الناس يبتذلون مشاعرهم بانحطاطهم ولهثهم وراء سراب التفاهة الخداع..

ولنعد قليلاً إلى المثال الذي ذكره القائلون بكون التفاهة عقيدة وفكراً! وهو مثال الرئيس الأمريكي دونالد ترامب، فرغم تفاهته إلا أنه هو أيضاً حالة عارضة على الشعب الأمريكي، ولا يمكن أن يكون حالة دائمة، وإلا سيحكم الأمريكيون بزوال وسقوط مملكتهم بوقت قياسي..

ولا ننكر أن ترامب قد مارس التفاهة بكافة أشكالها، وأقبح أشكالها، من الابتزاز المالي واستعماله في ترويج تفاهاته، حتى متاجرته بالمصارعة الحرة، واهتمامه بها، وتركيزه على جمع الأموال، فقد طوّع التفاهة لجلب المال بأي وسيلة وإن كانت حقيرة، أو تقوم على سرقتها، فهو مثال للحكومة التافهة الواضحة غير المتسترة بلباس الديمقراطية والعدالة والمساواة وغيرها من الشعارات التي كان الحكام الأمريكيون يتسترون وراءها لتحقيق غاياتهم..

والحقيقة أن ترامب، وإن كان أسوأ من غيره، إلا أنه أوضح من غيره، وأستطيع أن أقول أنه نقل التفاهة من مرحلة السرية إلى المجاهرة، وبالتالي شرعنة كاملة لها، فالتفاهة قد حققت شوطاً كبيراً ومتقدماً بسيطرة ترامب على القرار في أمريكا..

وليست السياسة الخبيثة والدنيئة التي تتبعها أمريكا في العالم إلا صورة من صور التفاهة، حيث تستخدم العالم وتتلاعب بالمفاهيم والمصطلحات كما تشاء، وهذا لاشك شكل خفي من أشكال التفاهة، حيث تحتكر هي تفسير النصوص والمصطلحات، فما تراه إرهابياً فهو إرهابي، وما تراه ديمقراطياً فهو ديمقراطي، وحسب المصالح والأوقات، ولا مانع عندها من التحالف والتحاور مع أشد الأعداء عداوة لها ما دام في محاورتهم مصلحة لأمريكا، وإن كان فيه بيع لما يسمونه المواثيق الدولية والثوابت، والشيطان حاضر في كل سياسة من سياساتها،



إلا أن دوره بدا أوضح في السنوات الأخيرة، وخاصة في سياساتها في الشرق الأوسط في سوريا، وفلسطين، ومصر..

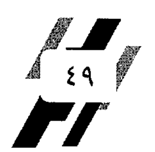
ولست في مقام الحديث عن دور السياسة في التفاهة، فهو أوضح من أن يتكلم عنه، وكتاب نظام التفاهة الذي تحدثنا عنه سابقاً إنما كان مخصصاً كله لتقرير هذه الحقيقة، بل هو قد أعلن سيطرة التافهين على العالم، وانتهى الأمر عنده بهذا، وأن الشعوب أصبحت جاهزة للتعليب بأي قالب تريده منها الحكومات التافهة، لأن القوة والسلطة والتأثير بيد التافهين..

وما أود التنبيه عليه هو الإشارة إلى أن التفاهة وإن لم تكن عقيدة، وفكراً، إلا أن هذا الوضع سيجعل من الصعوبة بمكان التعامل معها، ومقاومتها، فهي **مائعة جداً**، تنتشر في كل الجهات، تملأ الفراغ كالماء والهواء، فهي تكاد تكون خياراً وحيداً أمام هذه الأجيال التي انتهبها التافهون، وقدمهم الإعلام على أنهم فئة مقبولة مجتمعياً..

ولك أن تتخيل كيف يجلس مئات المثقفين من أهل الحل والعقد في مجلس بانتظار حاكم تافه لم يبلغ من العلم ما يؤهله أن يجلس أمام أطفال حيه، فيخطب فيهم، ويوجههم، وإن قال يسمعوا لقوله، بل تكون مهمتهم بعد هذه المجالس نقل وترويج تفاهاته على الجمهور الذي فقد البوصلة بفقد قدوته الحقيقية.

ولا يغيب عني تلك المشاهد التي يجلس فيها المئات من القامات العلمية أمام حاكم عربي وصل بانقلاب عسكري، ولا يتقن الحديث بالعربية، ولا يكاد يبين في جمله وألفاظه، وكيف يخرج أولئك المثقفون لينقلوا للناس بلاغة الخطاب، وقوة سبكه، وكثرة معانيه، وأنه لم ولن يقال مثله.

وبالتالي فهم يقولون للجمهور: اتبعوا هذا التافه لأنه سيحقق لكم جميع ما تودون فعله من التفاهات، وكفاكم اهتماماً بالحياة وجديتها، واتركوا مبادئكم جانباً..



تحليل الأسباب

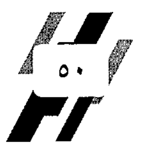
قد يكون من العسير لم شتات هذا الموضوع، وبيان أسباب التفاهة بالتفصيل، أو أن نبينها بشكل جامع مانع، لأنها متفرقة منتشرة متعددة، فاختلاف جهاتها يجعل من الصعب الإحاطة بها، وردها إلى أصولها التي ترجع إليها نفسياً واجتماعياً، وبالتالي حصر آثارها النفسية والاجتماعية، وهذا ما يجعلنا أمام معضلة طبية جديدة لأمراض نفسية واجتماعية خطرة تحتاج لعلاج، بل يبدو حينها أننا بحاجة فعلية إلى تخصصات جديدة في الطب النفسي، تهتم بعلاج آثار التفاهة المتعاظمة والمتسارعة على المجتمعات الإنسانية التي أدمنت التفاهة، عاشتها..

وليس يهمنا تحليل الآثار الآن، وإنما تحليل الأسباب التي أدت إلى الوصول إلى هذه الحالة من الاهتمام الكبير بالتفاهات وأشكالها، والذي يمكن أن نقول إنه وصل إلى حالة الشذوذ..

الحروب والأزمات

يمكن وضع بعض النقاط التي ترجع إليها ظاهرة التفاهة، وبالتالي نتبين أسبابها، فالحروب والأزمات -كما أظن- بيئة خصبة لانحطاط الفكر عند الإنسان، وزيادة ميلانه النفسي إلى التفاهات ومشاهدتها وفعلها، وتقبلها من الوسط المحيط به..

وأحياناً، يهرب الإنسان -في وقت الحروب- من حاله الواقعية المزرية بما تحمله من ضيق وهم، إلى عالم افتراضي مسلٍّ، وغير مفهوم الأهداف والغايات، فالإنسان لا يدرك للوهلة الأولى، وربما ولا الوهلة الألف مخاطر التفاهة، إذ أنه يتعايش معها، فتصبح جزءاً منه، وتبدأ تفرخ في ذهنه وفكره وعقله حتى يصل إلى درجة الإبداع في التفاهة، التي تبدأ تعتاش على عقله وفكره، حتى تمسخه تافهاً مع مرور الأيام..



والهروب ربما لا يكون إلى عالم افتراضي لاحتمال عدم توفره، ولكن أشكال التفاهة المادية الاجتماعية أكثر مما نتصوره، فيكون الهروب إليها شكلاً من أشكال تغييب الواقع المزري والشيء الذي افتعلته الحروب والأزمات..

ويرى عالم النفس إريك فروم بأنه كل ما زادت الحروب والأزمات انشغل الناس بالتفاهة أكثر؛ لأنهم يشعرون بلا حول ولا قوة وسط هذه الصراعات![1].

وهذا معناه أن الحروب التي يفتعلها التافهون في هذا العصر كان لها أثراً -يداً بيد مع السوشل ميديا- كبيراً في افتعال التفاهة وتفجيرها، والحروب كثيرة جداً، لا السياسية فقط، بل إننا نتكلم عن حروب اقتصادية وعسكرية وغيرها، مما يجعل التفاهة -وفق نظرة إريك فروم- حالة دائمة التمدد والتوسع، وكذلك انشغال الناس بها..

وقد أشار إلى مثل هذا المعنى المفكر الماركسي كاستورياديس عن عصره الذي كان يعج بالأزمات والإشكاليات والتناقضات، فهو تكلم في عصره عن عصر التفاهة، واستعمل مصطلح (**ارتقاء التفاهة**) الذي يقصد به سيطرة النسق التافه في المجتمع وطغيانه على النسق العميق، وهذا النسق التافه الذي تكلم عنه كاستورياديس يشبه إلى حد كبير ما يتعرض له المجتمع العربي اليوم بعد اجتياح وسائل التواصل الاجتماعي له، وكذلك ما تشهده البلاد العربية والإسلامية من أزمات وثورات وحروب، وما نتج عنها من لجوء وفقر وتعاسة ونظرة سوداوية[2].

نستطيع أن نقرر بعد ذلك، إن كثيراً من الحروب التي تحدث اليوم إنما هي حروب مفتعلة من قبل قادة تافهين لتحقيق مآربهم في جمع الثروات والأموال الطائلة، ولو نتج عن ذلك الكثير من الأمراض النفسية والعقلية، وهلاك آلاف البشر الأبرياء، ومهما كانت الآثار

---

(١) انظر: مقال نورة حسن بعنوان: تكاثر التافهين، على موقع Caramellapp.

(٢) انظر: مقال إسماعيل أبو البندورة بعنوان: ارتقاء التفاهة على موقع سوالف.

في انتشار التفاهة بين الناس المتأثرين بهذه الحروب..

وبدراسة تحليلية بسيطة لحرب من الحروب عن قرب، وما تركتها من آثار مفزعة لم تؤثر في تاريخ البشرية أجمعها، وتحويل المجتمعات برمتها إلى شكل من أشكال التفاهة في عمق المعاناة والحرب والمأساة، وتخيل حال الإنسان وهو في قمة المعاناة والانتكاس والتي من المفترض أن يكون بأعلى درجات الجدية لمقاومة هذه المأساة، فينقلب الإنسان من هذه الجدية إلى أعلى درجات التفاهة في المخيمات والبراري..

في الوقت الذي كان من المفروض على هذا الإنسان الجائع والمشرد أن يعمل ويتحمل لتوفير لقمة العيش لأولاده، وبالتالي رفع الحاجة والفاقة عنه وعنهم، إلا أنه يؤثر العيش والتعايش في تفاهاته، وهذه حالة عامة في الحروب، حيث يصاب الإنسان بنوع من اليأس من تغيير الواقع، فينطلق إلى تهميش الواقع وتمريره بالتفاهات، عن طريق وسائل التواصل الاجتماعي، أو الالتهاء بالأمور غير المفيدة والتافهة التي تخدره عن واقعه المرير..

وتختلف تأثيرات الحروب من مجتمع لآخر بحسب درجة الوعي التي تحققت في هذا المجتمع، ولكن الأهداف والأساليب تتشابه دائماً؛ فالتفاهة هي الحرب التي تستخدم فيها أساليب الدعاية والوسائل السيكولوجية والمعنوية الأخرى للتأثير في معنويات شعب من الشعوب واتجاهاته، لخلق حالة من الانشقاق والتذمر بين صفوفه، ويقصد بها المساعدة في كسب المعارك الحربية وإلحاق الهزيمة بالخصم، عسكرياً واجتماعياً وثقافياً، من خلال نزع الجدية من شعب العدو، وتحويل اهتماماته إلى الأشياء التي تخدم العدو..

ولأن التافهين يملكون جميع الوسائل والأدوات المؤثرة في أوقات الحروب، فإنهم ينقلون هذه الصورة عن مجتمع الحرب بحالة إيجابية ومحسنة، وأنه انتقل وينتقل من حالة التخلف إلى حالة الحضارة والثقافة المفتوحة، في فضاء مفتوح من الثقافات والمعلومات..

ولكن الإنسان في مثل هذه الحالة لا يستطيع التمييز بين ما ينفعه وما يضره، وخاصة



أنه يعيش حالة حرب مع كل شيء في الحياة، فالآلة العسكرية تعمل، وكذلك الفقر والجهل والتشرد وغيرها، فهو لا يملك الوعي الذي هو أداة التمييز بين الرديء والجيد من الأفكار، فليس أمامه إلا أن يغرق في التفاهة بمختلف أشكالها..

ونحن حين نتكلم عن آثار الحرب النفسية والاجتماعية على الشعوب، فإننا نتكلم بشكل من الأشكال عن انتشار التفاهة، فإن التفاهة تفرخ في مثل هذه البيئات المناسبة لها، وهي -أي التفاهة- هدف مباشر أو غير مباشر للحكومات التي تفتعل هذه الحروب، فحرب العراق التي قادها الرئيس الأمريكي بوش الابن كان يطلق عليها اسم: **الصدمة والترويع!**

وهذا يشير في معانيه إلى استخدام القوة المفرطة وغرز الخوف والرعب في نفوس الأفراد من الشعب العراقي، وهذا فعلاً ما حدث حيث استخدمت أمريكا في تلك الحرب أقوى أسلحة الدمار من أجل تحقيق الأهداف المعلنة، وغير المعلنة، بل إنه استهدف القيم والمثل الإيجابية في المجتمع العراقي حينها وما زال يعاني منها حتى اليوم[(١)]..

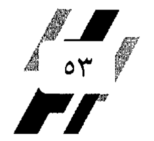
ربما تداعيات الجروح النفسية والجراح الروحية للشعوب، أشد وطأة على الإنسانية من الدمار الشامل، ومع تطور وسائل الاتصال والتطور المخيف لآلة الحرب وتكنولوجياتها المدمرة، لم يعد في الإمكان حصرُ الآثار المترتبة عليها في بقعة جغرافية واحدة، فالآثار السلبية تطال حتى المُشاهد في مناطق بعيدة عن ساحات القتال والآثار النفسية غالبًا ما تكون عميقة خصوصاً عند الأطفال وعند الأسوياء من الناس، لما يشاهدونه من مشاهد تعذيب ودمار وهتك لحرمة الإنسان الجسدية والمادية والمعنوية[(٢)].

ولاشك أن من الجروح النفسية الخطيرة، بل الأشد خطورة، هو انتشار التفاهة واللامبالاة بين أفراد الشعب المحارب، وإحساسه باليأس..

---

(١) انظر: مقال الحرب العراقية الأمريكية وآثارها الاجتماعية على الأطفال في المجتمع العراقي، دراسة ميدانية، ضمن مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية في جامعة بابل، ص: ٥٩٢.

(٢) انظر: مقال مروة كريديه، بعنوان: هستيريا الحرب، الآثار النفسية للحروب، على موقع منبر حر للثقافة والفكر والأدب.



الشعور بالنقص والدونية

وعقدة النقص أو الدونيّة في علم النفس، هي شعور الإنسان بالعجز أمام الآخرين..

أو هي كما يعرفها ألفريد إدلر: **شعور يحدو بالمرء إلى الإحساس بأن الناس جميعاً أفضل منه في شيء أو آخر..**

أو هي: شعور الفرد بوجود عيب فيه يُشعره بالضيق والتوتر ونقص في شخصيته مقارنة بالآخرين وخصوصاً في حالة الإنجاز، مما يدفعه بالتعويض لهذا النقص بشتى الطرق المتاحة له..

والعجز والعيب الذي يصاب به بعض الناس قد يكون عضوياً كأن يكون فاقداً لأحد أطرافه، أو أخرساً، أو أعمى، أو قصيراً، وكان نابليون مصاباً بهذا الشعور بالنقص العضوي، فقيل إنه كان قصيراً، فحاول أن يعوض نقصه هذا في التسلط والجبروت والطغيان، وسمي ذلك بعقدة نابليون، ويقال مثل ذلك أيضاً عن هتلر وموسوليني..

وربما كان العجز اجتماعياً كعدم القدرة على التأقلم مع حالات المجتمع التي تحدث حوله، حيث لا يملك الطريقة المناسبة للتصرف في حالات معينة، كالمواقف المحرجة، أو الجدية..

وربما كان العجز نفسياً كأن يفقد الثقة بنفسه، وكل هذا يؤثر على سلوك الإنسان سلباً، ويخرجه شيئاً فشيئاً من بيئته إلى عالمه الانعزالي..

وقد اتجه عالم النفس النمساوي ألفريد إدلر إلى القول بأن مركب النقص هو الذي يحرك الإنسان في كافة أفعاله بحيث يتجه دائماً إلى تعويض شعوره بذلك النقص(١).

وهذا الفشل متعلق بعقدة النقص، أو الرسوب في امتحان الحياة، وعدم القدرة على تقديم محتوى هادف ومميز ليصنف ضمن المميزين، أو المنتجين، وهذا النقص ناتج عن كثير

---

(١) انظر: مقال ليلى العاجيب، بعنوان: كيف تتخلص من عقدة النقص، على موقع موضوع.



من الأسباب، ومنها على سبيل المثال عدم جودة التعليم، أو الافتقار الكلي له، وفقدان القدرة على القراءة والكتابة، ولذلك يلجأ الكثير منهم إلى الاستعراض التافه عن طريق الرقص والفيديوهات وحكاية النكت والطرف التافهة، وربما غير المضحكة، ولكن إيماءات جسده تشير إلى شيء تافه يلقى رواجاً في سوق التافهين..

وهذا النقص لا يمكن أن يتجسد إلا في حالة النقص الأعم، من خلال نقص بين وواضح في تربية البيت، فالوالد له دور كبير في بيانه لابنه أهداف الحياة وسموها، وسمو غايته في هذه الحياة، أما إن كان الأب مهملاً أو تافهاً فلن ينتج شيئاً عميقاً ومتزناً، لأن فاقد الشيء لا يعطيه، وإن أعطاه فبشيء من الخلل والبعثرة..

ونظرية الفشل التي نتحدث عنها ليست سلبية دائماً، فالفشل والمعاناة جزء من هذه الحياة وأمر طبيعي، وهو عبارة عن تجارب تمر على كل شخص في هذه الحياة حتى المشاهير والأغنياء والناجحين وأصحاب النفوذ والقوة، إنما السلبي فيها هو الاستمرار بالفشل، أو اليأس من أول محاولة..

وكما أنه ليس سلبياً بشكل دائم؛ فإنه ليس عاماً أيضاً، بمعنى أن الإنسان لا يمكن أن يكون فاشلاً وناقصاً من جميع جوانبه، وإنما في الأمر شيء من النسبية، فمن فشل دراسياً فربما يستطيع الحصول على عمل ينجح به، ويتميز به، في الوقت الذي قد يفشل الناجح دراسياً على القيام بهذا العمل، فالأمر نسبي حتماً، ويختلف من إنسان إلى إنسان، ومن بيئة إلى بيئة، ومن مجتمع إلى مجتمع، وما يحيط بها من ظروف وأدوات وأفكار، وغالباً تنعكس على ذلك درجة الوعي السائد في المجتمع..

وغالباً الخوف من الفشل يؤدي إلى الفشل، وكان سبباً لمعظم الناس من عدم تحقيق النجاح في الحياة، وللأسف التعامل مع الفشل لا يدرس في المدارس أو الجامعات، ولذلك لا يتم التعامل معه على أنه ثقافة، وأنه شيء مؤقت لا يستمر، فيجب أن نتعامل مع الفشل



على أنه جزء طبيعي من الطريق، ويجب أيضاً أن نقتنع بالاختلاف والتميز في المجتمعات، وأن ما تحسنه أنت يعجز عنه غيرك، وأن ما يحسنه غيرك قد تعجز عنه أنت، وهذا يزرع نوعاً من الانسجام وتكاتف الخبرات في تحقيق أهداف أفراد المجتمع، من خلال تكملة بعضهم البعض[١].

ويرى المفكر البريطاني كولن ولسون بأن التفاهة سببها هو شعور الإنسان الحديث بأنه محاط بأشخاص ناجحين؛ فيقارن نفسه بالذي حوله، وهذا الأمر يشعره داخلياً بأنه عاجز عن تحقيق شيء ما، له قيمة، فيحاول الهرب من مشاعره بالانشغال بالتفاهة![٢].

وهذا صحيح، فالإنسان الفاشل يبحث في وسط الناجحين عن أي وسيلة ممكنة، للظهور إلى السطح، وإن كانت هذه الوسيلة تافهة، فيشوش من خلالها على نجاحات من حوله، أو يعتقد بأنه صار ناجحاً، فقط لأنه أحيط بقطيع وجمهور من التافهين الذين يصفقون لتفاهاته في كل يوم.

وكما يقال: الأحمق عدو نفسه، وكذلك الإنسان التافه عدو خبراته وقدراته، حيث تقوده تفاهته إلى إخماد تلك الخبرات الكامنة في نفسه، فهو يبحث دائماً عن شماعة يعلق عليها فشله وسقوطه الأخلاقي وفراغه الفكري، إذ يشعر التافه بعقدة النقص، ويعاني من الدونية، لذلك يجد وسيلة للخروج من هذا البؤس باختلاق قضية وهمية يعلق عليها فشله، ويستمر في الكذب على نفسه في طريق اللاعودة[٣].

ويخدعه ذلك السراب الذي يتمثل أمامه بكثرة الجمهور أو القطيع الذي يؤيده بضحك أو بتعليق وإعجاب، فيظن نفسه قد وضع أولى خطواته على طريق النجاح والتميز.

---

(١) انظر: مقال نبيل حاجي نائف، بعنوان: تأثير النجاح أو الفشل على الإنسان، على موقع أكاديمية علم نفس.
(٢) انظر: مقال نورة حسن بعنوان: تكاثر التافهين، على موقع CARAMELLAPP.
(٣) انظر: مقال سليمان الطعاني، بعنوان: ثقافة التفاهة، على موقع وكالة عمون.



الإفراط في استخدام السوشل ميديا

تحولت السوشل ميديا من كونها أدوات للتواصل، إلى غول يلتهم أوقاتنا وأيامنا، حيث لا يكاد الإنسان يخرج منها حتى يدخل من جديد، وقد تنبأ الرسام الأمريكي آندي وورهول بظهور وسيط إعلامي يوفر للشخص العادي حلم الشهرة السريع، وعبّر عن ذلك في إحدى مقابلاته بمقولته الشهيرة: **في المستقبل، سيتمكن الجميع من أن يصبحوا مشهورين شهرة عالمية خلال ١٥ دقيقة فقط.**

وبرغم أنه لم يكن في الستينيات وسائل الإعلام واسعة الانتشار بما يحقق نبوءة وورهول، فإنه بعد أكثر من خمسين عاماً من نبوءته، ستظهر وسائل التواصل الاجتماعي التي حملت على عاتقها تلك المهمة، فصار ما يكتبه المرء في الشمال الأقصى بإمكانه أن يصل إلى أدنى الجنوب في اللازمن، فحسب موقع (Mamsys)، فإنه في عام ٢٠١٧ فقط، كان معدل الدخول على موقع فيسبوك نحو ٩٠٠,٠٠٠ في الدقيقة الواحدة، مقابل ٤٦,٢٠٠ صورة يتم تنزيلها على إنستغرام، و٤٥٢,٠٠٠ تغريدة على تويتر، ونحو ٤ ملايين مشاهدة على يوتيوب في الدقيقة ذاتها[١].

ونحن اليوم في عام ٢٠٢٠م، والتزايد على متابعة هذه المواقع قد زاد أكثر وأكثر، بل أصبح الإدمان عليها مضاعفاً، وقليل من استطاعوا أن يخرجوا منها.

ويرى المفكر الأمريكي نيكولاس كار أن الإفراط في استخدام السوشل ميديا مرتبط بقلة الأفكار التي لها طابع تأملي عميق في حياتنا اليومية، وهي الأفكار الهادفة، والتي تترك أثراً جيداً على النفس والمجتمع، فالسوشل ميديا تقلل اهتمامنا بمبادئنا، وتجعلنا نهتم بصورتنا أمام الناس فقط، حتى إذا كانت صورتنا في الحقيقة خاوية وفارغة، لأنه يتكلم من وراء عالم افتراضي وهمي..

(١) انظر: مقال سامح عودة، بعنوان: مشهورون لكن فارغون، على موقع ميدان.



ويرى كار أنه لأول مرة أصبحنا نقيس تأثير كلماتنا بشكل فوري ومباشر من خلال (اللايكات) و (الرتويت) و (الكومنتس)..

وهذه الأشياء أصبحت اليوم رأس مال رمزي مثل الأموال!

وبالتالي أصبح صعباً على البعض أن يقول رأياً مخالفاً لرأي الجمهور، وعكس القناعات السائدة، لأنه قد يخسر رأس ماله الرمزي وهو (الفولوَرز) بسهولة![1].

ولهذا أجريت عدة دراسات نفسية في السنوات الأخيرة لمحاولة التأكد من فرضية التفاهة لنيكولاس كار، فحاول بعض المفكرين بجامعة ميتشغن أن يرد على هذه الفرضية وقال: (إنه لا يوجد دليل حاسم على أن السوشل ميديا تجعل البشر أكثر سطحية، ولكن الأشخاص الأكثر سطحية وتفاهة هم الذين يستخدمون السوشل ميديا بإفراط أكثر!)[2].

ويذكر الدكتور ميتش برينشتاين أحد الباحثين البارزين في علم نفس الشعبية بجامعة نورث كارولينا، أن الباحثين يُقسمون الناس المشهورين في السوشل ميديا إلى قسمين:

الأول: وهو النوع القائم على التفضيل الاجتماعي، بحيث يأخذ الشخص بالشهرة نتيجة للمحبة والاحترام الذي يتمتع بهما بين الناس، كالمثقف، والفيلسوف، وبما يقدمه من مادة غنية، أو لها قيمة، وما يملكه من شخصية جذابة..

الثاني: وهو ما يقوم على السمعة الاجتماعية، بحيث يكون هم الشخص هو الحصول على الإعجاب بغض النظر عن كونه محبوباً كالأول أو لا، وهذا النوع هو الأكثر انتشاراً في العالم، وهو آخذ في التزايد بصورة خطيرة، وغالباً ما يقدمه هؤلاء من مادة على السوشل ميديا يكون فارغاً أو تافهاً، ودافعه هو الرغبة بالشهرة التي تخفي نقصاً وإحباطاً في شخصيته، فيحاول تعويضه بتفاعل الآخرين معه، ولا شيء يقدمه سوى التفاهة[3].

---

(١) انظر: مقال نورة حسن بعنوان: تكاثر التافهين، Caramellapp.

(٢) انظر: مقال نورة حسن بعنوان: تكاثر التافهين، Caramellapp.

(٣) انظر: مقال سامح عودة، بعنوان: مشهورون لكن فارغون، على موقع ميدان.



إيجابية وناجحة لمحاولة الاستفادة من تجربتها في الحياة، بهدف تطوير النفس والقدرات، وتحديد الرغبات والاتجاهات منذ بداية الطريق[1].

أو هي إحداث تغيير في سلوك الفرد في الاتجاه المرغوب فيه، عن طريق القدوة الصالحة، وذلك بأن يتخذ شخصاً أو أكثر يتحقق فيهم الصلاح، ليتشبه به، ويصبح ما يطلب من السلوك المثالي أمراً واقعياً ممكن التطبيق.

والأطفال هم أحوج الفئات العمرية لوجود قدوة حسنة يتبعها، فالقدوة توفر الكثير من الوقت والجهد على الوالدين في تربية أبنائهم، ولذلك لفت انتباه الطفل إلى شخص قدوة يساعد في بناء جيل متماسك ومحصن ضد التفاهات، وتشكل حافزاً عند الآخرين وقناعة بأن بلوغ هذه الفضائل أمرٌ ممكنٌ، فهي تربية صامتة لها آثار تفوق الكلام.

يقول ابن تيمية عن أهمية حضور القدوة في حياة الناس: «كم من الناس من لم يرد خيراً ولا شراً حتى رأى غيره -لا سيما نظيره- يفعله ففعله؛ فإن الناس كأسراب القطا، مجبولون على تشبه بعضهم ببعض»[2].

ونجد ذلك واضحاً جلياً في حياة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ففي صلح الحديبية قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأصحابه: «**قوموا فانحروا ثم احلقوا**».. فلم يقم منهم أحد، فكرر ذلك ثلاث مرات؛ فلما لم يقم منهم أحد دخل على أم سلمة، فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت أم سلمة: يا نبي الله أتحب ذلك، اخرج، ثم لا تكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بدنك، وتدعو حالقَك فيحلقك، فخرج فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك نحر بدنه، ودعا حالقَه فحلقه، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يحلِقُ بعضاً[3]..

---

(١) انظر: سناء الدويكات، بعنوان: أهمية القدوة ونماذج منها، على موقع موضوع.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية، مجمع الملك فهد، ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م، تحقيق: عبدالرحمن بن محمد، ص: ٣٢.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، برقم: ٢٧٣٢، كتاب الشروط، باب: الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحب وكتابة الشروط، دار طوق النجاة، ط: ١، ١٤٢٢هـ، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ٣/ ١٩٦.



وقد نبهت الدراسات الغربية، والعربية المترجمة عنها إلى أهمية القدوة، وإلى تأثيراتها على الإنسان، خصوصاً في مرحلتي الطفولة والمراهقة، لكن أهملت شروط القدوة ومواصفاتها، وربما تكون الدراسات الدينية هي الوحيدة أو تكاد تكون الوحيدة التي أشارت إلى ضرورة توفر الجوانب الأخلاقية في القدوة، ومنذ مراحل العمر الأولى..

فالإسلام -على سبيل المثال- دعا وحث على تجنب رفاق السوء، والابتعاد عن مواضع التهم، وحث على مصاحبة أهل العلم، خصوصاً في مرحلة الشباب.

ونلاحظ أن معظم العلماء يؤكدون على التمسك المبكر بالفضائل الأخلاقية، وعلى الابتعاد عن المعاصي حتى الصغيرة والبسيطة، فالمنظور الإسلامي للقدوة لا يكتفي بالحض على بعدها الإيجابي فقط، بل يريد في الوقت نفسه أن نتجنب السلبيات التي قد تنجم عن القدوة السيئة، لأن الإنسان بحسب الرؤية القرآنية المعروفة هو على استعداد للانحراف مثل ما هو على استعداد للرقي والتكامل، وهذا الأمر منوط بالبيئة التي يعيش فيها، وبالتربية التي يتلقاها، فإما أن تأخذه هذه التربية ومعها القدوة المرتبطة بها بعيداً نحو الانحراف، وإما أن تدفعه قدماً نحو الرقي والتقدم والتكامل[1].

ولابد من توفر صفات معينة في القدوة الحسنة إذ ليس كل شخص يصلح أن يكون قدوة للآخرين، فالقدوة الحسنة يجب أن يتسم بالأخلاقيات الفاضلة التي تمكنه من نشر أفكار إصلاحية تتماشى مع الواقع وتعالجه ويكون مثالًا جيدًا في أخلاقه، وأن يكون ساعياً للخير فقط، ولا شيء غيره، بمعنى أن يكون هدفه هو أن ينشر ما هو يعالج مشكلات المجتمع بدون انتظار مال أو شهرة أو شيء يحقق له منافع شخصية، وأن تكون لديه الشجاعة في عرض الحقيقة، ولا يزيف الحق، أو يقلب الباطل حقًا، أو يخلط بين الظلم والطغيان،

(١) انظر: مقال في منتدى الفكر اللبناني، بعنوان: القدوة الأهمية، وتحولات الدور، نشرته جمعية المعارف الإسلامي الثقافية.



وأن يكون لديه الصبر وسعة الصدر[1].

ونحن إذ نتكلم هنا عن غياب القدوة الإيجابية نشدد على توفر صفاتها التي يجب أن تتسم بها، ولكن أحياناً قد تتوفر القدوة السلبية، وتكون حاضرة بشكل كبير وأساسي في خلق التفاهة وصنعها، وغالباً ما تتشكل هذه القدوة السلبية من خلال البيئة التي تحيط بنا، ومن خلال قيم هذه البيئة، وقد يكون للشخص التافه أكثر من قدوة سلبية، فتجده متعلقاً بمطرب معين، وممثل معين، أو لاعب معين، أو تتعلق الفتاة بممثلة معينة فتذهب لتقليدها في لباسها، بغض النظر عن البيئات المختلفة، والمظاهر المزيفة التي لا تبدو الممثلة ربما في هذا الزي إلا في المسلسلات، والأفلام.

نتكلم عنها سلباً وإيجاباً، **فالحالة السلبية** كأن تتعلق الفتاة بممثلة عارية، تلبس زياً معيناً، وتتخذ تسريحة شعر معينة، وتمثل دور الإغراء والإيحاء الجنسي والإباحي من خلال المشاهد الساخنة، فتنظر الفتاة إليها وإلى تأثيرها في الجمهور، وخاصة الشبابي منهم، فتحاول أن تصير مثلهم، وربما تمتنع الممثلة في الحقيقة عن هذه الأشياء..

أما **الحالة الإيجابية** فكأن تتعلق الفتاة بامرأة محجبة، كان للباسها الأثر في تحسين سمعتها أمام الناس، ولكنها في الحقيقة غير ملتزمة بضوابط وملتزمات هذا اللباس من العفة، والابتعاد عن الاختلاط، ورفع الصوت بين الناس وفي الأسواق، فهذه هي القدوة الكاذبة، فهي في الحقيقة تمثل دوراً لا أكثر، وتصنع تفاهة في المجتمع من خلال تزييف المعاني والمظاهر، وهذا الأمر واضح جداً من خلال الكم الكبير جداً من الفيديوهات التي تسوق لفتيات محجبات يغنين أو يمثلن أو يرقصن أو يمارسن الجنس وغيرها من الأشياء التي لا يمكن وسمها إلا بالتفاهة، وتحقير القيم والمفاهيم والمعاني الأدبية والأخلاقية في المجتمعات المحافظة..

---

(١) انظر: مقال محمد مجدي، بعنوان: القدوة بين المفهوم والواقع، هل النماذج المنتشرة حالياً تمثل قدوة حقيقية، على موقع بالعقل نبدأ.

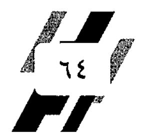
وربما يكون البيت أحياناً قدوة سلبية، من خلال المشاكل بين الزوجين، أو اضطراب العلاقات العائلية، وهذه القدوة السلبية شريك وعامل أساسي في التشجيع على التفاهة في المجتمع، وتأثير الأب القدوة إن كان سلبياً سيكون مزمناً ودائماً، وكذلك الأم، فالابن قد يقلد أباه في تفاهاته لو رآه يمارسها، أو يقررها كأن يضحك لتفاهة أمام أولاده وغيرها من الأشياء، وكذلك الفتاة مع أمها، في كلامها، وصوتها، وحضورها بين الناس، فالابن مرآة لوالديه في المجتمع.

ومن **مظاهر القدوة السلبية،** تأثر كثير من الشباب بمن حاول تغيير الواقع باليد وليس بالقلب فقط، كالتأثر بالمتطرفين فكرياً، والمتشددين عقدياً، وهم الذين يحاولون الانتقام من الواقع بعد اليأس والإحباط الذي أصابهم نتيجة الاستعمار والاحتلال، وقد وفرت السوشل ميديا سبل التواصل بينهم، وتوفير هذه البيئة المنحرفة، التي قد تكون قدوة للشاب، فينحرف، وليس الكلام هنا عن المعنى والمفهوم الجهادي الديني الذي جاء للدفاع عن النفس والدعوة على بصيرة، وإنما الكلام عن الشباب الطائش الذي يجتهد بعيداً عن العلم والعلماء في تقدير مواقف قتالية، قد تقودهم للاقتناع بفتاوى باطلة، تؤدي إلى قتل المدنيين، وانتهاك حقوق الأبرياء..

والعديد من المفكرين يشيرون إلى أن صعود التفاهة كان بسبب صعود اللامعنى، وزوال الحدود بين المفاهيم والقيم والمعاني، وتفكيك وتحطيم المرجعيات، وتعاظم التهافت والابتذال، وانعدام مساحات العقلانية والحوار والابتكار، واعتلاء منصات الحوار والثقافة والسياسة نخب طارئة من أشباه وأنصاف المثقفين لتصير لدينا حالة طامة من التكلس والعماء والنكوص، وكل أنواع البلاء المخبأة في ثنايا هذا الواقع المتشقق السائر نحو ظلامية وانغلاقية محققة[1].

---

(١) انظر: مقال إسماعيل أبو البندورة بعنوان: ارتقاء التفاهة على موقع سوالف.





ظهرت في تفسير الفقر نظريتان:

الأولى: هي نظرية ثقافة الفقر التي نادى بها الأمريكي أوسكار لويس، والتي تقول باعتبار الفقر طبقة اجتماعية مختلفة عن بقية الطبقات، لها اعتقاداتها، وأنماط سلوكها، التي ينقلونها إلى أولادهم بفضل تنشئتهم الاجتماعية الخاصة بهم، فيصبح الفقر كأنه نظام حياة، يتعايشون معه، ومن أشكال التفاهة الناتجة عن هذه النظرية حالة التأقلم مع الفقر بحيث يصبح الفقير تبعياً اتكالياً، مستهلكاً غير منتج، وهو راض بهذا الواقع، وينقله لأولاده، وأحفاده، فيتوارثونه!

وكذلك أشار إلى مثل ذلك الباحث لابنس عندما قام بدراسة التجمعات السكانية الانتقالية في فرنسا، وهم أشخاص فقراء جداً، وفي الأساس يفترض أن يكون إيواؤهم هناك انتقالياً فقط، ولكنّ هؤلاء السكان أقاموا بصورة دائمة، وتزوجوا فيما بينهم، وكانت احتكاكاتهم مع الخارج شبه منعدمة تقريباً، بل وأكثر من ذلك ظهروا كأنهم مستقرون في هذا الوضع منذ عدة أجيال.

وهكذا، ووفق هذه النظريات، يصبح الفقر ثقافة قائمة بحد ذاته، وطبقة اجتماعية لها كيانها الخاص بها، وهذه النظريات تشبه نظرة كارل ماركس لطبقة البروليتاريا تقريباً(١).

ومع أننا لا نستطيع أن نكذب كل ما تقوله هذه النظرية، فالكل يعلم أن فيها جانباً من الصدق، إذ قد يصل الإنسان الفقير إلى حالة يتعايش فيها مع فقره، وبالتالي لا يصبح لديه استعداد للخروج من هذه الحالة، وهذا الأمر يشبه تعايش المتسول مع تسوله، وهذا نلمسه كثيراً في حالات التسول التي تلاحقها الحكومات فتكتشف أن هذا المتسول لديه من المال ما يكفيه أن يعيش غنياً، إلا أنه آثر التسول كطريقة في العيش، ونظام حياة!

---

(١) انظر: مقال خالد طحطح بعنوان: ثقافة الفقر في حقل الأنثربولوجيا، على موقع مؤمنون بلا حدود.



ومع ذلك كله، لا نسلم بكل ما تقوله هذه النظرية، لأننا نعلم جيداً أن الإنسان مهما بلغ به الفقر مبلغه، فإنه يحن أبد الدهر إلى العيش المحترم، حتى تلك الحالات التي تعايشت مع الفقر، فلربما تعايشت مع الفقر رغم ما حصلته من مال؛ لأنها -وبكل بساطة- تخشى العودة إلى الفقر.

الثانية: فسرت الفقر بناء على أن المسؤول عنه هو القوى الهيكلية، والعوامل البنيوية في المجتمع، فالطبقة والجنس والعرق والمستوى التعليمي ومكان الإقامة هي التي تشكل الفقر، وبناء على هذه النظرية فإن القضاء على الفقر يكون باتباع السياسات الهادفة إلى توزيع الموارد بصورة أكثر إنصافاً في المجتمع.

والكثير من مظاهر التفاهة في المجتمع العربي تظهر وتخرج بسبب السياسة المتبعة فيها من إفقار للشعوب والمجتمعات، ومحاولة تفريغها من ثقافتها ووعيها الإيجابي، وبالتالي تتحول المجتمعات إلى مجتمعات رملية متشرذمة، كالعهن المنفوش، وكالعصف المأكول[1].

والفقر مشكلة عظيمة، وأثرها السلبي على المجتمعات خطير، فالإنسان الفقير المعدم يعيش في مكنونات نفسية مختلفة، فهو يشعر بفقدان طعم الحياة، وأن إنسانيته قد تلاشت، ولا كرامة له، وبهذه الحالة فإن الإنسان قد يتجرد من كل القيم والمبادئ، والأعراف والتقاليد، ويسحب كثيراً من رصيد الاحترام والكرامة، فمطلبه الأساسي السعي لتوفير لقمة العيش، وبأي وسيلة، وإن كانت قبيحة أو رذيلة أو تافهة، وبالتالي يستحل الجريمة، والقتل، وتجارة الجنس، والمخدرات، والحالة النفسية التي تجتاحهم تسكنهم في أحلام اليقظة، والخيالات والأكاذيب، والأساطير كنوع من التعويض عن الخواء النفسي الذي يعيشونه، ويعيش عليهم[2].

---

(١) انظر: مقال إسماعيل أبو البندورة بعنوان: ارتقاء التفاهة على موقع سوالف.

(٢) انظر: مقال محمد عبدالكريم الشوبكي بعنوان: الفقر المدقع وتأثيراته على النفس والسلوك، على موقع صحيفة الرأي الكويتية.



أشكال التفاهة

لم تكن التفاهة في يوم من الأيام مقتصرة على ناحية واحدة من نواحي الحياة، بل طالت جميع نواحيها، السياسة، والأدب، والفن، ومختلف الميادين، فحيثما وليت وجهك فثمة تافه يخطب ولا يكاد يبين؛ وما أكثر مريديه ممن يصدقونه ويهذون بترهاته، وينشرون كذبه ودجله.

وثمة صفحات الكترونية هابطة حققت شهرة واسعة، وأرباحاً خيالية، رغم افتقارها للجدية، وإسرافها في الابتذال، ويتابعها عشرات الألوف.

أو تغريدة مسفة يتفاعل معها ملايين أو قناة تليفزيونية ضحلة يتابعها جمهور غفير لنعرف كم تمكنت التفاهة من الحيز العام[1].

فأصبحت التفاهة منتجاً مرغوباً، وثقافةً مبررةً، ووضعاً راهناً في هذا العصر، وكأننا أصبحنا نعيش توجهاً يكاد يكون عالمياً نحو التفاهة، كل شيء، تقريباً يتم تتفيهه! العلم والسياسة والإعلام والثقافة والتاريخ والإدارة وغيرها من الرموز المهمة لبناء المجتمع والحضارة ولبناء أي شكل من أشكال الوعي الفردي أو الجماعي[2].

فلا حدود للتفاهة، أي لا تتوقف عند مجال دون غيره، فهي تكمل بعضها البعض وإنْ اختلفت المجالات، هذا من واقع الحياة التي تشهدها.



(١) انظر: مقال إكرام عبدي بعنوان: أيقونات التفاهة، على موقع هسبريس.

(٢) انظر: مقال سليمان الطعاني بعنوان: ثقافة التفاهة، على موقع وكالة عمون.



التفاهة في السياسة

وهي أخطر أنواع التفاهة على الإطلاق، لأنها تفاهة منظمة، وقوية، تستند إلى السلطة، وهي التفاهة التي تكلم عنها الآن دونو في كتابه نظام التفاهة، وبين فيها كيف سيطر التافهون على العالم، ولذلك أصبح العالم جاهزاً للتعليب..

والتفاهة في السياسة مركبة، تتعلق بشيئين:

أولاً: بصعود التافهين إلى منصات الحكم في دول تزعم أنها تملك الديمقراطية والوعي الكافي كي تسير على الطريق الصحيح، في الوقت الذي استغل فيه التافهون هذه الديمقراطية في الوصول إلى الحكم، والسيطرة على أدوات التأثير من برلمان، ورئاسة، وإعلام، وبالتالي أثبتت الديمقراطية أنها تستبطن الغباء، أو أنها سمحت لأي إنسان أن يتولى أمر الناس وإن كان غبياً..

وطريقة صعود التافهين إلى منصات الحكم تحتاج لدراسة معمقة للحيثيات التي أحاطت بالطريقة، من بناء القاعدة الشعبية التي تؤيد التافه، واستعمال رأس المال وتسخير الاقتصاد في شراء هذه القاعدة الشعبية، ووضع برامج انتخابية مزيفة، ومجرد شعارات براقة، إلى عملية الانتخابات، وما يرافقها من تزوير، وشراء للأصوات، وبالتالي الفوز، والوصول إلى سدة الحكم.

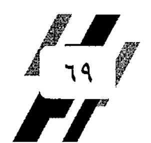
الشعوب غالباً ما تحكم عاطفتها على حساب عقلها، أو بمعنى آخر: تفاهتها على حساب رزانتها وعمق تفكيرها، لأن هذه الشعوب -عادة- متعطشة إلى سراب، فهي تتعلق بأي شخص قد يعـدها بتلبية رفاهيتها، هذا قسم معين من الشعب قل أو كثر، أما القسم الآخر



فهو -كما أعتقد- مهجن على التفاهة، ولا يستطيع العيش بدونها، وبالتالي فهو مع أي شخص يحقق له تفاهته، وإن كان ذلك على حساب دولته وشعبه وتاريخه وحضارته، وهؤلاء هم الذين يصح تسميتهم اليوم بالطابور السادس، ولم أقل خامساً لأنهم خونة ومتعاملون مع العدو بطريقة غير مباشرة، فهم ليسوا عملاء ولا جواسيس، ولا يعون هذه الأمور، ولا يقصدونها، لكنهم يخدمون عدوهم بتفاهتهم، وعدم تقديرهم لمسؤولياتهم، فهم تافهون، ولا يدركون أنهم تافهون، وإنما يعتقدون أنهم يمارسون حريتهم في دعمهم لوصول التفاهة إلى الحكم، فصراعهم مع غيرهم ليس صراعاً ثقافياً واختلاف وجهات النظر بين اليمين واليسار، أو بين العلماني والديني مثلاً، وإنما صراع غباء بينه وبين ذاته، أو بينه وبين مجتمعه.

هذه القاعدة الشعبية التي تمثل شريحة التافهين، هي من الرعاع الذين رفعت الديمقراطية شأنهم، وساوتهم ببقية المفكرين والمتعلمين، ففي بلدان الديمقراطية كفرنسا وإنكلترا وأمريكا يتساوى الفيلسوف بالراقصة، والمفكر بلاعب كرة القدم، وكلاهما يملك القيمة ذاتها في الصوت، إلا أن الراقصة ولاعب كرة القدم أصحاب تأثير أكثر لطبيعة عملهم، على عكس الفيلسوف والمفكر الذي لم يعد يملك إلا قلمه الذي لا يساوي أكثر من نصف دولار في زمن اللاقراءة واللاوعي.

وإذا كان الفيلسوف والمفكر ينال مرتبة المساواة للراقصة ولاعب كرة القدم، فإنه في البلاد غير الديمقراطية كما في بلداننا في الشرق الأوسط، ينال الفيلسوف درجة أدنى من الراقصة، بل هو في محل تهمة الفساد بشكل دائم، وتهمة التآمر على إسقاط نظام التفاهة الذي يحكم البلاد، وتستقبل الراقصة والممثلة استقبال الملوك، في حين أن محاضرات الفلاسفة والمفكرين ودروس المساجد والندوات لا يحضرها إلا النزر القليل، والسبب في ذلك كما أعتقد راجع إلى طبيعة نظام التفاهة الذي يدعم أي شخص يحافظ على درجة الغباء المطلوبة للشعب التافه! ولذلك لا تستغرب أبداً حين ترى عشرات الحفلات الغنائية الراقصة في كل يوم في أرجاء البلاد طولاً وعرضاً، وربما ينقضي الشهر والسنة ولا ينعقد مؤتمر فقهي



أو علمي أو فلسفي في هذه البلاد.

هذا الكلام عن القاعدة الشعبية قد يفسر جزءاً من طريقة صعود التافهين إلى رأس الحكم، فاستعمال رأس المال وتسخير الاقتصاد في توسيع دائرة القاعدة الشعبية التافهة موجود في كل بلاد العالم، وفي أكثرها وعياً ورقياً مادياً وعلمياً، ولا يكاد يمر عليك حالة انتخابية إلا وتمر على مسامعك الاتهامات المتبادلة بشراء الأصوات، وتضليل الشعب عبر الوعود الكاذبة، والبرامج البراقة.

ثانياً: في التصرفات التي تنتج عن هؤلاء التافهين وتقنينهم للتفاهة بلباس الديمقراطية والحرية، والعمل على تشريع نظريات وقوانين ومراسيم تؤصل التفاهة وتثبتها في حياة الناس، بحيث تصبح التفاهة مشرعنة وداخلة في الدساتير..

وتحت هذه التفاهة تم مناقشة عشرات القضايا التي كان النقاش حولها شبه معدوم وغير متوقع في يوم من الأيام، لكن استغلال التافهون لباب الحريات والديمقراطيات جعلهم وأعطاهم الإمكانية على مناقشة أي قضية من القضايا، وإن كانت خللاً في الإنسانية وشذوذاً.

وربما مسائل مثل ممارسة الجنس في الطرق العامة، وزواج المثليين، أوضح مثال على القوانين التي بدأ التافهون يدافعون عنها، ويحاولون ترويجها، وتقنينها، بل أكثر من ذلك، صناعة قاعدة شعبية تافهة جاهزة للخروج بمظاهرات للدفاع عن هذه التفاهات، وتجميلها من خلال الإعلام على أنها وعي ودفاع عن الحرية، وقد سمعنا في الأخبار في السنوات السابقة عن عشرات المظاهرات في البلاد الأوروبية وغيرها للدفاع عن حرية المرأة، وممارسة الجنس، والزواج المثلي، وكثير من النساء اللاتي خرجن في هذه المظاهرات كن عاريات تماماً في مظهر لم تكن أوروبا في عصر من العصور تتوقع أن ينحدر بها الحال إلى هذه الدرجة من التدني.



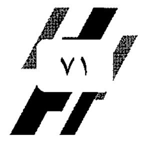
والعجيب ليس هذا، فهي تفاهة أصلاً، والعاقل ينظر إليها بهذه الطريقة، بل العجيب أن يتم تسويقها بشكل مكثف على أنها هي الصحيح، والأصل، وأن من خالفها فإنه هو الشاذ والمخالف والمتخلف، ومحاولة تشريع قانون عالمي يجبر الدول على اختلاف مللها ونحلها وتوجهاتها للاعتراف بذلك، وتقنينه، وحمايته بالقانون! وأي دولة تمانع ذلك أو تقف ضده فهي الدولة التي تعيش في العالم الثالث المتخلف، ونقطة تحولها وانتقالها إلى العالم الأول والثاني هو الاعتراف بهذه الأشياء، بل فعلها، وقد رأينا كيف تم استحداث جمعيات في بلاد العرب والشرق بشكل عام للدفاع عن المثليين الشواذ، في حالة كنا نعدها من الأمور المستحيلة، لا الشبيهة بالمستحيلة.

وإذا قمنا بسحب هذه السياسة التافهة على مستقبلنا، فنحن أمام **مستقبل أسود** لا محالة، ونحن أمام تقنين أشياء ربما لا تخطر في بالنا الآن من قباحتها ووقاحتها، ولو رحت آخذ شوطاً من التفكير فيها ما عرفتها، لكن المستقبل سيعيشه أولادنا، وأبناؤنا.

وما أدراك.. ربما يأتي اليوم الذي يكون فيه الزواج بين الرجل والمرأة شيئاً من التاريخ، وضرباً من الخيال، وتخلفاً وانحطاطاً، وربما يتم تشريع حقوق للحيوانيين الذي يدافعون عن حقوقهم وحقوقهن في الزواج من الكلاب والقطط!

هذه الحالة النفسية التي تقرأ فيها هذه السطور وتكاد تقتلك الدهشة فيها، كان يعيشها أجدادنا عندما يقال لهم بان أحداً في يوم من الأيام قد يطالب بزواجه من رجل مثله، أو امرأة مثلها، وقد عشنا حتى رأيناها، بل وننظر متفرجين كيف يصيرون هم الأصل، وهم القدوة التي تسعى الأجيال لتقليدها، بينما نظهر نحن بمظهر العتيق الصدئ..

أشعر أحياناً وأنا أتأمل هذه القضايا، وأفكر فيها، بأننا نسير إلى حتفنا في ظل هذه التفاهة التي وصلنا إليها، أتذكر حديث الرسول ﷺ أن القيامة لا تقوم إلا على شرار الخلق،



ثم أتأمل كلمة شرار فلا يخطر ببالي هذا الكم من القبح، والذي رأيناه، فماذا يخبئ لنا المستقبل من شرار الخلق الذين لم نرهم بعد!

والنقطة الأولى تشكل أساساً للنقطة الثانية، وبالتالي لا يمكن أن نصل للنقطة الثانية بدون المرور بالأولى، ولا تكتسب الثانية قوتها وشرعيتها إلا من خلال سلطة وقوة وتشريعات، وهذه السلطة والقوة والتشريعات بيد التافهين، وبالتالي سيكون الناتج عنها تافهاً وضحلاً.

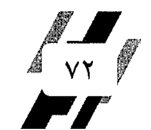
وهناك تقاطع برأيي -وخاصة في السياسة- بين التفاهة كمفهوم، وبين الغباء، بل بينهما عموم وخصوص، فكل غبي تافه، وليس كل تافه غبي، فالتافه قد يكون غبياً، وقد يكون ذكياً، أما الغبي فلا يمكن أن يكون إلا تافهاً، ولن يقدم على تصرفات إلا تلك التي تتسم بالغباء.

والمشكلة ليست في التافه الغبي، فإنه هين بالمقارنة مع التافه الذكي، فالتافه الغبي محكوم عليه بالفشل، تبعاً لغبائه لذي سيسقطه، ولن يعيش الفكر الغبي طويلاً، فإنه يحمل عوامل هلاكه في داخله، وبذرة فنائه في تضاعيفه.

أما التافه الذكي الذي يعرف أنه تافه، ويمتهن تفاهته، ويتخذها مهنة يعيش عليها، ويخطط للدفاع عنها، فهذا مكمن المشكلة، لأنه يدرك جيداً ما يفعل، ويدرك أبعاد ما يفعله، فكيف إذا وصل هذا التافه إلى سدة الحكم في بلد من البلاد!.

وهناك نظريتان تحكمان علاقة الشعب التافه بحاكمه التافه

فحسب نظرية: **(الناس على دين ملوكهم)**، يكون الحاكم هو المركز، والشعب هو المتلقي، وبالتالي ربما سيتحول ذلك الشعب إلى شعب ذكي خلال فترة ليست بالطويلة، لكنه -يقيناً- سيتحول أيضاً إلى شعب تافه، غارق بتفاهته!!



ويقرر كثير من المفكرين وعلماء الاجتماع هذه النظرية، ويرون أن للحاكم أثر كبير في شعبه، فقد انتشرت الوثنية في أرجاء الإمبراطورية الرومانية تبعًا لدين الملوك والحكام في ذلك الوقت، ثم تولى الإمبراطورية حكامٌ من المسيحيين، فاتبعت الشعوب ملوكها وانتشرت المسيحية، ثم انتشر الإسلام وفتحت البلدان فدخلت الشعوب في دين الله أفواجاً.

ويشير ابن كثير إلى أن الحاكم يؤثر في شعبه، ويمثل لذلك بأن الوليد بن عبدالملك كان منشغلاً بالعمارة والمباني فكان الشعب حينها يهتمون بذلك كثيراً، أما في فترة حكم سليمان ابن عبدالملك فقد اهتموا بالنساء والجواري تبعاً لاهتمام سليمان بن عبدالملك حتى كان الرجل يقول لصاحبه ويسأله: كم لك من النساء؟ أما في فترة عمر بن عبدالعزيز فقد كانوا يميلون للتقوى والزهد أكثر فأكثر تبعاً لزهد وتقوى حاكمهم عمر[1].

والمقصود بهذه النظرية أن الحاكم بقوته وسلطته وتوجهاته لابد أن يؤثر بشعبه سلباً وإيجاباً، والعصور والتاريخ أثبتت ذلك، وتأثير القوي أشد من تأثير غيره، وقد قال بعض الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم: «**إن الله ليزع بالسلطان ما ليزع بالقرآن**»، ومعناه: أن تأثير السلطان على الناس وحملهم على الامتثال للأوامر والنواهي أشد من المواعظ وتلاوة الآيات عليهم.

ومن الأمثلة الدالة على هذه النظرية وتقوية وجهتها أن كثيراً من القبائل كانت تسلم تبعاً لزعمائها إن أسلموا، ويكفرون إن كفروا، ووردت العديد من الآثار أن زعيم القبيلة الفلاني جاء بقومه إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأسلموا، أو جاء مع وفد من قبيلته فأسلموا، وكذلك ما ورد من حروب الردة، فأكثر القبائل التي ارتدت حينها، ارتدت تبعاً لزعماء قبائلها، ومثل هذا كثير في السيرة.

ومنه ما روي من قصة إسلام سعد بن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فإنه أسلم بدعوة مصعب بن عمير

---

(١) انظر: البداية والنهاية، لابن كثير، دار إحياء التراث العربي، ط: ١، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م، تحقيق: علي شيري، ٢٦/ ٤٦٠.



قبل الهجرة بعام، وكان سعد بن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سيد قومه ورئيساً للأوس وزعيماً لقبيلة بني عبد الأشهل، وقد كان مصعب بن عمير في المدينة داعياً، فلما أتاه سعد ليمنعه من دعوة الناس، قال له مصعب: أو تجلس فتسمع، فإن رضيت أمرنا قبلته، وإن لم ترضه كففنا عنك ما تكره، فجلس سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يستمع لمصعب حتى أسلم، ثم خرج لقومه فقال لهم: إن كلام رجالكم ونسائكم عليّ حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله، فأسلموا جميعاً[1].

وأيضاً كان الطفيل بن عمرو الدوسي سيداً في قومه، فخرج رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى مكة في موسم الحج، وكانت قريش قد حذرته من سماع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد جاهد ألا يسمع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد ما سمعه من قريش عن النبي، وأن كلامه سحرٌ، ولكن يأبى الله إلا أن يُسمعه صلاة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند الكعبة.

يقول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فقلت في نفسي: والله إن هذا للعجز، والله إني امرؤ ثبت، ما يخفى عليَّ من الأمور حسنها ولا قبيحها، والله لأستمعن منه، فإن كان أمره رشداً أخذت منه، وإن كان غير ذلك اجتنبته.

فاستمع إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم أسلم.

وكان من قوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في دعوته لقومه: يا رسول الله، إني أرجع إلى دوس، وأنا فيهم مطاع، وأنا داعيهم إلى الإسلام لعل الله أن يهديهم، فادع الله أن يجعل لي آية تكون لي عوناً عليهم فيما أدعوهم إليه.

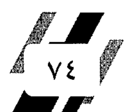
فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اللَّهُمَّ اجعل له آية تعينه على ما ينوي من الخير**».

ومكث بين أظهرهم يدعوهم حتى روي عنه أنه أتى يوم الخندق، ومعه من قبيلة دوس ثمانون أو تسعون[2].

---

(١) ذكره ابن كثير في السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى عبدالواحد، ١/ ١١٢.

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، مؤسسة الرسالة، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ١/ ٢٩٩.



أما وفق نظرية: (**كيفما تكونون يولى عليكم**)، فإن التفاهة تشكل حالة ارتدادية، تبدأ من الشعب باتجاه الحاكم، فالتفـاهة بدأت من الشعب، فكان التافه حاكماً، وهذه عكس الأولى التي تفترض أن الحاكم التافه هو صاحب التأثير الذي سيؤثر على الشعب، ويحوله إلى شعب تافه.

وهذه النظرية يستخدمونها -عادة- لتخدير الشعوب التي تطالب بالتغيير، وتسمعها في هذه السنوات كثيراً في بلاد العرب، حيث الثورات ضد الحكام التافهين، ويعنون بها: أنكم لا يمكن أن تغيروا لأن الحاكم منكم، فإن كنتم صالحين، فهو صالح، وإن كنتم فاسدين فهو فاسد، وبالتالي لن يتغير شيء عليكم، ولن تحققوا إلا الدماء والقتل!

وهذه النظرية عادة ما يؤمن بها التافهون ويطبقونها، ويلتزمونها التزاماً حرفياً، في حـالات الثورات والاعتراض على سياسة القائد، فهي النظرية التي تمثل وتعبر عن علاقة المجتمع التافه بحـاكمه، ونحن نقـصد بذلك أنها الحـالة السائدة بشكل عام، لكنها غير مُنفردة، إذ لا يخفى أثر الحاكم التافه على الشعب سلباً بعد وصوله إلى كرسي الحكم.

وعادة ما يسعى الحاكم التافه إلى زرع ثقافة في المجتمع بأنه الوحيد الذي يملك زمام القيادة، ويصلح لها، حتى تترسخ عقيدة في أذهان الناس أنهم لا يصلحون للقيادة، ولا يصلح للقيادة غـيره، فلذلك لا يفكرون بالثـورة والخروج عليه، أو محـاولة التخلص من الظلم الواقع عليهم.

وبغض النظر عن الواقع الذي نعيشه ومدى انطباق هذه النظريات عليه، فإن التاريخ يشهد بوصول الكثير من الحكام التافهين إلى السلطة، وبالتالي ممارسة تفاهاتهم وغبائهم من خلال سلطتهم، وليست سمة عامة طبعاً، ولكنها موجودة بوضوح، ولم تخل دولة من الدول من هكذا حكام تافهين، والتاريخ طافح بمثل هؤلاء، في التاريخ الغربي، وكذلك العربي والإسلامي، وأما الحاضر فهو أفضل عصر تتمثل فيه سياسة التفاهة..



فإن بدأنا بالتاريخ الغربي، فإننا سنقف أمام الكثير من الحالات التي تدل على وجود الحكام التافهين الذين تسلطوا على العباد، وفعلوا الأفاعيل ليثبتوا حكمهم، وتفاهاتهم حتى وصل بهم الأمر إلى القتل والتعذيب، وسننتقل هنا وهناك، حتى تتنوع التفاهات..

كان السود يعيشون في أمريكا المعاناة والمأساة، وكانوا في رتبة دون البشر، يعـملون، ويتعبون، ولا أحد يشعر بهم، بل كانوا يعاملون كالبهائم، وكانت العبودية في أمريكا تشكل مؤسسة منظمة بموجب تشريعات عنصرية وضعها حكام تافهون، يرون أفضلية البيض على السود الذين استقدموهم من وراء البحار، من أفريقيا، لخدمة البيض، وجني محاصيلهم.

كانت هذه الحالة للعبيد في أمريكا، من أعظم السياسات التافهة في ذلك العصر، وكان الشعب الأبيض المسيحي (التافه) يؤيد تماماً هذه السياسات، فهي تعني تسخير الملايين من السود خدماً وعبيداً عندهم، وهذا ما اضطر هيريت ستو إلى كتابة روايتها العظيمة: كوخ العم توم، والتي كانت سبباً في إشعال ثورة العبيد التي استعادوا فيها بعض حقوقهم، فيما عرف لاحقاً بالحرب الأهلية الأمريكية.

وأيضاً أخبرنا التاريخ عن كثير من الفظائع التي ارتكبها الحكام الأوربيون بحق شعوب البلدان التي احتلوها، وخاصة السود في أفريقيا، وكانت كثير من تلك الفظائع ترتكب للتشهي والتسلي، وبداعي السخرية والاستصغار للسود لا أكثر، وكانت تتم بناء على تعليمات من قبل الحكام.

فلا يمكن أن ننسى كيف كان يتم تقطيع أيدي الكونغوليين الأفارقة من قبل البلجيكيين، وبأوامر من زعيمهم ليوبولد الثاني، وذلك طمعاً بجمع المطاط، بل كانوا يقطعون الأعضاء التناسلية للرجال والنساء، ويتم ذلك أمام الجميع، وأي قرية تخالف تصدر الأوامر بحرقها، ولكثرة القتلى في تلك الآونة انخفضت الكثافة السكانية في الكونغو من ٢٠ مليوناً إلى ٨,٥ مليون خلال عامي ١٨٨٠م إلى ١٩٠٣، أي خلال ما يقارب ٢٣ سنة.

ربما يسمي الكثير ما سردناه وما نسرده، جرائم ووحشية، وبالتالي لا علاقة لها بالتفاهة،



وأعتقد أن العلاقة أوضح من أن أجيب عنها، فهي بينة من خلال استحمار واستصغار الأوروبيين يومها لبقية شعوب الأرض، ونظرتهم إليهم على أنهم خلقوا لخدمتهم وطاعتهم، لا غير، وتظهر أيضاً من خلال طريقة تنفيذ هذه الجرائم، فالجرائم كبيرة جداً، ولكنها نفذت بطريقة تافهة ومقرفة جداً، فقد نقل إلينا أنهم كانوا يضحكون ويعيشون حالة الإجرام!

واحتلت فرنسا أجزاء كبيرة من أفريقيا، كانت تمارس فيها سياساتها التافهة على قدم وساق، من تجارة للعبيد في السنغال وجزيرة غوري، بل إن أسعار العبيد الذكور كانت تتحدد وفق عدة معايير مثل الطول والوزن والقوة العضلية، أما بالنسبة للنساء والأطفال فكانت الحالة الصحية وشكل الأسنان تلعب الدور الأكبر في تحديد الأسعار، وكان اقتياد العبيد إلى أوروبا يتم بواسطة بواخر مؤلفة من طابقين العلوي منها للتجار، والسفلي للعبيد(1).

ولن ينسى التاريخ المجازر التي ارتكبتها فرنسا وبقية البلاد الأوروبية، في البلدان حول العالم، وما زلت وصمة عار على أوروبا بسبب حكامها التافهين، الذين كانوا يشبعون رغباتهم في القتل والاستعباد والاغتصاب..

وأما إذا انتقلنا إلى التاريخ العربي والإسلامي فقد جاءت الكثير من القصص التي تدل على ارتكاب التفاهات، التي تشبه إلى حد كبير تفاهات العهد الأوروبي، وأنا هنا لا أتهم العرب أنفسهم، ولا الدين الإسلامي، وإنما أتهم حكاماً تسلطوا فظلموا، وأصبح ظلمهم وبطرهم حكاية على كل لسان..

وقد ذكر القرآن الكريم فرعون الذي قال لقومه: ﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ [النازعات:٢٤]، وأنه كان تافهاً، واستعبدهم بتفاهته، وقد أشار الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ إلى تفاهته وتفاهة شعبه بقوله: ﴿فَٱسۡتَخَفَّ قَوۡمَهُۥ فَأَطَاعُوهُۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ﴾ [الزخرف: ٥٤]، وقال: ﴿وَأَضَلَّ فِرۡعَوۡنُ قَوۡمَهُۥ

(١) انظر: مقال: فرنسا تاريخ حافل بالانتهاكات في أفريقيا، على موقع الجزيرة.



وَمَا هَدَىٰ﴾ [طه: ٧٩]، بل حتى عندما أتاهم نبي الله موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ليخرجهم من ذلك الذل والاستضعاف والهوان ويأمرهم بعبادة الله وحده، نجد أن القرآن يبين رضاهم بذلك المستبد الذي يحكمهم، حيث أن له القوة الظاهرة والملك والحكم، فلا يؤمنون لدعوة موسى كما بينت الآيات: ﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوۡمِهِۦ عَلَىٰ خَوۡفٖ مِّن فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِمۡ أَن يَفۡتِنَهُمۡۚ وَإِنَّ فِرۡعَوۡنَ لَعَالٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ [يونس: ٨٣].

ولما أصدر حكماً بقتل المواليد خوفاً على ملكه، وقتل منهم عدداً كبيراً، والشعب التافه أطاعه، ولك أن تتخيل عدد الآباء والأمهات التي قتل أطفالهم أمامهم بسبب تفاهة فرعون.

وكذلك ما نقل عن الخليفة الأموي مروان بن محمد الحمار، الذي أصدر حكماً بمنع لعبة الشطرنج، ظناً منه أنها تساعد الناس على وضع الخطط؛ لضرب حكم بني أمية، متناسياً أن قيادة الناس من قبل آبائه على أقل تقدير كانت تعتمد على العقل والحكمة لا على التفاهات والغباء.

وكذلك فعل الحاكم بأمر الله الذي قيل إنه أصيب بجنون العظمة، والصحيح أنه أصيب بجنون التفاهة، فحرم أكل الملوخية، ومنع ارتداء النساء الكعب العالي، وأمر الناس بالعمل ليلاً والنوم نهاراً.

وكذلك بهاء الدين قراقوش الذي نقل عنه أنه أمر بتحريم أكل الملوخية والتي كنت تسمى الملوكية على عامة الناس؛ لأنها كما نقلوا عنه خاصة بالملوك وأبنائهم.

وقيل: إن جندياً على عهده ضرب امرأة حاملاً فأسقطت، فاشتكى زوجها إلى قراقوش، فحكم أن تطلق وتزوج للجندي! ونقل عنه أن مئة من الرجال حملوا رجلاً على أنه ميت، فصاح على قراقوش يشتكي له لينقذه؛ فقال له: ويحك، أصدقك وأكذب مئة رجل!!

وهذه القصص إن صحت فهي ليست تفاهة فقط، بل إنه ينظر للشعب على أنهم لعبة بيده، فأعمارهم لا تساوي شيئاً عنده، وتاريخنا مليء بمثل هذه القصص والمرويات، ومنها ما هو صدق ومنها ما هو كذب.



ومن الحكام التافهين في تاريخنا الخديو إسماعيل الذي عرف باستهتاره بشعبه، وأموالهم، حتى أنه سافر في زيارة إلى باريس، فرأى قصراً بالغاً في الجمال، فأراد أن يشتريه، فقال صاحبه ولم يكن يود بيعه: إن سعره كذا وكذا، وذكر رقماً خيالياً ليثني الخديو إسماعيل عن شرائه، ولكن الخديوي اشتراه بهذا المبلغ الكبير من المال، ثم سجله باسم بنت صاحب القصر الفرنسي لأنه أحبها!

ومن التفاهات أيضاً في تاريخنا ما يذكرونه عن خلفاء الأندلس أنهم كانوا يتقاتلون، ويقتلون بعضهم البعض في الوقت الذي كان عدوهم يحاصرهم، ويريد قتلهم كلهم!.

وإذا انتقلنا إلى العصر الحديث والذي نسميه عصر التفاهة السياسي وغير السياسي بكل ما تعنيه التسمية من معنى، فلا نحتاج لأمثلة لنتبينها، لأننا نعيشها، ونستطيع أن نسميها سياسة التفاهة، أو تقنين التفاهة، وهي تدل على ذات معنى عنوان الكتاب نظام التفاهة والذي ألفه آلن دونو..

والسياسة في هذا العصر تتسم عن غيرها من العصور بأنها سمة غالبة على الأعم الغالب، وأنها منظمة، على خلاف العصور السابقة التي تكلمنا عن مقتطفات منها، فإنه الفرع، أما اليوم فنحن نتكلم عن التفاهة على أنها أصل أصيل، ويفترقان أيضاً من كون العصور السالفة كانت التفاهة في الغالب تصدر من قبل الحاكم التافه الذي تسلم الحكم عن طريق الوراثة والملكية، وغالبهم كان صغير السن عند تسلمه الحكم، على خلاف هذا العصر الذي يصل فيه التافه إلى الحكم عن طريق الديمقراطية والانتخابات، وعن طريق الشعب نفسه، وليس بالتسلط والقوة..

وأعظم تفاهة في تاريخ العرب الحديث أن يتسلط بعض التافهين على حكم بلادنا العربية والإسلامية، وإن قلت: إن هذا الكتاب وغيره لو لم يؤلف إلا من أجل أمثال هؤلاء، لما بالغت، فبعد أن تنفس الشعب العربي -بعد ثوراته- الحرية وبذله للكثير من الضحايا ثمناً



لهذه الحرية، وشعر بشيء من الأمان، تحالف التافهون، وأعلنوا انقلاباتهم وأبطلوا ثوراتهم، وجمع الشعب التافه، وأوعز عليهم بالخروج وقتل الناس والنيل منهم، ومحاصرتهم.

كانت أيام عصيبة، وقف العاقلون يومها عاجزين عن القيام بشيء، ينظرون إلى التفاهة كيف تنتصر على العقل، وينظرون كيف تسرق البلاد منهم، والعالم بأسره يبارك ذلك، تماماً كالتفاهة التي تحدث في سوريا منذ عام ٢٠١١م حيث ما زال الشعب يقتل بدم بارد وبكل الوسائل من الأسلحة الكيميائية، والبراميل المتفجرة، واغتصاب النساء في المعتقلات، وحرق الجثث في أقبية فروع الأمن، وهذه مجازر منظمة لم يشهد التاريخ لها مثيلاً، والأفظع من ذلك كله، أن العالم بدأ يعترف به شيئاً فشيئاً وكأنه لم يفعل شيئاً، بل إنه أنجز الكثير من المسلسلات والأفلام التي تظهر الشعب الأعزل في مظهر الإرهاب والمعتدي، وأنه كان محقاً في كل شيء فعله، وأنه كان في موضع المدافع عن نفسه لا القاتل، فهل رأيتم تفاهة أشد وأوقح من هذه التفاهة!؟ وهل رأيتم قاتلاً يقنع العالم بأنه هو المقتول، وهذا العالم التافه يتضامن معه، وكثير من الدول والحكومات فتحت سفاراتها، واعترفت بالجزار حملاً..

والآن تعاني الشعوب العربية، وتذوق الأمرين جوعاً وعبودية تحت هؤلاء الظلمة، وتحت مساعديهم من التافهين، والمستفيدين منهم ومعهم من التجار والعسكريين، وعموماً فجميع الحكومات العسكرية في العالم فيها التفاهة ظاهرة، واضحة..

وبعض الحكام أصيب بجنون العظمة، فأخذ يغير أسماء الشهور، حيث غير اسم يوليو إلى ناصر نسبة إلى جمال عبدالناصر الرئيس المصري، وأعلن تخليه عن التقويمين الهجري والميلادي، وتبنى تقويماً جديداً لبلاده، يبدأ من وفاة النبي ﷺ، لا من هجرته، بل إنه كان يحمل معه خيمته في كل سفر يسافره، وكان بعضهم يسمي نفسه القائد الأممي، وعميد الحكام العرب، وملك ملوك أفريقيا، وإمام المسلمين، واقترح أن ينتهي الصراع الفلسطيني الإسرائيلي بإقامة دولة موحدة تجمعهما تسمى: إسراطين!

ومنهم من صار يخطب في مسجد، وحرَّف القرآن الكريم، حيث دعا إلى حذف كلمة



﴿قُلْ﴾ من القرآن الكريم، باعتبارها موجهة إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا إلى الأمة..

ولنا وقفة قصيرة مع تفاهات حاكم آخر، حيث يتسلم السلطة، ورئيس مجلس الوزراء، ووزير الدفاع، ووزارة الخارجية، ووزارة المالية، وحاكم البنك المركزي، والقائد الأعلى للقوات المسلحة، ويحكم بلاده منذ عام ١٩٧٠م!

ولنترك الحكام العرب قليلاً، ونمضي إلى أقصى الشرق، إلى الرئيس الكوري الشمالي كيم جون أون، الذي يلقب نفسه بالزعيم العزيز، والذي له الكثير من المواقف التي تبين تفاهته، فقد أعدم وزير الأمن القومي سانغ هون بقاذفة اللهب؛ لأنه لم يصفق له بحرارة، وبحضور عدد كبير من المواطنين، وأمام عائلته! ثم أعدم زوج عمته حيث ألقاه عارياً في قفص، ومعه ٥ مسؤولين آخرين، وأطلق عليهم ١٢٠ كلباً بعد تجويعها، بعد أن اتهمهم بمحاولة انقلاب عليه! وأعدم وزير التعليم الكوري لأنه غفا وغلبه النعاس خلال اجتماع رسمي!

ومن تفاهاته أيضاً أنه أصدر قراراً يحدد فيه قصات الشعر المسموح بها في البلاد للنساء، والتي تميز المتزوجات وغير المتزوجات، وأما قصات الشعر للرجال فتبلغ ٢٨ نوعاً، ويشترط فيها كلها أن يكون طول الشعر ٥سم لا أكثر، مع حلق الزالفين! ومنع المواطنين من تسمية مواليدهم على اسمه، أو على اسم والده، وهدد الولايات المتحدة الأمريكية بحرب لأنها بثت فيلماً فيه إساءة له، وغيّر توقيت كوريا الشمالية، وأعاد كتابة تاريخ البلاد كما يشاء هو، وأعلن أن تاريخ ميلاده عطلة رسمية، ومنع القنوات التلفزيونية الفضائية الخارجية مهما كانت، حتى لو كانت من جارتها كوريا الجنوبية الحدودية معها!

ولكوبا مع حكامها حكاية لا تنتهي، حيث لم تسمح الحكومة الكوبية للمواطنين ببناء مساكن خاصة بهم إلا في عام ٢٠١٠م، وسمح لهم كذلك بترميم وتحسين منازلهم، وكانوا من قبل يسكنون في مساكن من إنشاء الحكومة فقط، ولا يسمح لهم بترميمها إلا بموافقة من الحكومة، كما أنهم لم يعرفوا الانترنت إلا منذ سنوات قليلة، وكل ذلك لأن كوبا تطبق

النظام الاشتراكي بحذافيره، وبطريقة تافهة جداً.

وهناك.. في سلطنة بروناي، خرج شعب السلطنة -والذي يتعامل بثقافة القطيع- بمسيرة استقبال لسلطانهم آل بلقية وأخذوا ينشدون له: طلع البدر علينا، وهو النشيد الذي قيل إن أهل المدينة المنورة استقبلوا به النبي ﷺ.

وكذلك حرب بوش الابن في أفغانستان، والعراق، وسياسة ترامب التافهة في العالم الثالث حيث لم يعد يولي حقوق الإنسان أهمية كبيرة، فالمهم عنده جمع المال، وسرقة النفط، فقد صرح علانية أنه لن يترك سوريا حتى يأخذ حصة أمريكا من نفطها بشكل كامل، ودعم الغرب للمثلية، وهي الشذوذ الأخلاقي، كلها من السياسات التافهة في هذا العصر.

ومن لديه إلمام بأبسط تعريف من تعريفات السياسة، وبأدنى شأن من شؤونها، يكتشف بنظرة واحدة المدى المخيف، الذي وصلته ممارسة السياسة في العالم، من قبل بعض الحكّام، وأعوانهم، ووزرائهم السياسيين، ومستشاريهم المختصّين في السياسة، مما يثير دهشة أي غريب ينظر في شؤون الأمّة! **والنماذج كثيرة جداً، ومن أهمّها:**

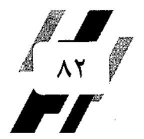
تحطيم أيّة قوّة للأمّة على أيدي حكّامها وأعوانهم؛ سواء أكانت القوّة:

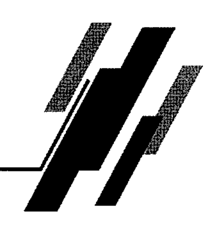
بشرية فتُحطّم في السجون والمنافي، والإعدامات المادّية والمعنوية.

أم مالية فتحطّم عبر البعثرة الغريبة، لأموال الأمة على وسائل اللهو والعبث، وعلى الصفقات المريبة، لشراء كميات هائلة من أسلحة ليس لها من يستعملها.

أم عسكرية فتحطم عبر معارك مأساوية، مع بعض فئات الأمة، بحجج شتى، وذرائع مختلفة[1].

(١) انظر: مقال عبدالله عيسى السلامة بعنوان: أمواج التفاهة تعلو في الرجال والمواقف! فماذا وراء الأكمة؟ على موقع رابطة العلماء السوريين.





التفاهة في الإعلام والسوشل ميديا

يطلق مصطلح الإعلام قديماً على الصحف والتلفزيون والإذاعة، وأما السوشل ميديا فإنه يطلق على وسائل التواصل وإيصال المعلومات الحديثة كاليوتيوب والفيسبوك والسناب شات والتليغرام والواتساب وغيرها من الوسائل.

ومصطلح الإعلام أعم من مصطلح السوشل ميديا، فجميع وسائل التواصل التابعة للسوشل ميديا هي إعلام، بل هي اليوم تجتاح وتغطي وسائل الإعلام القديمة المقروءة كالجرائد والصحف، والمرئية كالتلفاز، والمسموعة كالإذاعة.

وإذا كانت التفاهة في السياسة هي أخطر أنواع التفاهة لتعلقها بالدماء ومصير الأمم، وانحطاطها، فإن التفاهة في الإعلام **هي أكثر أشكال التفاهة انتشاراً**، حتى أنها غطت على غيرها، ونستطيع أن نقول إنها ناتجة عن التفاهة في السياسة؛ لأننا غالباً نرى أن الإعلام في السياسات التافهة يكون تافهاً، أما إعلام السياسات الهادفة والعميقة فيكون عميقاً، أو على الأقل في غالبه، فالإعلام يتبع الدول، وتضع له شروطاً وأحكاماً للعمل والتأثير.

والتفاهة في الإعلام من الوضوح بمكان، ويأنفه كل ذي عقل وحرص وكرامة، ويكفي العاقل أن يتابع بعض الفضائيات العربية، ساعة واحدة، ليرى الهوَّة السحيقة، التي سقطت فيها هذه الفضائيات، ومن يعمل فيها، ومَن يوجِّه أنشطتها[1].

---

(١) انظر: مقال عبدالله عيسى السلامة بعنوان: أمواج التفاهة تعلو في الرجال والمواقف! فماذا وراء الأكمة؟ على موقع رابطة العلماء السوريين.



والإعلام كما أن له عيوباً وتفاهات فله محاسن ومنافع، وعيوبها ومحاسنها مما عمت به البلوى، فإنها كما قربت النفوس، فإنها باعدت الأرواح، فلا أحد ينكر أثرها السيء على الناس صبياناً وشباباً وكهولاً، وإن من محاسن وعيوب وسائل التواصل بمختلف أنواعها، أنها مباحة للجميع بلا شروط أو قواعد، فالجميع يمكنه استخدامها واللجوء لها، الجاهل والمنحرف والمجرم والمتمارض والنصَّاب، وكذلك المفكر والمثقف والفيلسوف والباحث والطبيب والمحامي، فلا حدود ولا مزايا لمن يريد استخدامها، ولعل الخطأ الأكبر في هذه الخدمة العولمية الحتمية أنها تفتقد للمعايير التي تحفظ مكانة المواهب، وتعطيها حقها وقيمتها الحقيقية، فيمنعون أو يقنون المحتوى السيء والإباحي والتافه فيها، بشروط وأحكام وقاعدة معلومات، ولو أرادوا ذلك لفعلوا.

ولهذه الأسباب وصف بعض الكتاب والمفكرين أن هذا الإعلام شجع على سطحية التفكير، فسابقاً كان التفكير أعمق، والكتاب كان أعمق، والمقال والعمود كان أعمق، الآن أصبح سطحياً، وبالنتيجة أصبحت المعلومة بلا معنى، بلا تحليل، وبلا تفكير، وهذه هي مشكلة العصر الرقمي، حيث أصبحت وسائل الإعلام صانعة للتفاهة، فاليوم النجم في شبكات التواصل الاجتماعي، ليس المفكر وليس الكاتب وليس المثقف، بل هو الذي يقدم المحتوى التافه غير الهادف، وغير الرصين، وإنما يعتمد على طريقة معينة تثير الضحك وتلامس المشاعر والعواطف، وتدغدغ الشهوات والملذات(١).

فهذه الوسائل كشفت كل شيء، سواء كان قبيحاً أو جميلاً، إلا أن نفوس الناس في هذا العصر تميل للقبيح بفطرتها وطبيعتها، ولكثرة المغريات من حولها، وخاصة أن هذه الوسائل تعرضها بلا معايير ولا محددات أو ضوابط، والراعي الذاتي والضمير أصابه الخمول، لقلة الوعي الثقافي والفكري والأخلاقي، ولا همَّ للشركات سوى زيادة مستويات التفاهة

---

(١) انظر: مقال عبدالرزاق عبدالحسين، بعنوان: صناعة التفاهة ماركة الشبكات الاجتماعية، على موقع شبكة النبأ المعلوماتية.



عند الجمهور لمضاعفة أرباحها، والمشكلة الأكبر هو صعوبة وضع حد لهذا الانحدار المريع نحو الهاوية.

فالجهد الثقافي والفكري المبذول فيها لا يتناسب مع كم التفاهات والانحطاط المعروض عليها، وبالتالي أضحى هذا الجهد غير قادر على صد هذا السيل الجارف من التسطيح، ولا مجال للعودة إلى الوراء، والتخلص من هذه الوسائل الإعلامية، لأنها أضحت واقعاً معاشاً، ومما يعم به البلوى كما يعبر الفقهاء المسلمون[1].

فلاشك **أن الإعلام بجميع أشكاله سلاح ذو حدين،** وهذا مجمع عليه بيننا، ولا يشك فيه عاقل، إلا أن المشكلة أن الحد الذي يمثل الفضيلة والخير والعلم والمنفعة فيه مثلوم، وأكله الصدأ لقدمه وعتقه، وسوء استخدامه، بل انعدام استخدامه، وعدم التشجيع عليه، وترويجه بالطريقة المناسبة والجميلة التي توصله إلى النفوس بطريقة جيدة، ومناسبة.

بينما تنظر إلى الحد الآخر والذي يمثل الشهوات والشر والرذيلة والمضرة فتراه ممشوقاً في كل مكان، وترى أن أكبر رؤوس الأموال في العالم قد تبناه، ودعمه، ويروج له، بل إن أكثر الشركات العالمية تعتاش عليه، فالمحتوى الإباحي مثلاً أصبح تجارة لحصد المليارات.

فلا مقارنة أبداً بين الحدين، لأن كثيراً من صناع التفاهة يبرزون بصورة لافتة، إما عن طريق التمثيل أو الغناء، أو السناب شات، أو الانستغرام، أو التويتر، أو الفيسبوك، ويجدون من أفراد المجتمع من يدعمهم، ليحولوهم إلى مشاهير الغفلة، كما تجد أن بعض وسائل الإعلام تسلط الضوء عليهم لإشهارهم وهذا بالطبع يعطي صورة مشوهة عن المجتمع، كما أنه يزرع ثقافة التفاهة بين شريحة الأطفال الذين هم عماد المستقبل، وهو ما يجعل المستقبل أكثر تفاهة وسوداوية بالنسبة للأطفال في ظل شهرة تلك الشريحة.

---

(١) المرجع السابق.



ومن يتتبع الكثير من برامج التلفزيون أو مسلسلاته أو مسرحياته يجد الكثير من تلك التفاهات، ومن يتتبع ما تخرجه برامج التواصل الاجتماعي كالسناب شات والتويتر والفيس بوك والانستقرام يجد أن هناك بعض المشاهير قد بلغت شهرتهم الآفاق(١).

فالإعلام شارك وبقوة في تنمية وتضخيم ظاهرة التفاهة وشرعنتها، وتخدير الشعوب لتقبلها، وجعلها حالة مقبولة في المجتمع، وبين أبنائه، بل كان الإعلام يحرض بكل ما تعنيه الكلمة من معنى، وبالتالي ساهم الإعلام بدفع الثقافة والجد إلى الزوايا الجانبية من خلال رفع التفاهة والتافهين على الشاشات(٢).

بل إنه وفر لهؤلاء التافهين فرصة للظهور والانتشار والخروج من جحورهم، بعدما تطبّع الناس تدريجياً مع هذا العبث الإلكتروني، من خلال الدفع بهؤلاء النكرات والمجاهيل والمغمورين الذين لم يكونوا شيئاً مذكوراً دفعت بهم إلى مدارج الشهرة ومصاعد النجومية، نتيجة قيامهم بأعمال عبثية وأشياء تافهة(٣).

فوجدت التفاهة فرصتها العظيمة عبر شبكات التواصل الاجتماعي وكالأخطبوط تمد أذرعها في كل مكان للتشويّش على التميز والإبداع، وتحيل المشاعر النبيلة إلى لذّات وشهوات تافهة تنخر في جسم المجتمع(٤).

ومما لا يحتمل الشك أن الوظيفة الحقيقية للإعلام هي الإخبار وتشكيل الرأي العام وتوجيهه نحو القضايا المصيرية والمهمة، علاوة عن دوره في عملية التثقيف والتوعية، إلا أن الإعلام لاسيما الخاص منه مارس وظيفة عكسية أخذت على عاتقها الحط من الذوق العام،

---

(١) نقلاً عن مقال عبدالرحمن رفيق، بعنوان: هواة التفاهة، على موقع مقال.
(٢) انظر: مقال مالك الأحمد بعنوان: الإعلام وصناعة التفاهة، على موقع جريدة الأمة الإلكترونية.
(٣) انظر: مقال سليمان الطعاني، بعنوان: ثقافة التفاهة، على موقع وكالة عمون.
(٤) انظر: مقال سليمان الطعاني، بعنوان: ثقافة التفاهة، على موقع وكالة عمون.

وتدمير وعي الجمهور من خلال اعتماد استراتيجيات التسطيح الفكري والتصحر الثقافي، وتبني خطاب ركيك وتافه[1].

وحتى لا يكون كلامنا مرسلاً، فسنلقي الضوء على بعض التفاهات في كل مجال من مجالاته على وسائل الإعلام، حتى ندرك جيداً أننا غارقون بالتفاهة من أخمص قدمنا، حتى أعلى رأسنا، وأننا نحتاج لسنين طويلة، وجهد مكثف كي نغسل أنفسنا وأجيالنا -سبعاً وإحداهن بالتراب- من آثارها ونتنها، وهي لمحة سريعة إلى البعض لا الكل.

برامج الأطفال

ربما لا تكون أسوأ أشكال التفاهة هنا، لكنها أخطر الأشكال الإعلامية من التفاهة، بسبب استثنائية الشريحة المستهدفة، واتساعها، وعدم امتلاكها الوعي اللازم للتمييز بين المحتوى الهادف من التافه، ولذلك تشكل هذه التفاهة خطراً على الشعوب من هذه الجهة، لأنك إن أفسدت جيلاً من الأطفال فأنت تفسد أمة بحالها في المستقبل.

وهناك فرق كبير بين ماضي وحاضر إعلام الأطفال، وخاصة على الشاشات العربية، فقد بدأ تقريباً في الثمانينيات بعد تأسيس مركز الزهرة، وكان المركز يتبع سياسةً صارمةً من ناحية اللغة والنطق الصحيح، والمحاولة قدر المستطاع أن تكون حركات الشفاه مناسبةً للصوت، بالرغم من الإمكانيات المتواضعة حينها، ناهيك عن الدبلجة الاحترافية واللغة الغنية، فكانت تعتمد الجدية في تناول المواضيع المناسبة للأطفال.

كانت أغلب الأعمال التي دبلجها المركز غنيةً فكرياً بمحتوى تربوي بحت يهدف لإغناء خيال وفكر الطفل[2].

---

(١) انظر: مقال رحمة خميسي، بعنوان: كفى تطبيعاً مع التفاهة والرداءة، على موقع تونسaltra.

(٢) انظر: مقال أحمد بركات، بعنوان: برامج الأطفال، بين ما اعتدنا عليه في صغرنا ونوعية البرامج الحديثة الموجهة لأطفال اليوم!، على موقع موفيكتوس.



ومع ذلك فقد كان الحيز الممنوح لهذه البرامج صغيراً جداً، فقد كان عبارة عن ساعة أو ساعتين، خلال اليوم، لأن القنوات التي كانت تبثها هي القنوات الحكومية الرسمية، وفي عام ٢٠٠٠م تأسست قناة سبيستون Spacetoon، ومن بعدها الكثير من المحطات الخاصة بالطفل وبرامج الأطفال، مثل قناة MBC الخاصة بالأطفال، وقناة كرتون نيتوورك Cartoon Network.

❊ وغالب **برامج الأطفال القديمة** كانت تقدم محتوى شبه حقيقي من حيث الشخصيات، والمحتوى الجدي الهادف من خلال القيم والأخلاق التي يدل عليها، ويعلمها للأطفال، بل كثير منها كان يشتق من روايات عالمية شهيرة ومؤثرة وهادفة، مثل:

❊ **برنامج (فلونة)** فإنه مأخوذ من الرواية العالمية الشهيرة: عائلة روبنسون السويسرية، للكاتب يوهان ديفيد فيس، حيث تدور أحداثها حول عائلة روبنسون الذين تنقطع بهم السبل في البحر بعد غرق سفينتهم، وبالتالي يلجؤون إلى جزيرة نائية مقطوعة، فيضطرون للتأقلم معها، والعيش وفق ما تتطلبه الحياة والوضع الجديد في الجزيرة، وقد علمت الأطفال الكثيرة من المعاني والقيم، ففضلاً عن دبلجتها العربية القوية من خلال اللغة الفصيحة والمعربة، فإنها علمت أطفالنا طاعة الأبناء لوالديهم، والتعاون بينهم في ملمات الحياة، والرضا بما يتاح.

❊ وكذلك **برنامج الدونكيشوت** Don Quixote فإنه رواية للأديب الإسباني ميغيل ثيربانيس سابيدرا، ويدور حول رجل يفقد عقله لشدة تعلقه بقصص الفرسان، فيخرج من بيته بترسه المهترئ وحصانه الهزيل، ليكون رفيقه في رحلته للقضاء على الأشرار التي يقاتل خلالها طواحين الهواء معتقداً أنها غيلان عملاقة، وقد علمت أطفالنا ضرورة الانتصاب للدفاع عن المظلوم، ونجدة النساء، وكل من يحتاج للمساعدة، وإحياء روح الفرسان[1].

---

(١) المرجع السابق.



حتى تلك التي لم تكن مأخوذة عن الروايات العالمية الشهيرة كانت ذات محتوى هادف وجدي بعيد كل البعد عن التفاهة، ومن هذه البرامج التي تركت أثراً كبيراً في نفوسنا، وفي نفوس الأجيال السابقة وتحمل الجدية بكل معانيها:

❊ **برنامج صراع الجبابرة** أو صقور الأرض أو أسياد الشرق، وهو برنامج ياباني من تأليف ورسم ميتسوتيرو، والذي دبلجه بشكل رائع وعظيم مركز الزهرة للغة العربية، وتدور أحداثه حول معركة الخير والشر، وبدأت أحداثه في الصين بعد ضعف حكم سلالة الهان، وتندلع حرب طاحنة في البلاد، وينقسم المتقاتلون إلى من يمثل الخير بقيادة (ليو باي) أو عبدالرحمن بالعربية، و (كوان يو) أو حمزة بالعربية، وصديقهم الثالث (جانغ فاي) أو حكمت بالعربية، ويبين البرنامج كيف ينتصر الخير على الشر، ويسحقه، وفي هذا الصراع تتمثل الإنسانية والمساعدة بين أبناء الأرض، وحب الوطن، ووجوب الدفاع عنه، وحمايته.

❊ **برنامج مغامرات الفضاء، أو جراندیزر**، وهو برنامج ياباني، من تأليف جو ناغاي، وهو يمثل حالة الصراع بين الخير وهم أهل الكواكب بما فيها الأرض، وبين الشر الذي يمثله فيغا الكبير الذي يسعى لاحتلال الكواكب ونهب خيراتها، وفي يوم من الأيام يقوم فيغا الكبير بغزو كوكب فليد المسالم، لكن يتمكن دوق فليد وهو ابن ملك الكوكب فليد من الهرب من خلال سرقة الغرندايزر الذي كان يطور على كوكب فليد المتقدم علمياً، ويقود غرندايزر إلى الفضاء الخارجي، إلى أن يسقط بعد أيام متعباً على كوكب الأرض، ويعثر عليه الدكتور آمون رئيس مركز أبحاث الفضاء في اليابان، ويقوم بتبني دوق فليد دون الإفصاح عن حقيقة شخصيته، ويطلق عليه اسم دايسكي، وتبدأ أحداث التصدي للشر والتغلب عليه، والدفاع عن كوكب الأرض.

❊ **المحقق كونان**، وهو برنامج ياباني، من تأليف غوشو أوياما، وتدور أحداثه حول المحقق كونان إدوغاوا، الذي تقلص حجمه إثر تناوله لدواء سام، فيظهر بمظهر طفل



في السابعة من العمر ولكن عقله لم يتأثر، ويخفي هويته الحقيقية كي لا تكتشف **المنظمة السوداء** أنه ما زال على قيد الحياة، فيحاولون التخلص منه ومن أصدقائه من حوله، ومهمته بشكل أساسي التحري عن خفايا الجرائم التي ترتكب، ويبلغ من الذكاء ما يجعله ينتبه إلى صغير الأمور والتفكير فيها للوصول إلى الفاعل.

وغيرها الكثير من البرامج الكرتونية الهادفة، التي لا تكاد تلمح ملمحاً للتفاهة بين مشاهدها، بل تعج بالأهداف السامية، وأكثرها زادت روعة بعد دبلجتها للغة العربية بطريقة احترافية ومتقنة.

وإذا انتقلنا بعد ذلك إلى حاضر أفلام الكرتون المعدة للأطفال سنكون أمام كم كبير وغالب من التفاهة، وعدمية الهدف والغاية، وإنما الغالب عليها التفاهة والضحك والسخرية، وغرابة الشكل حيث تجد بعض أفلان الكرتون الجديدة مفزعة ومرعبة، من خلال إعطاء الحيوانات دوراً أكبر من البشر بكثير، بل ربما لا تكاد تجد البشر في كثير منها، وإنما تجد أشكالاً غريبة، فبعضها له ثلاثة عيون، وآخر له العشرات من العيون، وبعضها أنفه طويل جداً، وبعضها لا تناسق البتة بجسمه، إضافة إلى أنك لا تستطيع تصنيفهم، ولا تدرك الغاية من سلوكهم، ولا تعرف قصة البرنامج الكرتوني، لأن المقصود منها إثارة الأطفال فقط، من خلال الحركات والأصوات.

ومما فقدته برامج الكرتون العربية اللغة العربية السليمة، حيث انتشرت الكثير من برامج الكرتون التي تتحدث العامية الخليجية أو المصرية أو غيرها من اللهجات، مما جعل الأطفال يفقدون صلتهم بلغتهم العربية الفصحى، وأنا هنا أتكلم عن الأعم الغالب لا الكل.

ومن البرامج التي انتشرت بكثرة رغم أنها تافهة، وليس من ورائها هدف:

❊ **برنامج سبونج بوب**: وهو شهير جداً بين أطفالنا، وهو أمريكي الأصل، ألفه عالم الأحياء ستيفن هيلنبرغ، ويحكي قصة إسفنجة مربعة، صفراء اللون، وتسكن في قاع المحيط



الهادئ، وهو أعد لإثارة الطرافة والضحك فقط، لأنه لا يحمل أية معاني أخرى هادفة.

❊ **برنامج غامبول**: وهو من إنتاج بريطاني أمريكي، أنشأه بن بوكيليه، وغامبول هو شخص قليل التفكير يريد أن يري الناس أنه ذكي لكنه ليس كذلك، ويقع في الكثير في المشاكل لكن بمساعده أهله ينجو من المشاكل، و يحاول جعل نفسه بطلاً.

❊ وغالب البرامج الكرتونية اليوم من هذه الشاكلة فهي غارقة في الخيال، تفتقد إلى الهدف، وتعتمد على المزاوجة بين الموجودات، ففي غالبها يعيش البشر إن وجدوا مع حيوانات ونباتات وجمادات تتكلم، وربما معهم مخلوقات لا يمكن تصنيفها مع واحدة من هذه الأربعة، إضافة إلى القدرات الخارقة والعجيبة التي تتمتع بها الشخصيات كنوع من السحر والشعوذة.

وهذا لا يعني عدم وجود محتوى جيد هنا وهناك، إلا أن الغالب هذه حاله من التفاهة.

ولابد من الإشارة إلى غياب المحتوى العربي والإسلامي الأصيل، الذي يكون أصل إنتاجه عربياً أو إسلامياً خالصاً، إلا بعض الأعمال التي بدأت تظهر، وفي غالبها يحمل التفاهة ذاتها.

وهناك بعض الأعمال الجيدة، ومنها:

❊ **كرتون النقيب خلفان**، وهو عمل إماراتي من إنتاج شركة ماجد للترفيه، تدور أحداثه حول قيام النقيب خلفان ومعه المساعد فهمان، والملازم مريم، بملاحقة اللصوص والمجرمين، والقبض عليهم بطريقة احترافية وذكية، وقد أعد بلغة عربية جيدة، وهدفه تعليم الأطفال الذكاء والتفكير في تفاصيل الأمور للوصول إلى رأس خيط المشكلة أو الجريمة.

❊ **كرتون منصور**، وهو من إنتاج إماراتي، وتدور قصته حول الفتى منصور، ومغامراته مع أصدقائه، وهو يحب المغامرة، واكتشاف كل جديد، ولذلك قام بصناعة روبوت ذكي واسمه نانو، فيتبعه أينما يذهب ليزوده بالمعلومات التي يحتاج إليها، ومشكلة هذا المسلسل



أنه معد باللهجة الإماراتية العامية، ولكن أهدافه تعلم الأطفال الكثير من الأشياء الجديدة، والمغامرات، وتعاون الأصدقاء فيما بينهم، وحبهم لبعضهم.

❊ **أما البرامج الإسلامية** فلا تكاد توجد، وإن وجدت فتعرض بطريقة تقليدية مملة، وليس فيها من التشويق ما في غيرها من البرامج، فضعف الجودة باد عليها، وتأثير اللهجة المصرية غالب، لأنها في غالبها من إنتاج مصري.

وظهرت العديد من القنوات التي تركز على الأناشيد الإسلامية الخاصة بالأطفال، كقناة طيور الجنة، وفيها بعض البرامج التي تحث على الجدية والأخلاق والقيم، التي تتعلق بالوالدين والأسرة والجيران والمجتمع الذي يعيش فيه، كما قدمت قناة سبيستون العديد من هذه البرامج والأناشيد في القيم والجدية والهدف.

البرامج الفكاهية والتهريجية

وطبيعة هذه البرامج تقوم على أساس لفت انتباه المشاهد من خلال مواقف ومشاهد مضحكة، أو فيها (مقالب)، فتقوم بشكل عام على الكوميديا، وفي بعض الأحيان تكون هذه البرامج مصطنعة، وغير عفوية، ولذلك تبدو تافهة بشكل واضح.

وهذه البرامج كثيرة ومتعددة، وتشكل مادة تسويقية للقناة التلفزيونية، فكثيراً ما يدفع المال الكبير لأحد المشهورين لاستضافة شخصيات مشهورة، وعقد برامج كهذه، أو برامج حوارية مع مشاهير يتكلمون فيها عن حياتهم اليومية، أو عن أخبارهم الفنية، وتحليلهم للوقائع اليومية، ومن ثم ربط المشاهد بهذه القناة بعد الانتهاء من البرنامج.

ويتخلل هذه البرامج الكثير من الفقرات التي تساهم في توضيح التفاهة، وتلقينها للمشاهد، كالأغاني الهابطة، والرقص من قبل الشخصيات المشهورة، أو أن تدور الأسئلة حول بعض الأشياء التي تجرح الفضيلة عن المشاهد؛ كالأسئلة الجنسية، أو الأخلاقية.



ومن هذه البرامج، برامج الكاميرا الخفية، ومنها برنامج ما قدمته قناة MBC في برنامج: رامز، والذي تقدمه في رمضان من كل عام تقريباً، وهو يتكون من عدة نسخ، وكل نسخة عبارة عن (مقالب) يقوم بها المقدم ليوقع المشاهير فيها، من خلال طائرة في الجو وتخويفهم من عطلها وبالتالي وقوعها، ومشاهدة ردة فعل المشاهير، أو برحلة بحرية ومن ثم السقوط في الماء، وظهور سمك القرش، وغيرها مما يسمى مقالب.

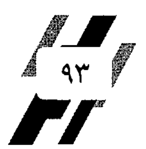
وهو برنامج سخيف وعبثي، ولا يقدم أي فائدة، إلا لفت نظر المشاهدين إلى أشخاص ساذجين، ومشكلة هذا البرنامج أن غالب المشهورين (ضحايا المقالب في البرنامج) يمثلون خوفهم وانبهارهم من المقلب تمثيلاً، أي أنها ليست مقالب حقيقية وعفوية، وإنما تمثيل ودجل..

البرامج الدينية

للبرامج الدينية وقع خاص على قلب المشاهد، للدور الكبير الذي يلعبه الدين في حياة الشعوب العربية والإسلامية، ولذلك كثرت القنوات الدينية الناشطة، وكذلك انتشرت برامج الفتاوى والاستفسارات التي تتعلق بحياة الناس اليومية.

ولم تخل هذه البرامج من مواقف تافهة، حيث قامت الكثير من حكومات التفاهة بتغيير مسار هذه البرامج لخدمتها، والتسويق لسياساتها، وخاصة إذا كان الشيخ أو المفتي صاحب جمهور عريض، أو قاعدة شعبية واسعة، فالدراسات تدل على أن البرامج الدينية هي الأكثر متابعة من قبل المشاهدين والمستمعين في شهر رمضان وغيره.

ولذلك كانت إحدى طرق تسويق القنوات، فحتى القنوات التي لا يمكن وصفها بأنها دينية، أصبح من سياساتها استقبال عالم شرعي ليجيب عن أسئلة الناس، والدافع على ذلك ليس ميلهم وحبهم للدين وأهله، وإنما رغبتهم في تسويق وترويج قناتهم عند الناس.



والظاهرة التي لا بد من لفت الانتباه إليها هي ظاهرة صنع دعاة الإعلام، حيث قامت بعض القنوات بتبني بعض الشخصيات التي تنسب إلى الدعوة الدينية، وتوفير الساعات والبرامج لها لتعبر عن وجهة نظر الحكومة أو الدولة وبالتالي تهجين الشعب على الرضى بكل ما تقدمه هذه الدولة من سياسات سواء وافقت الدين أو خالفته، ما دام هذا الداعية قد رضي عن هذه السياسات وروج لها.

وبعض الدعاة يملك سطوة الجاذبية من خلال طريقة إلقائه أو انتقاء موضوعاته فيتم استثماره إعلامياً من قبل القنوات الفضائية، فيقدمون مادة دينية ضخمة، إلا أنها في تضاعيفها تقدم الكثير من التفاهات التي تريد الحكومات التافهة ترويجها.

ومن هذه الشخصيات، شخصية الداعية المشهور وسيم يوسف، وهو داعية أردني يقيم في الإمارات، وقد اشتهر في الآونة الأخيرة بشكل كبير بين الناس، وأصبح شخصية مؤثرة على القاعدة الشعبية المهتمة بالقضايا الدينية وغيرها، إلا أنه تم استثماره من قبل الحكومات التي تبنته ودعمته، فصار يتكلم في السياسة ويبرر جميع القرارات التي تصدرها، حتى ولو كانت غير مرضي عنها من قبل الأوساط الدينية ومشايخ الفتوى المعروفين بعلمهم.

فمع بداية الثورة السورية، وعندما كانت مصلحة الحكومات مع الثورة، وضد النظام، كان هؤلاء الدعاة ومنهم وسيم يوسف يظهرون على القنوات التلفزيونية، ويفتون بالجهاد، وأنه من أوجب الواجبات اليوم، ومع مرور الأيام وبعد عدة سنوات، ومع تمكن النظام وإعادة سيطرته على مساحة واسعة من سوريا خرج المفتون أنفسهم الذين أفتوا بالجهاد سابقاً، وأفتوا بتحريم خروج الشباب الخليجي والعربي للجهاد في سوريا، وأننا أمام فتنة عظيمة تأكل الشباب، ولم يكن ذلك تغيراً في الفتوى من حيث مناط الحكم، أو علته أو سببه، بقدر ما هو تغير بمواقف الدول الداعمة لهذا الداعية، وبالتالي لا حرج من تغيير الفتوى، وإن كان فيها إحراج له!



وهناك الكثير من الدعاة التي تعبر عن هذه الشكلية من التفاهة الدينية التي يتم تعليبها وتقديمها للمشاهد، حيث يفقد المشاهد مع الأيام ثقته برجال دينه وبالدعاة، لأنهم من المفروض أن يكونوا النخبة التي لا يمكن توجيهها إلى اتجاهات خاطئة وموجهة حسب المصالح.

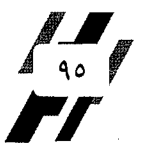
وكم رأينا من دعاة ومشايخ أفتوا بوجوب الجهاد في بلاد، وحرموا الجهاد في بلاد أخرى لعدم توافق فتواهم مع توجه الدولة التي تدعمهم، أو تستقبلهم، وهذا إن دل فإنما يدل على مدى الواقع الذي من الممكن أن نسميه صناعة الدين التافه، والذي يتم تغليفه بغلاف الدين الحق.

ومن الأمور اللافتة للانتباه إمكانية صنع تيارات دينية مؤيدة للوجهة السياسية، وتسليمها وسائل إعلام، وضخ أموال طائلة للدفاع عن وجهة نظرهم، وتقوم عقيدة هذه التيارات على تبرير كل شيء يصنعه الحكام التافهون من معاصٍ وذنوب، وتحريم الخروج عليهم بأي وسيلة كانت، ولو بالقول أو الفعل أو التلميح، وبالتالي تحريم جميع الوسائل التي تؤدي إلى ذلك من مظاهرات وغيرها.

وهذه الظاهرة اتخذت العديد من الأسماء، وكلها تحمل المعنى ذاته، كالمدخلية والجامية، وهذا التيار قدم خدمات جليلة لحكومات التفاهة، التي تسعى لفعل ما تشاء، مع وجود مبرر ديني يبرر لهم ما يفعلونه، وكانت بدايات ظهوره في حرب الخليج حيث برزوا -وفقاً لبعض الباحثين- كفكر مضاد للمشايخ الذين استنكروا دخول القوات الأجنبية، وأيضاً كانوا في مقابل هيئة كبار العلماء، والذين رأوا في دخول القوات الأجنبية مصلحة، إلا أنهم لم يجرموا من حرَّم دخولها، أو أنكر ذلك، فجاء المداخلة أو الجامية واعتزلوا كلا الطرفين، وأنشؤوا فكراً خليطاً، يقوم على القول بمشروعية دخول القوات الأجنبية، وفي المقابل يقف موقف المعادي لمن يحرم دخولها، أو أنكر على الدولة ذلك[1].

---

(١) انظر: مقال نبيل غزال، بعنوان: التيار المدخلي النشأة والتوظيف، على موقع طريق الإسلام.



وبات هذا المصطلح -أعني: المدخلية- يطلق على كل من يبرر للسلطات سياساتها الخاطئة، أو يدافع عنها، وإن لم يكن يعترف بانتمائه وتبعيته لهذا التيار، وبالتالي أصبح هذا العنوان يشمل الكثير من الأتباع وعلى اختلاف المشارب والمذاهب والفلسفات.

برامج التنبؤات والأبراج

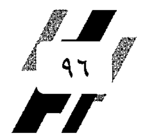
تحظى صفحات الأبراج في الصحف، وبرامجها في التلفاز بمتابعة واهتمام كبيرين من قبل القراء، والمتابعين، بل هناك من يربط مصيره في اليوم أو السنة بقول بعض المشعوذين من أرباب الأبراج والفلك، وهي محاولة لاستشراف المستقبل من خلال حركة الأفلاك والنجوم، وقد تم تسخير الكثير من البرامج لمثل هؤلاء، بل أتيح للجميع خاصية الاتصال بهم وسؤالهم بشكل مباشر والإجابة عن الأسئلة التي تتم عن المستقبل، وما خفي من أحداث سيئة أو جيدة.

والغريب أن كثيراً من هؤلاء المقدمين لهذه البرامج يتم تقديمهم على أنهم أطباء في طب الأعشاب، أو أطباء روحانيون، ونفسيون، ولا يتم تقديمهم على أنهم مشعوذون، والأغرب العدد الكبير من القنوات المخصصة لمثل هذه الأمور، حيث بلغ عدد القنوات المخصصة لهذه الشعوذة والأبراج ما يقارب ٢٨٤ قناة فضائية[(١)].

ووجود مثل هذا الكم الكبير لمثل هذه القنوات، والعدد الكبير من المتابعين إنما يدل على مدى التفاهة التي وصل لها المجتمع، وكان الملتقى العالمي للعلماء والمفكرين المسلمين في رابطة العالم الإسلامي طالب منظمة المؤتمر الإسلامي وجامعة الدول العربية بالسعي لمنع بث برامج قنوات السحر والشعوذة بواسطة الأقمار الصناعية العربية (عربسات) و(نايل سات)، لما أثبتته تقارير عن ممارسة بعض القنوات الفضائية أعمال شعوذة وترويج للسحر،

---

(١) انظر: مقال شيرين الديداموني، بعنوان: قنوات الشعوذة والسحر تتنافس على تغييب وعي المشاهد، على موقع العرب.



إضافة إلى تجنيدها بعض المشعوذين والمشعوذات ممن يدعون علم الغيب والقدرة على حل مشكلات الناس وتلبية احتياجاتهم كالشفاء من مرض، ونيل الرزق، وحدوث الزواج، وكشف المستقبل.

ومع ذلك لم تتوقف الكثير من تلك القنوات عن العمل، واستمرت ببث تفاهاتها وسمومها بين الناس، وهناك الكثير من البرامج التي اشتهرت بين الناس باستقبالها لبعض المشعوذين والمهتمين بهذه الأمور..

وعادة ما يهتم الإعلام بمثل هؤلاء في رأس السنة، حتى يتعرفون على حال سنتهم الجديدة، من خلال الاطلاع على الأبراج، أو التنبؤ بالمستقبل وما كتمه من خير أو شر.

وهذه البرامج جزء من الحرب بين التفاهة والعقل، أو العلم، فإنها تقوم بتخدير الشعب، وثنيه عن غيرها من الأمور، فكثير ممن كان عنده مشاريع علمية ينثني عن إتمامها عندما يسمع مشعوذاً يخبره بأنه لن يتوفق في عمله.

والأمر يبدو أكثر تعقيداً عند الحديث عن ظاهرة في التنجيم كالمنجم الفرنسي نوسترادامس، الذي أشغل العالم بكتابه: النبوءات، والذي ألفه في عام ١٥٥٥م، وأصبح منذ ذلك الحين الشغل الشاغل لكثير من الحكومات والمؤسسات في توجيه نبوءاته التي أصدرها على شكل رباعيات غامضة وغير مفهومة، وبالتالي تحتمل الكثير من الوجوه والتأويلات، وتصبح لعبة بيد الكثيرين لتوجيه تنبؤاته إلى ما يشاؤون من أحداث لإقناع العالم بأن وقوع هذه الأشياء أمر مفروغ منه، وبالتالي زرع النفسية والقابلية لتقبل هذا الشيء المراد ترويج حدوثه.

وبالتالي فالكثير قالوا: إن نوسترادامس قد تنبأ بالقنبلة النووية على هيروشيما في اليابان في فترة الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥م، وقيام الثورة الفرنسية في القرن الثامن عشر الميلادي عام ١٧٨٩م، وحادث مكوك تشالنجر في القرن المنصرم عام ١٩٨٦م،



وهبوط المركبة أبولو للفضاء الخارجي، وحادث موت الأميرة ديانا، والحروب التاريخية منها الحرب العالمية الأولى والثانية.

والكثير من نبوءاته لم تحدث، والكثير منها عامة وغير دقيقة، ويحتمل توجيهها على الكثير من الحوادث والأشياء، ومنها هذه الأشياء التي ذكرناها، وما زالت هذه النبوءات التافهة حتى اليوم تشكل موضع اهتمام عند الكثيرين، وما زالت المكتبات ودور النشر تطبع وتترجم كتابه هذا إلى العديد من اللغات حول العالم.

نشرات الأخبار

تبدو التفاهة في قنوات الأخبار ونشراتها خفية جداً، ولا يدركها إلا من فطن لها، ولما يحفها من أحداث، ذلك أن الجميع يتناول هذه الأمور بشيء من الجدية، وتعابير وجه المذيع توحي بقمة الجدية، وهو يتناول الأمور، والتفاهة ليست عند المذيع فإنه صاحب مهنة، وعبد مأمور لا أكثر، يقول ما يقال له، ولا في مضمون الخبر من حيث هو خبر، فهذه أمور قد تكون صحيحة.

إنما التفاهة في توجيه الخبر وتأويله، أو قطع جزء منه ليدل على دلالة معينة، أو التركيز عليه دون مقابله حتى لا تكتمل الصورة عند المشاهد، وبالتالي التغرير بالمشاهد من خلال هذه الأخبار، أو على الأقل منع الغير من التأثير به.

فنشرات الأخبار في زماننا: هي فن منع المشاهد من الحصول على الحقيقة كاملة.

ويتم ذلك غالباً من خلال تأسيس إمبراطوريات إخبارية عملاقة، تسخر لها أموال كبيرة جداً، وتتناول قضايا السياسة بازدواجية ممنهجة، ويتم تأويل الأخبار بشكل يخدم حكومة التفاهة، وسياساتها، فيظهرون لك ما يجمل صورتهم، ويخفون عنك ما يقبحهم.

وهذه الازدواجية كما تمارسها الدول والحكومات، فكذلك تمارسها قنوات الأخبار، وتبدو هذه الازدواجية بأسمى صورها في قضية جمال الخاشقجي حيث انقسم إعلام التفاهة



على نفسه، وكل قناة عكست وجهة نظر ممولها، فقناة الجزيرة القطرية اتخذت من هذه القضية حدثاً أحادياً بحيث جعلته الخبر الأول في كل نشراتها وبرامجها التحليلية على مدار أسابيع، وذلك لأن في ذلك تشف من الدول التي وقفت ضد قطر كالسعودية وغيرها، في حين غيبت الجزيرة خلال هذه الفترة الكثير من الأخبار التي تعد أهم من خبر الخاشقجي، وإن نظرنا إلى الجهة المقابلة للجزيرة والتي تمثلها قناة العربية وسكاي نيوز عربية، فإننا سنرى أن قضية الخاشقجي مرت مروراً عابراً في نشراتها، وبشيء من السطحية في تناولها، وذلك لأن كشف خفايا هذه القضية فيه ضرر بمموليها، وبالتالي فنحن أمام ازدواجية واضحة في تناول الأخبار.

أيضاً، مع بداية المظاهرات في العالم العربي كانت القنوات تنظر لبلدان العربي بشيء من الازدواجية، فالقنوات المؤيدة للمتظاهرين تبث خبر خروجهم بشيء من التهويل، فإن كانوا مئة، يجعلونهم عشرة آلاف، وتستعمل في تصويرها زوايا معينة، وطرق محددة توحي للمشاهد بأن الأعداد غفيرة وكبيرة، بينما يتناول الإعلام المعارض للمتظاهرين الخبر بنوع من الرومانسية إن صح التعبير، فالإعلام السوري كان يقول: إن المتظاهرين خرجوا ليحمدوا الله تعالى ويشكروه على نعمة المطر! وكان يصور المظاهرات التي خرجت من المساجد من باب المسجد الخلفي والذي لا يكون فيه متظاهرون، بينما كان الباب الأمامي يعج بالمتظاهرين! فهذا التناول التافه هو استغباء للشعب.

وبعض التفاهات تظهر بشكل غبي، فالقناة الرسمية التي كانت تتكلم باسم الحكومة الليبية عبرت عن خبر تبني الأمم المتحدة قراراً ضد القذافي بقولها: إن الأمم المتحدة قد تبنت قراراً ضد ليبيا، ولم يعلموا أن التبني في الإسلام محرم!!

هذا النوع من التفاهة يجعل المشاهد متخبطاً، فلا يعرف سير الأحداث في المجتمع الذي يعيش فيه، وبالتالي تعشش التفاهة في فكره، فيصبح منساقاً وراء هذه القنوات التي تقوده كما تشاء، وكما تشاء حكومات التفاهة.



المسلسلات والأفلام والمسرحيات

كثير ما يعرض الإعلام مادة المسلسلات والأفلام والمسرحيات، وكثير من القنوات مخصص لهذه الأعمال، فبعض القنوات مخصص لعرض المسلسلات، وبعضها مخصص لعرض الأفلام، وبعضها مخصص للمسرحيات، فالإعلام يوجه وبكل قوته للترويج لهذه الأعمال، وما تتضمنه من محتوى، والملاحظ أن هذه الأعمال يقل فيها المحتوى الهادف، ويكثر فيها المحتوى التافه والرديء.

والملاحظ أيضاً أن الغالب في هذه الأعمال هو التركيز على الرومانسية، وقصص الحب والعشق، والعري، والعنف، والقتل، وإسقاط قيم الاحترام، و غياب بناء الأسرة من مضمونها، بل بالعكس، فالسمة الغالبة عليها هو محاربة هذه القيم، والدعوة إلى التخلي عنها، تصريحاً أو تلميحاً.

ولا يمكن مع هذا الكم الكبير من الأعمال التافهة أن نحسن الظن بهذه القنوات..

وفي المجتمع العربي تتوجه الكثير من القنوات إلى استيراد الإنتاج التركي والهندي، وهو بشكل رئيسي لا يخرج عما ذكرناه من توجه، بل وبإسفاف كبير، وممنهج.

ولاشك أن هذه المسلسلات والأفلام تؤثر وبشكل مباشر على سلوك المجتمع، سلباً وإيجاباً، ومع انعدام الإيجابية فيها، يبقى التأثير كله للجانب السلبي، مع تغييب كامل لمعالجة أي قضية من القضايا التي كان من اللازم أن يهتم بها الشباب، فهذه الأفلام والمسلسلات نبع أساسي لإنتاج التفاهة بأتعس أشكالها وأقبحها.

وكذلك من الأعمال التي روجت للتفاهة المسرحيات، حيث أن غالبها يعتمد على التهريج والسخرية والاستهزاء بمبادئ المجتمع وثوابته، بل منها ما يؤثر بشكل مباشر على أركان الدولة الحضارية كالتعليم والتربية والأخلاق، فمسرحية مثل المسرحية المصرية: **مدرسة المشاغبين**، كفيلة من خلال عرضها على الفضائيات العربية بهذا الكم الهائل بهدم أي



مجتمع تعليمي، وتوجيه مثل هذه المسرحيات في خطورة كبيرة جداً على الشباب العربي، لما تتضمنه من استهتار بالعلم والتعليم، وحث الشباب على التفلت من المدارس، والسخرية من المدرسين والتدريس.

وقد عرضت المسرحية لأول مرة عام ١٩٧٣م، وقال مؤلفها: إن المسرحية كانت انعكاساً لفترة انهارت فيها القيم التقليدية للمجتمع المصري والعربي بشكل عام، والمعروفة باسم فترة ما بعد النكسة وما بعد الانفتاح، حيث تحولت قيم كثيرة إلى مثال للسخرية[1].

وقد رفعت نقابة المعلمين المصرية عام ١٩٧٨م دعوى قضائية لمنع عرضها، وذلك بعد الشكاوى الكثيرة من قبل المدارس، حيث قام الطلاب بمحاولة تقليد المسرحية، وضرب معلميهم، ولاشك بأن هذه المسرحية سبب من أهم أسباب انهيار التعليم في مصر.

وقد وجه للشباب العربي كم هائل من المسرحيات التهريجية والتافهة، وخاصة من قبل المنتجين المصريين، الذين نشطوا في ذلك، وأثرت هذه المسرحيات على المجتمع العربي عامة، والمصري خاصة، سلباً وبشكل كبير جداً، وقد ظهرت هذه الآثار على الأجيال المصرية الحالية، من خلال كمية الاستهتار التي يمارسها الطلاب في مدارسهم اقتداء بهذه المسرحيات، أو التأثر بمسرحيات أخرى كمسرحية: **العيال كبرت**، وما خلفته من آثار سيئة على الأسرة في المجتمع العربي.

ومن النقاط التي تبين مدى التفاهة في هذه الأفلام والمسلسلات أنها تعرض الشخصيات المثقفة والمتعلمة في المجتمع على أنهم شخصيات شاذة، وأنهم بشكل دائم يتعارضون مع المجتمع، والتيار السائد، وبالتالي فهم يشكلون التيار الشاذ عن حركة المجتمع، في حين يعرضون التافهين من الممثلين وغيرهم على أنهم شخصيات أكثر اتساقاً مع المجتمع وثقافته.

---

(١) انظر: مقال وفاء الحكيري، بعنوان: مدرسة المشاغبين: مرآة عاكسة لواقع المدرسة أم ترذيل لها؟، على موقع مجلة ميم.

وهذا لاشك أنه بالغ الأثر في المجتمع عامة، والشباب منهم خاصة، فغالب هذه القنوات الفضائية تقدم مادة ذات مضامين سمتها الرداءة، وذلك عن طريق عرض مشاهد تحتقر المرأة، وتستهزأ بها، لتخرجها في صورة قبيحة لا تليق بها، أو مشاهد مخلة بالآداب والأخلاق، حيث يتم تمرير الكثير من المشاهد الجنسية والأغاني اللاأخلاقية التي تحط من الذوق العام.

وهذه القنوات لا تعمل على تقديم مادة ترتقي لمفهوم التثقيف والتوعية، بل ما تبحث عنه هو زيادة نسب المشاهدة للقنوات، ومتابعتها، وبالتالي فهم أثبتوا فشلهم وسقوطهم الأخلاقي وفراغهم الفكري من خلالها.

وقد طالت موجة التفاهة أيضاً الأغنية، فصار أشباه المغنين يرددون كلمات وعبارات ركيكة وألفاظ تافهة، فقد انتشرت الكثير من الأغاني التي لا يمكن وصفها إلا بأنها تافهة، وخاصة في مرحلة ما بعد الاحتلال الأمريكي للعراق، حيث ظهر العشرات من المغنين والمغنيات الذين حرصوا على استعراض أجسادهم، وبيان مشاهد العري، أكثر من تركيزهم على الكلمات ومعانيها، فأرادوا أن يقتحموا عالم الغناء في وقت قياسي عن طريق الإثارة، ولكنهم سقطوا في التفاهة والإغراق في الإسفاف، والرداءة، فبمجرد سماعك كلمات الأغنية ومشاهدة الفيديو تنتابك حالة من الغثيان[1].

فلا يخفى على أحد أن أذرع التفاهة تمددت كالأخطبوط، فالأمر لا يتعلق بهلاك جزئي أو فردي أو قطاعي، إنما هو هلاك يحل بالبنيان كله حين تهوي به ريح التفاهة في مكان سحيق، بل هو هلاك في القيم السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، وانطماس لروح المروءة والشرف والإنسانية[2].

---

(١) انظر: مقال رحمة خميسي، بعنوان: كفى تطبيعاً مع التفاهة والرداءة، على موقع تونس Altra.

(٢) انظر: مقال إدريس مقبول، بعنوان: في مواجهة التفاهة الثقافية، على موقع ديوان العرب.



الألعاب الإلكترونية

وهي بالمئات ولا تكاد تحصى، وأثرها على الأطفال سلبي ١٠٠٪، ولا تجد لها أثراً إيجابياً، بل إنها تعلم الأطفال العادات السيئة والقبيحة، كالسرقة والقتل والخطف وعصيان الأهل وضرب المارين في الشارع، ومخالفة القانون، بل إن بعضها يعلم الأطفال طرق الانتحار! وكان أثرها كبيراً وسيئاً في العالم، فكانت سبباً في تنمية العنف، والإدمان، والتذمر الزائد بسبب انشغالهم باللعبة، وأخذت وقت الكثير من الأطفال والشباب وكبار السن، حتى سهروا عليها الليالي إلى الصباح، وتغيبوا عن مدارسهم وأعمالهم ووظائفهم، وعصوا أوامر أهلهم، وساءت صحتهم، وسرقوا الأموال.

وهي متاحة بطريقة كبيرة جداً، ويتم إشهارها بشكل منظم ومقصود، ومنها:

البوبجي PubG، ولعبة كاونتر سترايك Counter Strik، ولعبة البوكيمون Pokemon، والحوت الأزرق Blue Whale، ولعبة مريم Mariam، وجنية النار Eternal Fire، وتحدي شارلي Charlie، والشيطان الحزين Sad Satan، وميدالية الشرف Medal Of Honor، وغيرها الكثير والكثير.



التفاهة في الأدب

هذا النوع من التفاهة لا يدركه إلا من عنده اهتمام بهذا الفن من الفنون العلمية، وأشكاله، من الرواية والشعر والقصة وغيرها، والمتأمل فيها يدرك مدى الهوة السحيقة التي بلغها الأدب العالمي عامة، والعربي خاصة، في طريقة تناول الموضوعات، وقضايا المجتمع، بل طريقة اختيار الموضوع، والتركيز على المواضيع التافهة، والابتعاد عن اللغة السليمة والحبكة والسرد القوي.

وهذه نتيجة حتمية لجميع أنواع التفاهات التي تكلمنا عنها سابقاً، فكلها يؤثر في مزاج الجمهور، والمواضيع التي يحب قراءتها، فبعد أن كنا نقرأ للرافعي، والمنفلوطي، وجبران خليل جبران، وطه حسين، وتوفيق الحكيم، وغيرهم بتنا نقرأ لكتاب معاصرين لم يحصلوا شيئاً مما حصله الأوائل من سلفهم، وهذا بالنسبة للأدب العربي.

فطبيعي جداً بعد تركيز السياسة والإعلام بما فيه من سوشل ميديا على التفاهات الرخيصة أن يخرج لدينا مؤلفون تافهون، وأعمال أدبية تافهة، لا تتحقق فيها شروط العمل الرصين والناجح.

ولأن **الأدب انعكاس** لحال النخبة الأدبية والثقافية في المجتمع، فإن كانت هذه النخبة من المتعمقين وأصحاب الهدف كان أدبهم من هذا النوع، أما إن كانوا من أصحاب الإسفاف والانحطاط في كتاباتهم فسيكون الأدب رخيصاً، وأغلب الأدب المعاصر والذي يروج له هذه الأيام مبتذل وموغل في الإسفاف والانحطاط، فالقيمة الأدبية غائبة تماماً، والهم والقضية والفكرة غائبة كذلك.



تقول رفيقة البحوري مصورة حال الكاتب الروائي الأصيل من خلال دراستها عن غسان كنفاني: (فالأدب العظيم هو الذي يستطيع أن يكون أصيلاً أصالة الأيدي الخشنة في كدحها الدائم، وأليفاً ألفة الأنفس المعذبة في تقاسمها التلقائي للهموم، ومشرقاً كآمال من ليس لهم إلا المستقبل، لقد اختار غسان كنفاني أن يكتب عن شعبه وهو بهذا الاختيار قد حسم في مسألة عويصة في الأدب، إذ خرج من التقوقع في الهموم الفردية، أو الفئوية الضيقة، ودخل في خضم الأحداث والصراعات، خرج إلى الساحة الكبرى حيث يصنع التاريخ..)[1].

ثم تقارن ما فعله غسان كنفاني بما فعله الأديب الفرنسي بلزاك، ثم تبين حقيقة الفن والأدب فتقول: (وموقفه هذا يذكرنا بالأديب الفرنسي العظيم بلزاك الذي كان يقول: إن المجتمع الفرنسي سيكون هو المؤرخ، أما أنا فلست إلا مجرد سكرتير له.. إن الفن الحقيقي هو دائماً ملك المجموعة، والأديب العظيم هو الذي يستطيع أن يصوغ ما تخلقه تلك المجموعة، ما يعتمل داخلها من هواجس وطموحات)[2].

وأنا أردت بهذا أنا أقارن بين هموم الأدباء الحقيقيين الذين يمثلهم غسان كنفاني والمنفلوطي ونجيب محفوظ ومحمود درويش وأجاثا كريستي ودوستويفسكي وغيرهم، وبين الأدباء التافهين الذين تعج بهم الساحة اليوم.

والفرق بين الأدب المتزن أو الهادف، أو كما يسميه البعض: **الأدب السامي**، وبين الأدب التافه والرخيص يتمثل من خلال الكثير من النقاط المهمة، والأركان التي أسقطها أدب التفاهة من قاموسه لينطلق حراً، يكتب ما يريد.

---

(١) انظر: الأدب الروائي عند غسان كنفاني، رفيقة البحوري، ص: ١٣٤.

(٢) انظر: الأدب الروائي عند غسان كنفاني، رفيقة البحوري، ص: ١٣٥.



ويقرر ما يريد دون أن تضبطه ضوابط، ومن هذه النقاط

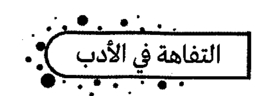
❋ **أن الأدب السامي يحقق متعة فنية**، ويقوم بتوجيه الانفعالات ولا يكتفي بإثارتها، كالأدب التافه الذي مهمته اليوم هو إثارة العواطف والانفعالات ثم يتركها دون رقيب، ولك أن تقرأ رواية رومانسية اليوم لتجد نفسك أمام كم كبير من المشاهد والمواقف العاطفية والرومانسية، وستنتهي من قراءتها دون أن تأخذ حلاً، أو تجد توجيهاً وتبريراً لما تشعر به.

❋ **يتناول الأدب السامي والهادف موضوعات شتى**، تناقش هموم المجتمع، وقضاياه السياسية والثقافية والاجتماعية من فقر وجوع وجهل، وتقدم الحلول والعلاج المناسب لمثل هذه الأمراض المجتمعية، فلا تكتفي بتكوين صورة نمطية عن هذه الأمراض، فتلفت ذهن القارئ إلى قضايا مجتمعه، فتكون توجهات القارئ نبيلة ومهمة، بينما يركز الأدب التافه والرخيص على موضوعات تتعلق بالانفعالات والشهوات وأمراض القلوب، كالرومانسيات السعيدة، أو الحزينة، حيث لا يتركز في ذهن القارئ إلا نهايتان لا ثالث لهما، إما لقاء البطلين، أو افتراقهما.

❋ **تحضر في الأدب السامي والهادف الحبكة القصصية**، والقوة التعبيرية من قبل الكاتب، لأنه قرأ وكتب قبل أن يكتب، وحفظ وفهم أساليب الأدب وطريقته، بينما تغيب هذه الأشياء عن الأدب التافه والرخيص، بحيث لا تجد إلا كتابة متقطعة من حيث اللغة والأفكار، حيث يولي الكاتب التافه لبعض الأفكار مجالاً أوسع وأهم من بعضها الآخر.

فكثير ممن تصدر اليوم للكتابة في فنون الأدب ليسوا أهلاً لذلك، فضلوا وأضلوا من هذه الجهة، وأتوا بأعمال لا تشبه الأدب، بل هي ثرثرة وخواء وعقم، يفسدون من خلالها الذائقة الأدبية للقارئ، ولكن سوق التفاهة اليوم ينتعش، في حين أن سوق الأدب يحتضر، فدور النشر اليوم لا يعنيها من الأعمال ما كان قوياً ومتيناً، فتجد هذه الكتب مليئة بالأخطاء اللغوية في الألفاظ والمعاني.





ومن المناسب أن نشير إلى كتاب الشيخ عبدالله العجيري في نقد الروايات الحديثة والذي أسماه: **من عبث الرواية**، وهو ينتقد الرواية السعودية وانحطاطها، وتركيزها على المواضيع التافهة، وغير الهادفة، بل التي تقود الشباب للضياع، وكيف تم استغلال هذا الفن لتمرير الكثير من الأفكار الهدامة، وتشويه الواقع، وضرب الأصول الشرعية، ومهاجمة الدين والأخلاق، وانتقاد الإله، والدعوة إلى عبثية الحياة، والتخلي عن المبادئ، وغيرها.

يقول في المقدمة: (لو أن قارئاً لا يعرف شيئاً عن مجتمعنا وقرأ تلكم الروايات، لاستيقن أنا بلغنا في عالم الضياع مبلغاً لم يسبقنا إليه سابق)[1].

ونحن لا نخص الرواية بهذا الكلام، مع أنها من أكثر أنواع الأدب استباحة اليوم من قبل التافهين، وخاصة تلك التي تكتب باللهجة العامية، ولكننا نتكلم أيضاً عن القصة، والنثر، والشعر، والخطابة، والخواطر، والرسائل وغيرها من أنواع الأدب المشهورة والمعروفة.

أما ما يسمونه **بالشعر الحر**، أو شعر الحداثة[2]، حيث يتم التفلت من المعنى واللفظ، والوزن والموسيقا، ليخرج عندك شعر لا يستقيم لفظاً ولا وزناً، وكأنك تقرأ مقالاً في جريدة، كاتبها أمي لا يعرف ما يقول!

---

(١) انظر: من عبث الرواية، عبدالله العجيري، مقدمته على غلاف الكتاب.

(٢) اختلفت تسميات هذا النوع من الشعر، حيث سماه كل من بطرس البستاني، وجرجي زيدان، وسليمان البستاني: **الشعر العصري**، وسماه نجيب الحداد، ولويس شيخو، **بالشعر الأبيض**، وسماه: نقولا فياض، وأمين الريحاني، **بالشعر المنثور**، وسماه: أمين الريحاني **الشعر الحر الطليق**، وسماه نقولا فياض، **الشعر الطليق**، وسماه أحمد زكي أبو شادي **الشعر المرسل**، وسماه علي أحمد باكثير **الشعر أو النظم المرسل المنطلق**، وسماه زكي نجيب محمود **الشعر الحديث الحر والمنطلق**، وسماه محمد مندور **الشعر الجديد**، وسماه عزالدين الأمين **شعر التفعيلة**، وسماه إبراهيم الأبياري **بالشعر المستحدث**، وسماه محمد النويهي **بالشعر المنطلق**، وسماه أدونيس **بقصيدة النثر**، وسمته نازك الملائكة **بالشعر الحر**.

انظر: مقال: في الخلط المفهومي الشعر الحر بالعربية، شربل داغر، على موقع جريدة المدن.



وأنا هنا أفرق بين نوعين من شعر التفعيلة، أحدهما سام وهادف ومتزن، والآخر ليس لي إلا أن أصنفه ضمن أدب التفاهة، أو شعر التفاهة، فالأول: هو شعر التفعيلة الذي يعتمد على الوزن والقافية ضمن موسيقا الشعر العربي، إلا أنه افتقر إلى الطريقة العمودية فقط، فالقافية موجودة ومتقاربة، والوزن موجود في كل شطر، ويعتمد على بحر ووزن واحد، وهذا النوع من الشعر لا بأس به، بل أبدع الكثير من الشعراء به، وقدموه بطريقة جميلة، ويمكن أن نسميه الشعر الحر المنضبط، أو شعر التفعيلة المنضبط.

أما النوع الثاني فهو النوع الذي يتحرر من الوزن والقافية ونظام الشطرين العمودي، فيكتب كتابة نثرية، ثم يزعم أنها شعر، بلا وزن، ولا قافية، ولا موسيقا، فهذا هو ما يمكن أن نسميه صورة التفاهة في الشعر الحر، فهو تحرر من الأصالة والقيم التي تتمثل في التزام الشعر العمودي.

وسأنقل لكم **نقد الأديب علي الطنطاوي** للنوع الأول من الشعر الحر، ورفضه له، فماذا لو رأى النوع الثاني وقرأ له!! وربما هو من أفضل من تكلم عن هذا النوع من الشعر -أعني النوع الأول المنضبط- فرأيه من الأهمية بمكان، وخاصة أنه من المختصين بالأدب، وقد أبدع فيه، مع محافظة كبيرة على أصالة الأدب العربي، ودفاع عن وظيفته السامية.

يقول الشيخ علي الطنطاوي في المقارنة بين أشعار الشاعرة نازك الملائكة وهي ممن كتب في النوعين، العمودي والحر: (وأظنّ أن الأستاذ الملائكة، زميلَنا، هو أبو الشاعرة نازك، أظن ولا أُحقق. وقد نشرت أول العهد بها في الرسالة شعراً نفيساً أثار إعجابنا وتقديرنا؛ شعراً حقيقياً، لا هذا الشعر الذي سموه حراً أو شعر الحداثة، فهل يبقى الحدَث حدثاً أم يشب ويعقل ويغدو رجلاً، فإن لم يستقم أخذوه إلى إصلاحية الأحداث؟!



سموه حراً، ومن الحرية ما هو فوضى؛ فإن رأيت الجند يمشون صفاً واحداً مرتباً منظوماً نظم اللآلئ في العقد، ينتقلون كأرجل جواد المتنبي: رِجلاهُ في الرّكضِ رِجْلٌ واليدانِ يدُ، فخرج واحد منهم عن الصف وعلى نظامه، فمشى على غير مشيته، وبسرعة غير سرعته، وربما توجه وجهة غير وجهته، فإن وضعوا أقدامهم رفع قدمه، وإن رفعوها وضعها، وإن أسرعوا أبطأ وإن أبطؤوا أسرع..

أو مثل جوقة من المغنين يغنون جميعاً لحناً واحداً على إيقاع واحد، فخرج واحد منهم بلحن آخر وبنغمة أخرى، أو كمن يعزف مقطوعة من مقام البيات أو الرّست (الرصد)؛ فنشز؛ فإذا هو ينتقل فجأة إلى النهاوَنْد أو الصَّبا..

أليس هذا هو ما يسمونه بشعر التفعيلة: شعر تفعيلاته صحيحة الوزن، ولكن لا ارتباط بين أبياته، ولا تناسق بينها، تنتقل الأذن من إيقاع إلى إيقاع، كالذي ذكرتُه هنا، وهو النشاز، وإن الشعر الحق هو الذي يثير الشجون ويحرك العواطف، مع اتساقه في الأذن ومحافظته على الإيقاع.

والغريب أنهم يتنازعون فخر البداءة بهذا الشعر الحديث أو الحر، وعهدنا بالناس أنهم يتنازعون المكرمات كل يدعيها، لا الجرائم ولا المعرات)[1].

وقال في نقده أيضاً لهذا النوع من الشعر، ويتأسف كيف اضطر لتدريس طلابه مادة عنه، فيقول: (ومن أشد الذكريات التي لا أزال -كلما خطرت على بالي- أحس أنها تحز في قلبي، أنني اضطُررت في آخر عهدي بالتدريس، أن أشرح للطلاب بعض المختارات من الشعر العربي المعاصر، بل الذي يسمونه شعراً وما هو بالشعر.

وكنت أحس كأنني أحتقر نفسي حين أهبط إلى هذا الحضيض فأضطر إلى العناية به وشرحه، وأني أخدع الطلاب حين أوهمهم أن هذا من بليغ القول وفصيح الكلام وأنه أدب

---

(١) انظر: الذكريات للطنطاوي، دار المنارة، جدة، ط: ١، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م، ٣/ ٣١٥.



رفيع، وما هو إلا هذيان وضيع، وهذر أحمق رقيع، وأصحابه كالثعلب الذي أراد أن يقطف عنقود العنب فوثب إليه فما استطاع أن يصل، فعزى نفسه قائلاً لها: إنه حصرم حامض، وذهب يذمه.

هذا مثال دعاة الشعر الجديد، المنثور منه والمشعور والمحطَّم المكسور، ومثله ما دُعي الآن بشعر الحداثة، ولست أدري لماذا لا يساق أصحابه إلى إصلاحيات الأحداث التي تعالج جنايات الحداثة! ولست أدري؛ متى يجاوزونها ويبلغون سن الرشد؟)[1].

وسماه فتنة فقال، وكأنه يتحدث عن التفاهة في كل شيء: (تبدل علي في هذا العمر الطويل كل شيء: العادات والأزياء وحجاب النساء وأدب الأدباء وشعر الشعراء؛ بدأت في أيامنا فتنة الشعر المنثور، الذي سئل عنه الأستاذ المازني يوماً فقال على عادته في السخرية والتهكم: هو نثر مشعور.

وأنتم تعرفون أن الزجاج إذا انشعر انكسر.

أما هذا الكلام المصفوف صفاً، الذي ينشر اليوم في الجرائد على أنه شعر، وعلى أن أصحابه شعراء، فما فيه من الشعر إلا أنه طُبع على هيئة أبيات القصيدة، فهو شعر المسطرة! أما موسيقى الشعر وطرب الشعر وسموُّ الشعر، فما فيه منه شيء)[2].

ثم سماه خزياً فقال: (أين الشعراء؟ هل شغلهم عن هذا الذي نريد عكوفهم على وصف الغيد، وهذا الخزي الجديد الذي سموه شعر الحداثة، الذي لا يدفع إلى طريق المعالي ولا إلى ذرى المجد؟

إنه شعر الحدث الأصغر، الذي يدفع إلى دخول الحمام للاستبراء منه والاستنجاء!

---

(١) انظر: الذكريات للطنطاوي، ٦/ ٢٦٢.

(٢) انظر: الذكريات للطنطاوي، ٨/ ١٦٨.



كان للجاحظ تعبير عجيب فيمن أعمى الله بصيرته حين زين له سوء عمله فرآه حسناً وراح يتمدح به، كان يقول عنه: (إن هذا لا يجيء إلا بخذلانٍ من الله، أوليس من الخذلان أن القط يستر بالتراب ما يخرج منه وهؤلاء يظهرونه ويفخرون به؟ أفلا يصح فيهم ما قال الجاحظ؟)[1].

ثم نقل رأي العقاد في شعر الحداثة هذا، حيث قدموا إليه بعض النصوص منه، فأحاله إلى لجنة النثر؛ لأن صاحبه أراد دخول مدينة الشعر بجواز مزور، فوجب رده إلى موطنه، ويعتبر الطنطاوي أن العقاد رحمه بذلك، وإلا كان الواجب إحالته إلى محكمة الجنايات بتهمة التزوير[2].

ومن الشخصيات المعاصرة التي اتخذت من هذا النوع -وأقصد النوع الثاني غير المنضبط من الشعر الحر- موقفاً عدائياً الشاعر الكبير نزار قباني؛ **فعدائية نزار قباني** -برغم أنه قال بعض القصائد التافهة في شعره، والتي تركز على الجنس والنيل من المقدسات المجتمعية- نبعت من سعيه إلى المحافظة على موسيقا الشعر العربي، فتهجم وبقوة على هذا الشعر الحر غير المنضبط، ويُحمِّل دعاة الحداثة والتجديد كل هذا الخراب، فقال:

(مَن هو المسؤول عن تلك الغوغائيَّة الشعريَّة التي تسود الشارع الثقافي العربي، والتي حطَّمت مصابيح الطُّرقات وإشارات المرور، واقتلعت حجارة الأرصفة، وأضرمت النار في المتاحف، والمكتبات والحدائق العامة؟

مَن هو المسؤول عن هذا التخريب المدروس، والمتعمَّد لكلِّ ما هو جميل ولمَّاح، ومرتفع وحضاريٌّ في شِعْرنا، وتكريس حكم الفوضى والإرهاب؟

---

(١) انظر: الذكريات للطنطاوي، ٨/ ١٦٨.

(٢) انظر: الذكريات للطنطاوي، ٨/ ٣٧٣.



المسؤول هو هذه الأقلية التي جاءت من الفراغ والعدم واللاشيء؛ لتدخلنا في دُوَّامة الفراغ والعدم واللاشيئيَّة.

المسؤول هو ميلشيات الحداثة التي دخلت إلى المدينة لتقيم حكم الفوضى، وتعمل فيها سلباً ونهباً واغتيالاً، وتطلق النار على سنابل القمح، وضوء القمر، وعناوين الكتب، وثياب تلميذات المدارس.

بعد أكثر من خمسةَ عشر قرناً على ميلاد القصيدة العربيَّة تحاصر (شرطة الحداثة) بيتها، وتصادر ممتلكاتها، وتختم بابها بالشمع الأحمر، وتأخذها بثياب النَّوم إلى ملجأ العجَزَة.

بعد أكثر من خمسةَ عشر قرناً تخرج من أحد المقاهي مظاهرةٌ تتألَّف من بضعة عشر شخصاً عاطلين عن العمل، يطالبون بتغيير النِّظام الشعريِّ القديم، واستلام الميليشياويِّين مقاليد السُّلطة)[1].

---

(١) انظر: مقال وليد قصاب، بعنوان: نزار قباني وشعر الحداثة، على موقع الألوكة.



التفاهة في السلوك

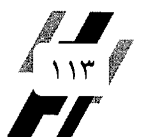
صورة التفاهة في السلوك تتمثل حين يقدم تافهٌ مشهورٌ إلى فعل شيء من شأنه أن يصوره بصورة العاقل المتزن، فيغطي تفاهاته **بغلاف الفعل الجميل،** كفعل الخير، ودعم الجمعيات الخيرية، ومساعدة الفقراء، وزيارة مخيمات اللاجئين، أو الترشح لمنصب سفير النوايا الحسنة، أو التصدر لإلقاء محاضرات في حب الوطن وحمايته.

فكم رأينا بعض المشاهير ممن كان لهم القدم الكبرى في صناعة التفاهة في العالم زار مخيماً للاجئين، الذين هم ضحايا السياسات التافهة، فكان وصفهم حقاً: كالذي يقتل القتيل ويمشي في جنازته، فالناس هم ضحايا سياسة تافهة، والذي يواسي الضحية بالجاني هو شخص تافه، فأنت محاط في حياتك بعدد كبير من التافهين، يتصورون لك بصورة الإنسان المثقف والمدني فهم صنيعة المال، فلا تعجب من لاعب كرة قدم، أو مغنية، أو ممثلة إباحية، يملكون ما لا يملكه غيرهم من المال، وما لا يمكن أن يملك جزءاً منه كل مثقفي المجتمع طيلة حياة عملهم وكدهم من المال.

وكم رأينا من تافه، ولص من لصوص السياسة والاقتصاد، قضى شطراً من عمره وهو يتاجر بالمخدرات، ويقوم بتبييض الأموال، ثم يتبرع لبناء مسجد، أو مكتبة، أو مشفى، لأولئك الفقراء والمساكين الذين سرقوا أموالهم، وليقوم بتشغيل المتميزين من المفكرين والأساتذة والأطباء عنده، كنوع من ادعاء النجاح والترويج له، وينشئ آخر شركة مقاولات ليوظف المهندسين العباقرة، ليغدو هو الرمز والقدوة في المجتمع والمثل الأعلى[1].

---

(١) انظر: مقال سليمان الطعاني، بعنوان: ثقافة التفاهة، على موقع وكالة عمون.



وكم رأينا من رئيس تافه يجمع حوله المئات من العلماء والمفكرين والفلاسفة ثم يعطيهم محاضرة في الديمقراطية، والتعايش، وأصول المجتمع الناجح، بعد أن وصل بانقلاب إلى الحكم، أو بانتخابات مزورة وشراء للأصوات، وانفراد بالحكم والسلطة، وربما سال من الدماء ما سال حتى وصل، لينال بتلك المجالس والحوارات ثقة الشعب عن طريق استثمار مكانة هؤلاء عندهم.

وهذا التصرف ربما يكون فردياً كالأمثلة التي ذكرتها، وقد يكون جماعياً، فالشعوب أيضاً تقوم بالكثير من التصرفات التي من شأنها أن توصف بالتفاهة، بل التفاهات التي تخرج من قبل الجماعات والشعوب **تتسم بالتفاهة المتخبطة وغير المنظمة**، فتظهر بمظهر التشتت وعدم الانضباط، إذ غالباً ما تكون عقولهم مغيبة عن الغاية والهدف الذي من أجله يقومون بتفاهاتهم تلك.

فالجمهور الذي يدفعه حزبه للخروج إلى الساحات في كل فترة، وحمل صور الزعيم التافه، والهتاف بحياته، والدفاع عنه، مع أنه لا يولي تلك الجماعات وذلك الجمهور أي أهمية، هو جمهور تافه، بل إنه جمهور غبي غاية الغباء.

وككثير من الذين يحضرون مباريات كرة القدم، ويشجعون تلك الأندية، وأولئك اللاعبين، وتتحول كرة القدم عندهم من إطار التسلية والمتعة كما يجب أن تكون إلى إطار التوجيه والتعصب لصالح فريقه، أو ضده، فالجمهور المؤيد مثلاً لناديي برشلونة وريال مدريد جمهور عريض يتجاوز الدول والأقاليم، وبحركة واحدة من أحد اللاعبين قد يغير فكرة كاملة عند هؤلاء، ولذلك كان لزيارة الكثير من اللاعبين للعدو الصهيوني أثر كبير في نزع النظرة العدائية بين العرب والعدو الصهيوني، مع أن هذا اللاعب ذهب بزيارة استمتاع إليه لا أكثر، وربما لا يعرف شيئاً عن ذلك الصراع.

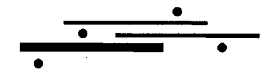


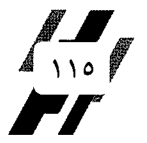
في الوقت الذي كان اللاعب المصري محمد صلاح يؤثر في الجمهور الغربي من خلال سجداته على أرض الملعب، أو من خلال قراءته للفاتحة على خط الملعب، وكذلك أثر اللاعب التركي مسعود أوزيل عندما قرأ الفاتحة على أرواح ضحايا الاعتداءات الصينية على شعب تركستان الشرقية.

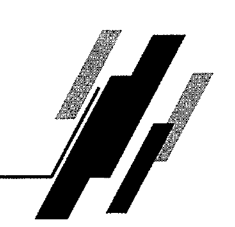
وهذه التصرفات من قبل الجمهور واللاعبين وإن كانت في ظاهرها حسنة في بعض جوانبها إلا أنها **في نفسها تفاهة**، إذ كيف يعقل أن يتحول الرأي العام من قبل شخص لا يعرف عن المشكلة شيئاً، وربما لم يعرها اهتماماً في حياته، فالواجب إعادة ربط شباب الأمة بالمفكرين والمثقفين والعلماء، لا بغيرهم من أرباب التفاهات، فكرة القدم مثلاً وجدت لتكون تسلية لا أكثر، وتحويلها لغير هذه الغاية تفاهة.

وكذلك الملايين الذين يتجمعون لحضور حفلة مغنٍ أو مغنية، ويتم تغييبهم بشكل كامل عن النشاطات الثقافية والفكرية في البلاد.

وكالآلاف والملايين الذين يخرجون في مسيرات لتأييد رئيس أو زعيم، وكالملايين الذين يخرجون لانتخاب شخص لا يجلب لهم إلا العار والفقر والجهل، فغالب هؤلاء من التافهين، الذين يعدون جسراً للشهرة والنجومية وجمع المال من جيوبهم، حتى إذا انتهت الانتخابات عادوا هم إلى بيتهم، وكانوا قد ساهموا في ضياع بلدانهم من خلال تسليط التافهين.







التفاهة في الفنون التشكيلية

الفنون التشكيلية مصطلح يطلق على مجموعة من الأعمال الإبداعية، كالرسم والنحت وغيرها، **وهي فنون قديمة جداً**، وتطور الكثير منها ومر بمراحل متعددة، إلى أن بدأت بوادر الانحطاط في نهاية القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، حيث ظهرت في العالم موجة الحداثة، وما بعدها، وتبنت فكرة نقد الماضي بما فيه من جميل، ومتقن، إن كان فناً، فلم يكتفوا بنقد الفلسفة والفكر والدين.

فالحداثة وما بعدها كسرت كل نواحي الحياة، بما فيها الفن، وبالتالي تغيير محتوى الفن، وتبديل اهتماماته وطريقة تعبيره، فبعد أن كان الرسام والفنان يعبر بطريقة تراثية (تقليدية) واضحة وجميلة، ومتناسقة الألوان، وتدل على محتواها بشكل مفهوم، يفهمه المجتمع بمختلف شرائحه، جاء الحداثيون وما بعدهم، ووضعوا فلسفة قائمة على قاعدة: مطابقة الشكل للمضمون، ويريدون من ذلك الغموض الشكلي للوحات، المطابق للغموض الذي كان يسود العالم، لأن العالم وفق نظرة الحداثيين وما بعدهم قبيح وشنيع وغامض، والفن -كما يقولون- معبر عن الواقع والعالم، فانطلقوا إلى بيان قبح العالم واسوداده من خلال رسم أشياء غامضة غير معبرة! ولا ينبغي للفن أن يستخدم الطريقة التقليدية في استخدام الألوان والأشكال، لأنها تفترض أن يكون العالم منظماً ومتجانساً وقابلاً للإدراك، وهذا غير موجود، لذلك يجب أن تكون اللوحات غير منظمة، ولا متجانسة الألوان والأشكال، ولا قابلة للإدراك[1].

---

(١) انظر: مقال أنس عزة، بعنوان: لماذا أمسى الفن قبيحاً؟، على موقع حكمة.



فإدوارد مونش كان يرى أن العالم عبارة عن **دوامة مرعبة**، فلذلك يجب أن يكون شكل ولون اللوحات معبراً عن هذه الحقيقة، بينما كان بابلو بيكاسو يرى أن الواقع مهشماً ومفرغاً من مضمونه فهكذا يجب أن تكون اللوحات، أما سلفادور دالي فكان يرى أن الواقع عصي عن الفهم، وبالتالي فاللوحات بأشكالها ومضمونها يجب أن تكون هكذا.

وإدخال هذا النوع من الرسوم في باب الفنون جور وتفاهة، وما قالوه مجرد فلسفة فارغة المحتوى، وانقلاب هدف الفن من الجمال والأصالة ومناقشة قضايا المجتمع وتوثيقها برسوم متقنة ومعبرة وواضحة، إلى الإسفاف والانحطاط هو من نتاج الحداثة وما بعدها، التي اتخذت موقفاً عدائياً من كل شيء تراثي تاريخي، وإن كان جميلاً، وملائماً للفطرة، فالحداثة وما بعدها حاولت من خلال بث تفاهاتها إلى تشويه الفطرة، ومحاولة إقناع الناس برؤية القبيح جميلاً، والجميل قبيحاً، وبالتالي أضحى هذا النوع من الرسم كما قال بعضهم: طفل الخامسة بمقدوره أن يرسم خيراً منها![1].

فاللوحة الشهيرة التي تسمى ديونيسوس للرسام بارنت نيومان والذي رسمها عام ١٩٤٩م، عبارة عن خلفية خضراء، فيها خطان أفقيان، أحدهما أصفر، والآخر أحمر، وهي كما يقولون تطور للفن التشكيلي الحداثي والمابعده، لكنها في النهاية عبارة عن طلاء على لوحة لا غير، وتحميل اللوحة أكثر مما تحتمل من معان ومدلولات عبث، وليس فناً، واللوحات التقليدية تعطي صورة وإيحاء ومعنى أفضل من هذه اللوحات العبثية، فهي أقرب إلى اللوحات ثلاثية الأبعاد، بينما اللوحات العبثية أو المتطورة -كما يسمونها- لا تعدو أن تكون ثنائية الأبعاد.

فهي في غالبها عبارة عن ضرب الفرشاة على اللوحة، وعبارة عن خطوط وأشكال متداخلة وغير مفهومة، وبالتالي تم استبعاد التناسق والانسجام، هذا هو التطور الذي قدمه

---

(١) انظر: مقال أنس عزة، بعنوان: لماذا أمسى الفن قبيحاً؟، على موقع حكمة.



الحداثيون وما بعدهم للفن التشكيلي"[1].

وهذه الظاهرة ربما يصح **تسميتها بظاهرة داميان هيرست** Damien Hirst المحيرة صاحب اللوحات الشهيرة، والذي يرسم لوحات معقدة وغامضة، ولا دلالة فيها ولا رمزية، ثم يشرحها كما يريد، حيث يجمع بين المتناقضات بطريقة تافهة ونصفية، ثم يحملها من المعاني ما لا تحتمله.

فيرسم مثلاً خروفاً، وجمجمة، ومقطعاً نصفياً لبقرة، ووجهاً نصفه عبارة عن مقطع تشريحي يظهر خطوط العضلات الحمراء، ونقاط مصفوفة، وحبوب أدوية، أو حبة دواء واحدة، وعلى هذا المنوال من الخربشات، وقد انتشرت مثل هذه التفاهة بشكل كبير ويسمونه فناً، وتباع هذه الأعمال حول العالم بملايين الدولارات، وتتنافس على عرضها أكبر صالات العرض[2].

وظهر فيما بعد تيار ينتسب لما بعد الحادثة متخذاً من **العدمية في الفن منهجاً له،** والعدمية تعني القضاء على آخر روح جمالية لهذا الفن، وتحويلها إلى تفاهة حقيقية، وإعطاء هذه التفاهة قيمة مادية أو معنوية، فكثير من لوحات ما بعد الحداثة العدمية انشغلت بأمور تافهة جداً، لا قيمة لها كالجنس والعبثية والبول والغائط وغيرها.

ففي عام ٢٠٠٠م قام معرض فني بطلب من زواره أن يضعوا سمكة ذهبية في خلاط ثم يديروه، وبالتالي تحويله إلى لوحة، قالوا: إنها تعبر عن الحياة وحقيقتها!

وفي ١٩٩١م قام مارك كوين بصنع قالب جصي مجوف على شكل رأسه هو، وجمع

---

(١) المرجع السابق.

(٢) انظر: مقال منى فياض بعنوان: التفاهة تتحكم بمصير العالم والدولة على موقع الحرة.



دماءه على مدار شهور ورشَّها على وجهه، ثم قال: إنها تعبر عن الانتقام.

وأظهر إيريك فيتشل في إحدى لوحاته مراهقاً يمارس الاستمناء في مسبح صغير في باحة، بينما أظهر في لوحة أخرى صبياً يسرق من حقيبة أمه وهو ينظر إلى جسدها العاري، نائمة على السرير، ومباعدة بين قدميها!

ويظهر كارثي ولداً صغيراً وهو يمارس الجنس مع ماعز، بينما يظهر في لوحة أخرى ولداً يمارس الجنس مع حيوان، ووالده خلفه واضعاً يديه على كتف ابنه، كنوع من القبول بما يفعل!

أما بييرو مانزوني فقد عرض في إحدى صالات العرض تسع علب مملوءة ببرازه، وقام متحف بريطاني بشراء إحداهن بـ ٤٠,٠٠٠ دولار أمريكي!

وفي الثمانينيات عرض أندريس سيرانو صليباً للمسيح داخل إناء مملوء ببوله!

وفي التسعينيات قام كريس أوفيلي بعرض السيدة العذراء محاطة بأعضاء تناسلية منفصلة، وقطع صلبة من الفضلات.

وفي عام ٢٠٠٠م قام كل من ييوان كاي وجيان جون بالتبول في النافورة المعروضة في متحف تاتي في لندن، وذلك خلال أوقات الزيارة الاعتيادية، كنوع من الوفاء لأبيهما الروحي مارسيل دوشامب، الذي علمهما الفن!

بينما قام ج.ج. إلين بالتغوط على المسرح، وقذف فضلاته على الجمهور!(١).

ومن أعظم التفاهات ما قامت به الصين اليوم سابقة بتفاهاتها العالم بصنع **الدمى الجنسية**، تحاكي فيه نساء البشر، ليأتي يوم يستغني فيه الذكور عن الإناث، والإناث عن

(١) انظر: مقال أنس عزة، بعنوان: لماذا أمسى الفن قبيحاً؟، على موقع حكمة.

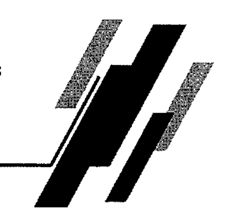


الذكور، في أعظم نقلة نوعية نحو الزوال، والانقراض، والشذوذ، وهذا فعلاً ما حدث في بعض البلدان الأسيوية حيث تمت حالات طلاق قام بها بعض الأشخاص ليتوجهوا إلى الدمى الجنسية، وفي الصين وحدها ما يقارب ١٠٠٠ مصنع للدمى الجنسية.

والغريب أن الكثير من التافهين يعتقدون بمثل هذه الأشياء أنها ستقضي على ظاهرة العنوسة، فهؤلاء انقلب تفكيرهم، بشكل كامل، حيث تناسوا أنها تقود لانقراض النوع البشري.

وهذا كله يعدونه حداثة وتطوراً وفناً، على وفق منهج العدمية، وهو قمة التفاهة والرخص والرداءة، ولا شك أن العالم في ظل ما بعد الحداثة يسير إلى زواله ونهايته، وقد عرضت لكم ما عرضته من أمثلة التفاهة حتى ندرك جيداً إلى أي حد وصلنا من الانحطاط.





أثر التفاهة على المجتمعات

يقول الروائي كارلوس زافون: (لن يفنى العالم بسبب قنبلة نووية كما تقول الصحف، بل بسبب الابتذال والإفراط في التفاهة، ما سيحول العالم إلى نكتة سخيفة)، وكلامه صحيح حيث أن الابتذال الرهيب الذي أصاب العالم اليوم سيحجب أبصارهم وبصيرتهم عن التحديق بالمخاطر الكبيرة التي تحيط بالعالم من جميع الجهات.

فهناك مشاكل كبيرة تواجه العالم كالتغير المناخي الذي تسبب بكوارث في العالم بفعل الإفراط الكبير في تلويث الجو والمناخ، وكثقب الأوزون واتساعه مما يؤدي لزيادة احتمال حدوث تغييرات بالجينات الوراثية على الأرض، وكذلك استمرار الحروب بين أمم الأرض واستنزاف البشر وعقولهم، وتلوث المياه، والزحف العمراني، والاحتباس الحراري، والكوارث الطبيعية من زلازل وبراكين وأعاصير وحرائق للغابات، وكذلك المخاطر النووية التي بدأت تظهر للعلن، وانتشار أوبئة خطيرة كوباء وفيروس كورونا.

جميع هذه المخاطر التي تحيط بكوكب الأرض تجعل الإنسان أمام موقف تاريخي باتخاذ الجدية منهجاً، بدلاً من التفاهة المفرطة التي تزيد الطين بلة!

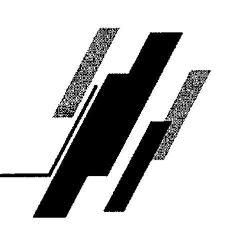
ويقول آلن دونو في كتابه نظام التفاهة: (الأمثلة لا تنضب عن مساهمة التفاهة في فساد اللغة والأفكار والمثقفين والوسط الجامعي والاقتصاد والفن والثقافة والدولة)[1].

ويقصد أن التفاهة ما تركت شيئاً في المجتمع إلا وأثرت فيه سلباً، ولم تترك فرداً من الأفراد إلا وعاش حالة من حالات التفاهة، في مدرسته، أو في علاقته بأسرته، أو في تعامله بجهازه الذكي، وهذه الآثار كثيرة جداً.

---

(١) نقلاً عن مقال لمنى فياض بعنوان: التفاهة تتحكم بمصير العالم والدولة، على الحرة.





أثر التفاهة على عملية التعليم

يعد **التعليم أهم الحصون** التي تحيط بالمجتمعات، وتؤمن لها الحماية، وأي مجتمع يفقد تعليمه سيكون مهدداً بالدرجة الأولى من قبل أفراده، والفرق المميز بين المجتمعات المتحضرة والمجتمعات المتأخرة يكون بدرجة الوعي الذي يحصله الفرد من خلال التعليم.

ويساعد التعليم المجتمع على النهوض، من خلال الاكتفاء الذاتي من الخبرات الاقتصادية والتجارية والصناعية والزراعية، ومن خلال توفير دراسة مهمة للقضاء على أمراض المجتمع من فقر وبطالة، وتغيير للعادات السيئة، وكذلك فإن من مهمة التعليم تحسين الأخلاق، واحترام القانون، والتعرف على ثقافات الشعوب، وتعريف الفرد بما عليه من واجبات وما له من حقوق.

وقد أثرت التفاهة بشكل كبير على التعليم في العالم، وبنسب متفاوتة جداً، وبحسب الدول والبلدان، فالكثير منها أثرت فيه بشكل كبير، والقليل منها -وخاصة المستقرة منها- أثرت فيه بشكل يسير، وأثرها كان سلبياً.

وحقل التعليم في العالم العربي هو من أخطر المجالات التي سيطر عليها التافهون، وهو من أهمها، لأنه المنطقة الأشد وجعاً، ولأنه البداية وهو المنتهى الأخير، فالجيل المتعلم إن نشأ على مبادئ التفاهة فستتخرج أجيال كثيرة من البيوت على هذه التفاهة.

ونتبين أثر التفاهة على التعليم من خلال النقاط الآتية:

❋ ساعدت التفاهة على **تسليم التعليم بشكل أساسي لعديمي الكفاءة،** حيث أوصلت الكثير من أنصاف المتعلمين إلى مراكز ومناصب لا يستحقونها، ولا يستطيعون



إدارتها بالشكل المطلوب، وهذا ما يفسر فشل الكثير من الوزارات والمؤسسات في حل مشاكل البلدان الاقتصادية والثقافية والاجتماعية، حيث لا يدرك المسؤول حجم المشكلة، ولا حلولها وأبعادها، وبالتالي يتم إغفالها وصرف النظر عنها، باعتبارها غير مهمة، ولا تشكل خطراً.

وهذا ينسحب أيضاً على المدارس، والجامعات، وكبرى المؤسسات التعليمية في العالم، حيث تتسلل التفاهة وتصعد في السيطرة عليها شيئاً فشيئاً، والأرقام حول العالم فيما يخص التعليم مخيفة ومرعبة، من ضعف المستوى التعليمي للغالبية من الطلاب والمتعلمين حول العالم، والتسرب الدراسي وغيرها.

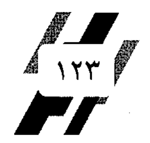
وقد أشار تقرير البنك الدولي إلى حصول أزمة في التعليم حول العالم في عام ٢٠١٨م.

✽ **نشر الاختلاط** حيث ساهمت التفاهة بشكل كبير في تهميش دور التربية والأخلاق في المجتمع، من خلال إزالة الحواجز بشكل كبير بين الجنسين، وتشريع وتعميم الاختلاط، وضعف المواد الدراسية المخصصة للتربية والأخلاق وقلتها لتوعية الجنسين بدورهما في المجتمع، ودور كل منهما تجاه الآخر.

وربما الأرقام التي تنقل عن العدد الكبير من حالات التحرش والاغتصاب وممارسة الجنس في المدراس حول العالم، تبين جانباً لا بأس به من أثر التفاهة في المدارس والجامعات، وكذلك فإن الدراسات التي أعدت من قبل مراكز أبحاث في أوروبا وأمريكا أثبتت أن نتائج التعليم مع فصل الجنسين ستحقق نتائج أفضل وأعلى.

ويحسن أن نشير إلى تجربة الشيخ الطنطاوي في كلية الشريعة - جامعة دمشق، حيث يحكي قصته مع قضية الاختلاط وكيف ترك التدريس فيها بسبب ذلك! يقول:

(وما طالت أيامي في كلية الشريعة، لأنهم قرّروا اتباع سنة السوء المتّبَعة في الجامعة،



وهي جمع الطلاب والطالبات معاً في قاعة الدرس، فأبَيت ذلك، واجتمع مجلس الكلية، وكان فيه شيخنا الشيخ محمد بهجة البيطار والأصدقاء المصطفيان الزرقا والسباعي والأستاذ المبارك والدكتور معروف الدواليبي، رحم الله من مات منهم وأطال حياة الباقين، فكانوا جميعاً عليَّ يقولون: إن البنات محجَّبات، وليس الاجتماع خطوة ممنوعة ولا دليلَ على منعه.

وأنا أراه باباً إن فتحناه دخل منه الحرام، وذكَّرت أخي الأستاذ الزرقا بأنه كان معنا -لمّا كنا ندرُس معاً في كلية الحقوق في أوائل الثلاثينيات- فتاة تأتي بالملاءة مغطّى وجهُها فلا تكشفه إلا في الفصل، ثم إنها -وأستغفر الله من هذا الكلام- لا يمكن أن تُغري أحداً بالحرام! فانظر اليوم إلامَ انتهى الأمر؟

وجادلتهم فلم يُفِدني جدالهم، فقلت لهم: إني أُعيد الدرس للطالبات مجاناً، ولأن أكون معهن وحدي أهون من أن يكنّ مع الطلاب مجتمعين، ولا آخذ على الإعادة أجراً.

فأبوا وأبيت وعُدت إلى محاضراتي، فما راعني إلا طالبة صفيقة الوجه، أي سميكة الجلد، تدخل عليَّ الفصل، فقلت لها: اخرجي، فلم ترد، ومشت كأنها لا تسمعني، وكان نظرها إلى الأرض فهي لا تراني، فقلت لها: لو كنتِ رجلاً لأمسكت بأذنيك ورميتك وراء الباب، ولكنك أنثى ولا أمدُّ يدي إلى امرأة، فإن لم تريدي أن تخرجي فسأخرج أنا.

وخرجتُ ولم أعُد إلى التدريس في الكلية)[1].

* * *

❊ انتشار ظاهرة **شراء الشهادات العلمية المزورة**، وهي كارثة تعليمية، لم يستطع المسؤولون القضاء عليها، وبالتالي يقوم الكثير من الأكاديميين ببيع الشهادات المزورة، وهي ظاهرة منتشرة عالمياً، وفي أنحاء العالم العربي، فتحول التعليم إلى سلعة يبيعها ويشتريها التافهون.

---

(١) انظر: ذكريات الطنطاوي، ٨/ ٤٩ ـ ٥٠.



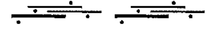
وبحيث يعمل الكثير من المتنفذين ورؤوس الأموال على دفع أموال كبيرة للقائمين على المؤسسات العلمية مقابل إعطائهم شهادات مزورة لأبنائهم، أو إدخال الأجوبة إلى القاعة الامتحانية، أو الاتفاق مع مدرس المادة مقابل مبلغ من المال.

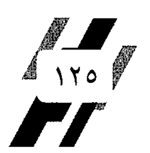
❊ **انتشار وسائل الغش،** وبأشكال كثيرة وكبيرة، فالمهم هو اجتياز المواد الدراسية بأي طريقة كانت، وليس المهم هو تحصيل العلم، وهذه ظاهرة مخيفة، لأنها تحول تعلق الطلاب بالمدارس إلى شيء شبه إجباري يبحثون للتخلص منه، بدلاً من الالتجاء إليه.

ففي مدارسنا العربية، يعاني التعليم الحالي من درجة مريبة من التدني الأدائي والتحصيلي، أصبح هناك تنافس على اجتياز المقررات الدراسية بأقل قدر من الجهد وأكبر قدر من الدرجات، استخداماً للوساطة أو ممارسة الغش، والتي أصبحت ظاهرة خطرة على الساحة التعليمية العربية، المهم أن يتم النجاح بأي طريقة عدا طريقة تحقيق تلقي معرفي حقيقي وفاعل.

وقد رأينا في منطقتنا حيث تطورت وسائل الغش، فيتم إدخال سماعات الهاتف الناعمة والتي لا تكاد ترى بالعين المجردة، ويتم ربطها لا سلكياً بهاتف، وتتم عملية الغش، وهذا انتشر في المدراس والجامعات والمعاهد.

❊ **ضعف المادة العلمية** المعدة للتعليم في المدارس الابتدائية والإعدادية والثانوية والجامعية، مما يضطر الطالب إلى قطع سنوات عديدة، دون أن يحقق شيئاً في تعليمه، من ناحية القراءة والكتابة، ودون تحصيل المعلومات الواجب توفرها في هذا السن والعمر، وبالتالي يقطع السنوات ولكن مستواه التعليمي متدن كثيراً لقلة المعلومات المقدمة.





❊ **ضعف الأساتذة والمعلمين والدكاترة** غير المؤهلين للتعليم والإلقاء، وذلك بسبب حصولهم على شهاداتهم بطرق غير شرعية، فكثير ممن تقدم لمرحلة الماستر والدكتوراه، يعمد إلى تكليف أحد غيره على كتابة الأطروحة مقابل مبلغ من المال، إضافة لانتشار الجامعات الوهمية حول العالم، والتي تقدم مدرسين دون المستوى المطلوب تعليمياً.

ومن ذلك ما حكاه **الشيخ الطنطاوي** فقال:

(ومن هذه المناسبات أن جماعة خبَّروني عن إمام في بلد من بلدان المملكة، لا أحب أن أدل عليه لئلا أفضح هذا الإمام الذي أتكلم عنه، كان يصلي بهم صلاة التراويح فقرأ: ألف لام ميم نشرح لك صدرك، فصاح الناس من جوانب المسجد: (أَلَمْ أَلَمْ)، فلم ينتبه وكادت تفسد الصلاة، وعلمت -بعدُ- أن هذا الإمام شاب طالب في الدراسات العليا في جامعة من الجامعات، وأنه يعد رسالة لينال بها شهادة الدكتوراه.

وأنا لا أذم الشهادات ولا أحقر الدكتوراه، ولكنها كلما كثرت وانتشرت رخصت بعد عز وهَزُلت حتى سامها كل مفلس، ولكني لم أكن أتصور أنها تنزل إلى هذه الدركة الدنيا! وأنا أعلم أن من الدكاترة علماء نالوها بحق، وكانت شهادة عدل لا شهادة زور، ومنهم من نالها ببعض الباطل، أعدَّ بحثاً عن شاعر مثلاً، فألَمَّ بجوانب حياته، ودرَس شعره، وجمع أخباره، وأورد ما قيل فيه وما قاله، ولكنه لم يعرف من شعراء عصره غيره، بل هو لا يستطيع أن يُقيم لسانه بأبيات له، وإن هو قرأها لم يفهمها، وإن هو فهمها لم يقدر أن يشرحها!

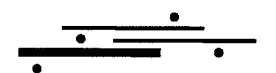
ولقد رأيت مسوَّدات رسائل ماجستير ودكتوراه نالت بعد ذلك الدرجة العالية، فكنت أجد فيها من الغلط والخبط والأخطاء والجهالات ما لا أرتضيه من طالب المدرسة المتوسطة، ولقد رأيت من حرص الدول على الشهادات واعتبارها وحدَها مقياس العلم عجائب وغرائب)[1].

---

(١) انظر: ذكريات الطنطاوي، ٨/ ٣١٤ـ ٣١٥.



فتسيد التافهين في مجال التعليم في العالم بشكل عام، وفي عالمنا العربي بشكل خاص جاء بآثار سلبية مدمرة، حيث تم إبعاد الأكفاء، وتهميش القيم، وإذا كانت هذه الظاهرة عالمية، إلا أنها تعد نموذجية في عالمنا العربي، لأن المثقفين التافهين هم السائدون، وهم القاعدة وليس الاستثناء[1].



(١) انظر: مقال ابتهال الخطيب بعنوان: الصعود إلى تفاهة، على موقع الحرة.



أثر التفاهة على الأسرة

تعتبر التفاهة ووسائلها اليوم من أهم الأسباب التي ساعدت على **تفكك الأسر**، وانتشار حالات الطلاق، وخاصة بعد انتشار وسائل التواصل الاجتماعي بشكل مخيف ومرعب بين أفراد الأسرة، وانتشار الأجهزة الحديثة والذكية، وهذا ما خلص إليه عدد من الدراسات الحديثة، أبرزها دراسة أجرتها الأكاديمية الأمريكية لمحامِيْ الطلاق، وأخرى نشرتها صحيفة الإندبندنت نقلاً عن جمعية المحامين الإيطالية.

ويأتي موقع (فيسبوك) في صدارة كافة المواقع، إذ يعد المتهم الأول المسؤول عن ارتفاع نسب الطلاق العالمية، وتشير الإحصائيات إلى أن ٢٠٪ من حالات الطلاق في الولايات المتحدة الأمريكية سببها المباشر هو (فيسبوك).

وفي المرتبة الثانية يأتي تطبيق (واتساب)، فبحسب جمعية المحامين فإنه تسبب في ٤٠٪ من حالات الطلاق في إيطاليا، وذلك لسهولة الاتصال بين الرجال والنساء، وارتفاع نسب خيانة الأزواج من خلال فتح باب التعارف مع الغير.

فهذه الوسائل والتطبيقات تحمل بذور الخلافات بين الزوجين، لمن يسمح لها بالاستحواذ على حياته، من جهة كونها تشغل الشخص عن شريك حياته، ولاسيما حينما يدمن عليها ويقضي فيها وقتاً طويلاً ينافس الوقت الذي ينبغي أن يقضيه الزوجان مع بعضهما، وخاصة إن كانت هناك بعض المشاكل بينهما، فإنهما يجدان هذه الوسائل مكان ترفيه، وربما استبدال لبعضهما البعض، من خلال قضاء وقت أكبر مع الغير، من الأصدقاء وغيرهم[1].

(١) انظر: مقال نجاح شوشة، بعنوان: أثر وسائل التواصل الاجتماعي في تفكك الأسرة والمجتمع، على موقع البيان.



ولاشك أن هذه الوسائل قد جعلت من العائلة **جسداً بلا روح،** حيث يمضي أكثر أفراد العائلة أوقاتهم مع بعضهم بأجسادهم، لكنهم منشغلون بعالم افتراضي، شغلهم عن تربية أبنائهم، وتوفير مستلزمات الحياة المناسبة للتعليم، حيث يقضي أفراد الأسرة الوقت الأكبر في هذا العالم الافتراضي، متجاهلين بعضهم وعائلاتهم.

وأثرت هذه الوسائل بشكل كبير على تبادل الزيارات بين الأقـارب، وبالتالي قطع الأرحام، وعدم الاهتمام بين الأقارب.

وقد انتشرت الكثير من حالات الاستعمال الخاطئ لهذه الوسائل من خلال التركيز على الأمور التافهة فيها، والابتعاد عن الأمور النافعة، ولاشك أن التوجه العام للتفاهة له أثر على الأفراد والأسرة بشكل عام، فالأخبار وما شابهها تلفت الانتباه إلى الأشياء التافهة، وتغض النظر عن الأشياء المفيدة والنافعة للأفراد وأسرهم.

ولست تحتاج لتعرف أن المحتوى التافه في هذه المواقع أكثر بكثير من المحتوى المفيد والسامي إلا أن تلقي نظرة خاطفة على استعمالات يوتيوب مثلاً لكونه صاحب الأثر الأكبر على الأسرة والوالدين بشكل خاص، وعلى ربات البيوت من النساء، فقد انتشرت عدوى تتمثل بنقل الشؤون الشخصية إلى هذه الوسائل وتعميمها على الجميع، من خلال بعض الفيديوهات، كالحالة التي انتشرت بشكل كبير في المغرب من خلال اسم **(روتيني اليومي)،** حيث تقوم النساء المغربيات باستعراض أشغال البيت بفيديوهات ثم رفعها على اليوتيوب لنشرها إلى أكبر شريحة ممكنة، ومع الأيام حصل نوع من التعري عند ربات البيوت، مع التساهل في الكلام وطريقته، وهذا ما أدى إلى الكثير من المشاكل العائلية التي انتهت وما زالت تنتهي بالطلاق والانفصال، وبالتالي ضياع أسر بكاملها.



وكذلك أيضاً من الأمور التي ساعدت على تفكيك الأسر السعي والبحث عن الشهرة، والانشغال بحصد اللايكات والمشاهدات، لأجل جمع المال بشكل أساسي، مما دفع الوالدين إلى إهمال البيت، وتربية الأبناء، من خلال تجاهل دراستهم وتعليمهم، وتنظيم دخولهم وخروجهم من وإلى البيت[1].

وهذه الظواهر منتشرة في كثير من البلدان، وليست حكراً على بلد دون غيره.



(١) انظر: مقال عبدالرحيم العطري، الميديوقراطية وتسيد التفاهة على موقع TRT عربي.





أثر التفاهة على الشباب

يشكل **الشباب عماد أي مجتمع** من المجتمعات الإنسانية، وبالتالي الحفاظ على الشباب يعني الحفاظ على المجتمع، وضياع الشباب يعني ضياع المجتمع بكامله، وهم الشريحة الأكبر المستهدفة من قبل التفاهة، وغالباً ما تكون المادة الإعلامية الموجهة لهم تافهة وغير مفيدة، وبالتالي تدور اهتماماتهم حول أخبار لا تمت إلى الفائدة بصلة، فلا تستغرب إن وجدت الأخبار الأكثر تعليقاً على مواقع التواصل الاجتماعي، والمتابعة على يوتيوب ومواقع الانترنت تلك التي تطلق عناوين ومضامين تافهة، كأخبار الممثلين، والمغنين، ولاعبي كرة القدم وما شابهها من أخبار واهتمامات.

في حين يتم وبشكل منظم تغييبهم عن القضايا النافعة، والتي تهم المجتمع بشكل مباشر، بل يتم تغييب دور القدوة في توجيههم، وتحويل اهتماماتهم، فافتقار المواقع الإخبارية إلى القدرة على صياغة محتوى يرتقي إلى المعايير المهنية ويحترم عقل الجمهور، هو الذي جعل الشباب يهتمون بالأمور التافهة غير المفيدة، والإنسان يميل إلى إشباع رغبة نفسه[1].

وهذه الحالة هي ما يتجلى اليوم في كل شيء أمامنا، وفي كل تفاصيل المشهد من حولنا، ففي كل شيء توجد التفاهات التي تحاصر شبابنا، وفي كل شيء يجول من حولنا، فأصبح الشباب سلعة رخيصة الثمن، في زمن التفاهة والانحطاط، وتكاد تتلاشى القيم النبيلة في عالمنا اليوم.

---

(١) انظر: مقال رحمة خميسي، بعنوان: كفى تطبيعاً مع التفاهة والرداءة، على موقع تونسaltra.



ولاشك بأن سيطرة التفاهة على المجتمعات بهذه الطريقة، وبهذا الزخم سيكوِّن **عصراً هشاً**، آيلاً للسقوط في أي لحظة في الزوال والاندثار..

ففـيه لن تعرف معنى للقيم والأخـلاق والإنسانية، وفيه تلوثت الفـطرة السليمة وتشوهت، وطغى فيه الإنسان وتجبر، وكثر فيه الظلم بين الناس، وسلبت إنسانية الإنسان، وجعلته دائم التخدير، وصار أقرب في تصرفاته وميوله وغرائزه إلى البهائم والحيوانات.

فهو عصر تعطيل العقل، وأصبحت فيه الخديعة ذكاء، والصبر والحلم استغباء، وصار فيه المغني والمغنية نجوماً، والسينمائية والتمثيل يمنح له الجوائز والأوسمة، والكل يفزع لأخذ صورة معهم.

وفي هذه البيئة التي هذه حالها يعيش شبابنا حالة من الضياع والتشتت، وضياع للمفاهيم والقيم الأخلاقية والدينية، ومن أهم أسباب انتشار التفاهة بين الشباب هو ضعف التربية المنزلية، فالتربية الناقصة هي العامل الرئيس في تدني اهتمامات الشباب حيث وُلِدوا لأبوين لا يفرقان **بين الرعاية والتربية**، فيوفرون لأبنائهم المطعم والمشرب والملبس، دون أن يهتموا بتغيير عقول أبنائهم، وحشدها بالقيم والآداب والأخلاق والطموحات التي يستطيعون من خلالها النجاة والابتعاد عن التفاهات، فتقصير الوالدين في تأمين الوعي اللازم للأطفال والشباب هو الذي دفعهم للانطلاق في نفق التفاهات المعروضة أمامهم في كل مكان.

ويلاحظ أن أكثر ما يلفت انتباه الشباب في الوقت الحاضر هو طريقة **صناعة الشهرة على مواقع التواصل**، وصنع القدوة التافهة، ودفع الشباب إلى تقليده، كنجوم سوبر ستار بدلاً من العلماء والأدباء والشعراء والمثقفين، ويتم ذلك بشكل منظم وممنهج حيث تقوم السلطات باستقطاب هؤلاء التافهين للفعاليات والمهرجانات والندوات والمناسبات العامة، وفي البرامج التلفزيونية والإذاعية، والاحتفاء بهم في المناسبات الوطنية والسنوية، وكذلك إشراكهم

في المسلسلات والأفلام الكرتونية والدرامية الموجهة للشباب، والتي غالباً ما تكون ذات محتوى تافه.

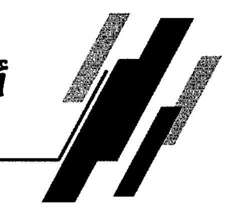
ــــ ــــ

وقد روَّجت وسائل التواصل التفاهة على الشباب وزرعت فيهم **مفهوم التمرير،** والمقصود به حالة تناقل الأخبار وتمريرها وكأنها حقائق مسلَّم بها، وخصوصاً على صفحات التواصل الاجتماعي، بحيث يأخذ الشباب كل ما يرونه أو يقرؤونه على شبكات التواصل على أنها حقيقة، وأنها ما يجب أن يعتقدوه ويقولوا به، وتظهر خطورة هذا الأمر من خلال المادة الإعلامية الكبيرة الموجودة لتشويه القيم الدينية والفضائح والزلات للعلماء والشخصيات المتزنة والتي تقدم مادة هادفة كالدعاة والعلماء والمفكرين والمصلحين، وبالتالي يتم تسويق وقبول هذه الأخبار عند الشباب دون التفكير في التأكد منه ومن مصداقيته ودقته ومدى مطابقته للواقع.

والمشكلة أن حكومات التفاهة التي تقود العالم وتسيطر عليه ترغب جداً ببقاء شباب شعوبهم على هذا الحال ويتمنون ازدياده، فهو مهم لديمومة تسلطهم وتحكمهم بمقدرات الشعوب، في ظل إهمال تام وكامل لعملية التربية والتعليم والتوعية، حيث انقلبت أكثر المؤسسات التعليمية إلى منصات لإلقاء المعلومات، دون التركيز على ناحية التربية والأخلاق.







أثر التفاهة على المرأة

تعد قضايا المرأة أحد أهم القضايا التي اهتمت بها حركة التفاهة وسياستها أو ما تعرف بما بعد الحداثة، وذلك لما في قضايا المرأة من حساسية في المجتمعات، وتأثير المرأة في توجه المجتمع ورؤيته، بل إنه من الواضح أنه لم تنشط حركة في عصر التفاهة كنشاط الحركات والمنظمات المطالبة بحقوق المرأة، والتي تنادي بشعارات في ظاهرها تبدو متفقاً عليها، ودار خلاف حولها، ولكنها في باطنها تعني تمرداً على المرأة على الواقع بما فيه من قيم وأخلاق، فهي في حقيقتها ابتذال للمرأة، وإسفاف بمكانتها.

وحتى تكتمل الصورة عندنا لابد من استعراض عام مختصر لبعض النقاط التي تتعلق بالمرأة وحقوقها في عصر التفاهة الذي نعيشه، وكيف تم استغلال قضية حرية المرأة في سبيل تحقيق وترويج أكبر كم من التفاهة حول العالم.

حرية وحقوق أم عبودية وتسليع!!

وقد ساهمت التفاهة في التأثير على المرأة من خلال إقامة الكثير من المنصات العالمية التي تطالب بحقوقها ونيلها للمساواة الكاملة مع الرجال، ومنها: التحالف الدولي للمرأة، وهيئة الأمم المتحدة للمرأة، ومؤتمر المرأة، وغيرها من المنظمات الحكومية، وغير الحكومية، التي تدافع عن حقوق المرأة، والتي غالباً تدور نظرياً حول الحق في السلامة الجسمانية، والاستقلال، وعدم التعرض للعنف الجنسي، والتصويت في الانتخابات، وشغل المناصب العامة، وإبرام العقود القانونية، والحصول على حقوق متساوية في قانون الأسرة، والمساواة في الأجور، و الحقوق الإنجابية، والحق في التملك، والتعليم، وغيرها مما يتغنى به الليبراليون والعلمانيون حول العالم.



إلا أن التفاهة لا تعرض هذه الحقوق بهذه الصيغة التجميلية، ولا تقف عندها، فهي مجرد صورة وغلاف لمضمون قبيح، يستهدف المرأة في أنوثتها، ووظيفتها في الحياة، وعادة ما يستخدم رواد التفاهة مصطلح حرية المرأة، للتعبير عن المطالبة بحقوقها.

ولابد من الإشارة إلى أن أنظمة التفاهة تعمل على إنشاء نظام عالمي واحد، من خلال تذويب خصوصيات المجتمعات وثقافاتها، ودياناتها، وبالتالي قضية المرأة تناولوها بهذه الطريقة، فالمرأة في العالم وفق نظام التفاهة يجب أن تخرج من بيتها بلباس متوحد من حيث السمة العامة، وهذا يعني القضاء على الجلباب والحجاب الإسلامي، والقضاء على العادات والتقاليد الشكلية للمجتمعات.

وكذلك حقوق المرأة فإنها في ظاهرها موجهة للنقاط التي ذكرناها، إلا أنها في الحقيقة موجهة لإسقاط أي نوع ارتباط لها بالرجل والمجتمع والدين والثقافة والعادات والتقاليد سوى ما تفرضه عليها التفاهة، فالمقصود إسقاط العصمة من يد الرجل، والقضاء على الزواج التقليدي في المجتمعات من خلال دعم المثليين، والشواذ حول العالم، ودعم الزواج العابر القائم على العلاقات الجنسية العابرة غير المؤكدة بعقد ديني وشرعي موثق، والسماح للمرأة بمعاشرة عدد غير محدد من الرجال، والنظر إلى ذلك على أنه حرية، وواجب احترامها، فالمقصود بحرية المرأة كما يريدها أربابها خروجها من بيتها، ومعاشرتها للرجال في الأندية، وأماكن العمل، والشواطئ.

فالحقوق والحرية التي يدعون إليها لا خط أحمر لها، وبنظرة يسيرة إلى واقع المرأة الغربية التي قطعت الشوط الأكبر في تحقيق حريتها وفقاً للضوابط التي وضعتها منظمات حقوق المرأة، يتبين لنا أن المرأة لم تكتفِ بتلك البنود، فإنها تعدتها إلى حد تجاوز كل الأعراف الدينية والثقافية والمجتمعية، بل إنهم أوصلوها إلى تجاوز الفطرة الإنسانية التي فطرها الله عليها، وحولوها إلى سلعة مقصودة بذاتها، حيث هناك عشرات الشركات التي تعمل على تصدير



البنات، لممارسة الجنس واستغلال أجسادهن لأعمال الدعاية، والترويج لمنتجات اقتصادية وغيرها.

مساواة بين مختلفين!!

جاء في مبادئ حقوق النساء العاملات والمساواة بين الجنسين المنشورة عام ٢٠٠٠م:

[المساواة بين الجنسين: هي المساواة بين الرجل والمرأة، وتتضمن مفهوم أننا جميعاً بشر، فالرجال والنساء أحرار في تطوير قدراتهم الشخصية، وليصنعوا القرارات بدون الحدود المرسومة، بواسطة الأفكار النمطية.

المساواة بين الجنسين: تعني أن السلوكيات المختلفة، والتطلعات، واحتياجات المرأة والرجل، يجب أن تؤخذ في الاعتبار، ويتم تقييمها وتفضيلها بمنتهى المساواة.

هذا لا يعني أن الرجل والمرأة يجب ان يكونوا متشابهين، ولكن حقوقهم، ومسؤولياتهم، وفرصهم لا تعتمد على نوع جنسهم.

المساواة بين الجنسين: تعني الإنصاف في المعاملة بين الرجل والمرأة، طبقًا لاحتياجاتهم الخاصة].

وما لفت انتباهي هو عبارة: **هذا لا يعني أن الرجل والمرأة يجب ان يكونوا متشابهين،** ففي ظاهرها تعني الفصل بين الجنسين فيما يختلفان به، طبيعة وخلقاً وفطرةً، ومساواتهما فيما يجتمعان به، كفرص عمل ونظرة إليهما من حيث أصل الخلقة على أنها بشر، لا تقديم لأحدهما على الآخر، وهذا متفق فيه بين المجتمعات والثقافات والأديان.

إلا أن تطبيق ذلك على الواقع يختلف تماماً، فالواقع يدل على أن المرأة قد تمردت على الرجل والمجتمع، وتجاوزتها بمراحل، وتم توجيهها نحو الإسفاف والضحالة والتفاهة، والتسلط على مكان الرجل، ومنافسته في كثير من الأمور الخاصة به، كالأعمال الشاقة والمكلفة، بل إنها تخلت عنه بشكل كامل من خلال تحميلها مسؤوليات الحياة ومشاقها.



ومصطلح المساواة صار شماعة للقضاء على ثقافات الشعوب وعاداتها ودينها، من خلال قيام منظمات حقوق المرأة بالمطالبة بتغيير القوانين التي تتخذ من هذه الثقافات مرجعاً ومصدراً للتشريع، في طريقها للقضاء على كل مظاهر التمييز والافتراق بين الشعوب، لخلق مجتمع عالمي تافه، يقوم على الشذوذ والحرية المطلقة غير المقيدة بقيد خلْقي وخلُقي.

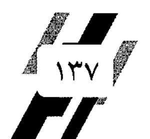
بينما طرح الإسلام نظرية العدل بين الجنسين، لا المساواة، لأن المساواة بين المختلفين غير ممكنة، أما العدل فيقتضي إعطاء كل منهما حقه، بما يتناسب مع طبيعته التكوينية، والخلقية، فبين الإسلام أن أصل الرجل والمرأة واحد، وأنهما خلقا من نفس واحدة، ولهما القيمة والتشريف والكرامة ذاتها، وحملهما مسؤولية بناء العالم من خلال الاستخلاف، وعليهما التكاليف الشرعية ذاتها إلا ما تميز به كل منهما بطبيعته الخلقية كالحيض والنفاس للمرأة.

وأعطى الإسلام المرأة حقوقها بما يتناسب مع طبيعتها، فلها حق الملكية، ولها ذمتها المالية المنفصلة تماماً عن ذمة الرجل، ولها حقها في الصحة والتعليم والشؤون الاجتماعية، ولها حقها الكامل في التكليف العيني والكفائي، وفي الرخص الشرعية، والميراث، ونظام العقوبات، والمعاملات المالية، والأحوال الشخصية، وحفظ الدين والنسل والنفس والمال والعقل، وحقها بحمل الدعوة إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فالإسلام يفرق بين الرجل والمرأة، فيما يفترقان فيه، ولكنه يعدل بينهما، في كل شيء، كل على حسب طبيعته، فينظر إلى الاختلاف بينهما على أنه اختلاف تكاملي، يكمل أحدهما الآخر، وليس اختلافاً نقصياً.

ظاهرة النسوية Feminism

وكان قد استخدم مصطلح النسوية لأول مرة باللغة الإنجليزية، في القرن الـ ١٩، بعد أن صاغه الفيلسوف الفرنسي شارل فوربييه للمرة الأولى في العام ١٨٣٧، وقيل: إنه ظهر في النصف الثاني من القرن الثامن عشر.



وحركة النسوية كغيرها من الحركات ومنظمات حقوق المرأة، وتنادي بالشعارات ذاتها بشكل عام، إلا أنها تفترق معها في أن النسوية هي توجه سياسي في كثير من جوانبه، وربما يتم استغلالها من قبل الدول الكبرى للضغط على الدول كنوع من ممارسة الهيمنة والقوة.

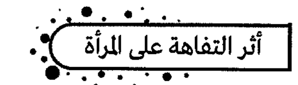
فالنسوية ليست حركة اجتماعية، تقوم على العمل مع الرجل كنوع من المشاركة لبناء المجتمعات، بل هي تقوم على نوع من الصراع الندي مع الرجل، وتتخذ منه وتجاهه نظرة سلبية على أنه هو السبب الأول فيما تتعرض له المرأة من دونية واضطهاد.

وبالتالي يتركز الهدف القريب للنسويات على فصلهن عن الرجل، ولكن الهدف البعيد يقوم على استغناء المرأة عن الرجل بشكل كامل، كما قالت جيل جونستون وهي إحدى منظرات النسوية في العالم: (لسنا مضطرين لأن تكون لنا أية علاقة بالرجال على الإطلاق)، فالنسوية نوع من الثورة والمعركة لمواجهة الرجل وذكوريته، وكأنها نوع من العنف في المطالبة في الحقوق التي لم تفلح المنظمات السلمية الاجتماعية في تحقيقها، فتمردن بالقوة والعنف لتحقيق ما يردن تحقيقه!!

وبالتالي تتبنى النسوية نوعاً من المطالب المتطرفة والراديكالية القائمة على نقل المركزية من الرجل إلى المرأة، باعتبارها هي المحور الأساس للحياة، فهي ترفض التفسير الواحد والوحيد المطروح للحضارة كونه نتاج العقل الذكوري الذي لعبت فيه المرأة دوراً ثانوياً كما تطرحه أدبيات الحركة النسوية.

تقول يمنى طريف الخولي إحدى رائدات النسوية في العالم العربي: (النسوية: هي كل جهد نظري أو عملي يهدف إلى مراجعة، واستجواب، أو نقد أو تعديل النظام السائد في البنيات الاجتماعية، الذي يجعل الرجل هو المركز، هو الإنسان، والمرأة جنساً ثانياً، أو آخر، في منزلة أدنى، فتفرض عليها حدوداً وقيوداً، وتمنع عنها إمكانات للنماء والعطاء، فقط لأنها امرأة، وفي الناحية الأخرى، تبخس خبرات وسمات لأنها أنثوية، لتبدو الحضارة في شتى





مناحيها إنجازاً ذكورياً خالصاً، وهو ما يؤكد ويوطد سلطة الرجل وتبعية وهامشية المرأة)[1].

فالنسوية تسعى بشكل من الأشكال إلى الاستقلال عن الرجل بشكل كامل، وإقامة مجتمع نسوي، بكل ما تعنيه الكلمة من معنى، وهذا يعني أن النسوية تسعى إلى إزالة أي علاقات اجتماعية تربط الرجل بالمرأة، كعلاقة الزوجية بين الزوج وزوجته، وعلاقة الأبوة بين الأب وابنته، أو علاقة الأخوة بينها وبين أخيها، فالأصل في هذه العلاقات هو الصراع لسيطرة المرأة، فلا اعتبار للأسرة في أدبيات المرأة إلا بمقدار ما يخدم المرأة في سيطرتها على العالم وعلى الرجل، وإلا فإن أدت الأسرة إلى تقييد المرأة لحصوله على حقوقها فالتخلي عنها يكون واجباً، باعتبارها قيداً بما يحمله من صور للارتباط مع الرجل من حمل وأمومة وولادة وغيرها.

تقول شولاميت فايرستون في كتابها النسوية وما بعد النسوية: (إن القضاء على الأدوار المرتبطة بين الجنسين لن يتحقق إلا بالقضاء على الأدوار الثابتة التي يقوم بها الرجل والمرأة في عملية الإنجاب، ومن هنا فإن منع الحمل والتعقيم والإجهاض، وثم التلقيح الاصطناعي، كلها وسائل تساعد على تقليل التمييز البيولوجي، ومن ثم الحد من التمييز بين الجنسين في مجال السلطة)[2].

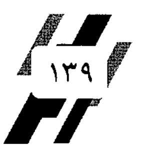
فالنسوية تسعى للقضاء على أي شكل من أشكال تسلط الرجل على المرأة، بما فيها قدرته على التلقيح من خلال الجماع وممارسة الجنس، فالمرأة عليها أن تلجأ إلى التلقيح الصناعي كبديل عن تلقيح الرجل، فهي تدعو إلى حريتها الجنسية وانفصالها عن الرجل، ولذلك فالدعوة إلى المثلية الجنسية من أهم مرتكزات الدعوة النسوية.

وثقافة العنف والتحريض هذه التي تسعى النسوية إلى ترويجها بين نساء العالم، على

---

(١) انظر: مقال محمد السعد، بعنوان: الحركة النسوية الراديكالية، على موقع إيلاف.

(٢) المرجع السابق.



اعتبار أن المرأة ظُلمت من قبل الرجل، وأنه لا يمكن احتمال هذه الحال، وبالتالي يجب تكوين جناح متطرف نسوي يعمل على حرية المرأة ونيلها حقوقها بالقوة، ودون العمل مع الرجل، أو مساعدته، فالنسوية هي الجناح العسكري إن صح التعبير لمنظمات حقوق المرأة الاجتماعية والأممية.

واستغلت النسوية من قبل السياسة بشكل كبير، واختلفت وتشعبت إلى أشكال كثيرة، فنجد النسوية الاشتراكية، والرأسمالية.

مجتمع الميم

وهو الاسم التجميلي للمثليين الشواذ، وهو ما يعبر عن الانجذاب الجنسي للرجال نحو الرجال (اللواطة)، وللنساء نحو النساء (السحاق)، فالذي ينجذب للجنس الآخر يسمى سوياً، أو طبيعياً، بينما يسمى من ينجذب لجنسه مثلياً أو شاذاً.

ونحن لا نناقش حالة المرض النفسي بشعور الميل إلى الجنس المماثل، وهو حالة طبية قديمة، ولها أحكامها وعلاجها، وغالباً ما تكون غير اختيارية، ولكننا نتكلم عن حالة مجتمعية منظمة، ولها أدبياتها، وينادي بها أشخاص طبيعيون، لا مرض فيهم، ويخرجون بمسيرات ومظاهرات مطالبة بالاعتراف بهم كحالة طبيعية مساوية لغيرهم، وعدم النظر إليهم كحالة شاذة.

وعادة ما يطالب المثليون والشواذ الحكومات بالاعتراف بتصرفاتهم كالزواج، والتبني، والعمل، ومكافحة التنمر الذي يتعرضون له من قبل فئات المجتمع، وتعد المثلية في غالب الدول والمجتمعات جريمة، كأثر من الآثار الباقية للسوية والطبيعية الإنسانية، وزاوية من الزوايا التي لم تسيطر عليها التفاهة حتى الآن، إلا أن العمل جار على تحسين صورة المثليين من خلال الإعلام والسوشل ميديا، وخاصة في المجتمعات التي تصنف بأنها رافضة تماماً لهم كآسيا وأفريقيا، حتى أقيمت بعض الجمعيات والمنظمات التي تتكلم باسمهم، وبعضها له



توجه في البلاد العربية، ولكن غالباً تكون مراكزها في الدول الغربية، كجمعية: حلم وميم اللبنانية، وجمعية المثليين، وغيرها..

وتقديم المثلية الشاذة على أنها حالة صحية، وبالتالي تقبلها في المجتمعات الإنسانية، ليس إلا أثراً من آثار نظام التفاهة العالمي، وآثار ما بعد الحداثة، حيث لا يبقى شيء له خط أحمر، وبالتالي في هذا المجتمع التافه كل شيء متوقع وجائز، ومحترم أيضاً، ولا حدود لذلك، فربما يأتي اليوم الذي يتم فيه الاعتراف بعقود الزواج بين الإنسان والحيوان، وبين المحارم من بني البشر، حيث لا وجود للأخلاق ولا للقيم، فهو عصر الحريات المطلقة، والتي لا حدود لها.

وقد تم في سبيل ذلك وخاصة في المجتمعات العربية والإسلامية تسخير الكثير من السياسات والأموال المتدفقة من الغرب إلى أتباعهم في بلداننا في سبيل تحقيق ما يريدونه من المرأة المسلمة من خلال إنشاء جمعيات حقوق المرأة، والمساواة بين الجنسين، ودعم التوجه المثلي ولو كان نادراً وفردياً، ومحاولة الضغط سياسياً على الحكومات من أجل تقديم تنازلات في سبيل ذلك، أو الاعتراف رسمياً بحقوق للمرأة والمثليين وإن خالفت توجه المجتمع، وثقافته.

وتم إنشاء الجمعيات النسوية المتسترة بلباس المنظمات الإغاثية والمدنية، حيث يتم تقديم وسائل منع الحمل للمتزوجات، وغيرهن، وقد وقفت شخصياً على الكثير من الحالات هذه في سوريا، وخاصة في مناطق سيطرة حزب العمال الكردستاني الذي يدعم وبشدة منظمات حقوق المرأة والمساواة بين الجنسين، ومنظمات النسوية.

وتتم المطالبة بسن قوانين تيسر للنساء الإجهاض وبالمجان، وتعقد الندوات والمحاضرات، التي تدعوهن إلى عدم التفكير في مشروع الزواج؛ ويدخلون من باب منع تزويج القاصرات، وأنهن فتيات لا زوجات، ولأن الزواج يقف في طريق طموحهن وأحلامهن في العيش بحرية



على طريقة نساء الغرب المتحررات، وتقدم لهن البعثات الدراسية إلى دول الغرب قبل الرجال، وتصاغ المناهج الدراسية والندوات والبرامج الإعلامية لتخرج فتيات مهيئات ومقتنعات بالفكر الحر والاختلاط، ومساواة المرأة مع الرجل في كل شيء، واحترام إباحية الحضارة الغربية، والتمرد على العائلة والمجتمع، وترك الحجاب واللباس الساتر، وكشف العورة في الحياة العامة، وتحدي الأحكام الشرعية المتعلقة بالطلاق والميراث، وتعدد الزوجات، ولباس المرأة، والعمل في مهن تحط بهن غريبة على المجتمع العربي والإسلامي كعرض الأزياء والدعايات الإعلامية والباليه، وبدعم مباشر ومنظم من المنظمات الدولية، وبإقرار من قبل الحكام التافهين على أساس أنه جزء من الحضارة والديمقراطية وحرية المرأة!

فالحرية التي تطالب بها حكومات التفاهة معناها إباحية المجتمع، وتحرره وتحلله من كل القيم التي ترفع من شأن الإنسان، وأن تصبح المرأة منفلتة من أية ضوابط أخلاقية، وتصبح سلعة يستغلها المجتمع أبشع استغلال، وإغراؤها بادعاءات، وشعارات.

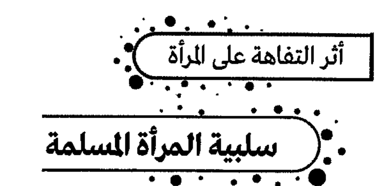
وهكذا يتم تشويه صورة المرأة، ودورها الحقيقي في الحياة من قبل حكومات التفاهة، ولا شك أن الهجمة الفكرية من قبل هذه الحكومات من خلال الإعلام والمناهج سهلت الصعب، وهيأت الأمر في استغلال المرأة، لهدم أفكار وأحكام المجتمعات.

ويكشف د. هنري ماكو وهو أستاذ جامعي وباحث متخصص في الشؤون النسوية زيف ادعاءات تحرير المرأة في الغرب، ويصفها بالخدعة إذ يقول: (تحرير المرأة خدعة من خدع النظام العالمي الجديد، خدعة قاسية أغوت النساء الأميركيات، وخربت الحضارة الغربية)[1].

---

(١) انظر: مقال حازم بدر بعنوان: الحرية للمرأة في الغرب هي من عبودية الديمقراطية، على موقع مجلة الوعي.





سلبية المرأة المسلمة

وهناك حالة يحرص الإعلام التافه على تقديمها في شتى المجالات والمواقف وهي إظهار صورة نمطية سيئة عن المرأة العربية والمسلمة، عن طريق إظهار أنها مضطهدة ومقموعة من الأب أو الزوج، كما أن أغلب النقاشات حولها تتصف بالسلبية، وتصورها على أنها مختنقة من حجابها، وأنه خيمة على رأسها، وينشرون الكثير من الصور والفيديوهات التي تحاول زرع هذه الفكرة.

كما أنهم يناقشون مسألة إجبارها على الزواج، واضطهادها بسلب حرية اختيار الشريك منها، وأن حريتها لا تتعدى مطبخها، وذلك لإلقاء اللوم على نصوص الشريعة، وإلصاق التهم بها، وصولاً إلى إفقاد المجتمعات العربية والمسلمة ثقتها بالدين وبنصوصه، وخلق حالة من التمرد عليها، ويحرص الإعلام على الاهتمام بكل حالة تمرد، وتجميلها، وإظهارها على أنها النجم والبطل، كما تم الاحتفاء بالمرأة السعودية التي خلعت الحجاب، ولجأت إلى أمريكا، وبالفتاة المصرية نورهان نصار التي ألحدت في بريطانيا!!

وبالتالي تحرص حكومات التفاهة على المناداة بشعارات إخراج المرأة من المنزل، وتضخيم كل حالة إشكالية بين الرجل وزوجته، وإظهارها في الإعلام على أنها حالة مجتمعية، في حين يتم تغييب الكثير من حالات القتل والاعتداء على المرأة في الغرب التي تعد الصورة المثالية لمجتمع التفاهة الخاص بالمرأة، وتحسين صورة أفعال المرأة، وأنها تعيش في نعيم واحترام وتقدير بين الناس، وإخفاء الشقاء والعبودية التي يعشن فيها في ظل أنظمة الاقتصاد والعولمة.

فأنظمة التفاهة الغربية لم تحرر المرأة، لأهداف إنسانية، وإنما لاستغلالها في تطوير المنتجات وتسويقها، ولقد استغل في ذلك جسد المرأة، وحولت المرأة نفسها إلى سلعة جنسية تساهم في الترويج للسلع بإغراء المستهلكين، بالإضافة إلى تطوير المنتجات التي تتعلق بالمرأة، أو بالعلاقة بين الرجل والمرأة، ابتداء من العطور ومواد التجميل والأزياء حتى المنشطات الجنسية.





الإباحية

إن أنظمة التفاهة إباحية بامتياز تسعى لإيجاد حالة من الفوضى، بحيث يستطيع فيها الرجل أن يعاشر الكثير من النساء، حتى لو كان متزوجاً، وكذلك دفع المرأة لمعاشرة الكثير من الرجال، ما أدى إلى انتشار الأمراض الخطيرة كالإيدز، فلا فرق في مجتمعات التفاهة بين الزوج والعشيق، وهذا ما تبحث عنه النسوية الراديكالية والمتطرفة.

ومجتمع التفاهة يعمل على التخلي بشكل كامل عن شكل الأسرة الطبيعية المكونة من قبل أب وأم معروفين، وأبناء من صلبهما، لا من صلب غيرهما، مع التشجيع على عدم الإنجاب، كحق للمرأة يمكنها التخلي عنه أو فعله متى شاءت، وممن شاءت، ولذلك تتحول المجتمعات الأوروبية إلى الشيخوخة، وكثير من النساء الغربيات يعشن اليوم لوحدهن، ما أدى إلى تفشي ظاهرة العيش مع الحيوانات الأليفة كبديل عن العيش مع الرجال، وهناك نسبة كبيرة من المراهقات في دول الغرب يتركن بيوتهن، بحثاً عن الاستقلال، وكل هذا مكفول حمايته من قبل القانون.

ونستطيع أن نقول إن غاية أنظمة التفاهة في المعاملة مع المرأة هو الوصول بها إلى التعري والإغراء، وكشف الأجساد، واستغلال جسد المرأة في مسيرتها الاقتصادية، يتم ذلك عن طريق سينما هوليود لبناء صورة معينة يراد أن تكون عن المرأة.

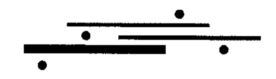
ربة بيت أم عبدة!

والمرأة في أنظمة التفاهة يجب عليها أن تعمل إن أرادت الحياة، وليس مطلوباً من أي رجل -والد أو أخ أو زوج- الإنفاق عليها، كما في نظام الإسلام، ما يجعلها تمتهن وتستغل في أحيان كثيرة حين تعمل من أجل قوت يومها، فمفهوم ربة البيت غير موجود في أدبيات التفاهة.

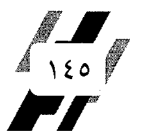


يقول ألكس كاريل، وهو أحد رجال الفكر في الغرب، الحائز على جائزة نوبل: (أليس من الغريب أن برامج تعليم البنات لا تشتمل بصفة عامة، على أية دراسة مستفيضة للصغار والأطفال وصفاتهم الفسيولوجية والعقلية؟

يجب أن تعاد للمرأة وظيفتها الطبيعية، التي لا تشتمل على الحمل فقط، بل أيضاً على رعاية صغارها)[1].



(١) انظر: مقال حازم بدر بعنوان: الحرية للمرأة في الغرب هي من عبودية الديمقراطية، على موقع مجلة الوعي.





تفاهة الغاية.. الإلحاد

لا يمكن القول إن الإلحاد -بمفهومه العام- ظاهرة حديثة ومعاصرة، بل هو ظاهرة قديمة قدم الإنسان، ومرافقة له بالجملة **ولكنه كان نادراً نوعاً ما**، وكان ينظر له على أنه فكرة غير مرغوب فيها وشاذة، إلا أن أولى صور ظهور الإلحاد القديم كفكرة كانت على يد الفلاسفة اليونانيين، وبالذات الفيلسوف ديمقراطيس الذي كان يقول بمادية الكون، ثم ظهر بعده أبيقور الذي أثار فكرة الشر في العالم، ليثير الكثير من الشبهات الموجهة إلى المؤمنين حول إلههم، وهي المشكلة والحجة التي يستند عليها الكثير من الملحدين المعاصرين بشتى توجهاتهم وأفكارهم، وهي حجة من لا حجة له، فإن نفدت حججهم قالوا:

لماذا خلق الله الشر؟.

وقد كان عبر التاريخ للإلحاد أعداء يرفضون وجوده بشكل كامل، ويحاربونه، ولعل الدين يعد من ألد أعداء الإلحاد عبر التاريخ، وأقصد بالدين هنا المعنى العام، وهي إثبات إله لهذا الكون، سواء على الطريقة الدينية التقليدية (المسيحية واليهودية والإسلام) أو على الطريقة الفلسفية (إله الخير والشر، أو النور والظلمة)، فالأديان تقف موقفاً موحداً ضد الإلحاد بالرفض، لأنهما ينظران إلى بعضهما على أنهما فكرتان متقابلتان ومتناقضتان لا يمكن أن يجتمعا في مكان واحد، فوجود أحدهما يعني زوال الآخر، وزوال أحدهما يعني وجود الآخر.

إلا أنني لم أجد في التاريخ حدوث صراعات مباشرة بين الدين والإلحاد، ذلك أن عبر العصور كلها ثبت أن **الدين أقوى بمراحل** من الإلحاد، وأجاب بشكل كامل أو جزئي عن



أسئلة النفس الإنسانية والبشرية، على خلاف الإلحاد الذي كان يعد هروباً إلى السلب والنفي، بعد الحيرة، ولذلك لم يكن للإلحاد ذلك الجمهور الذي يجعل منه قوة تقف أمام الدين وفكرة الإلهية.

حتى تلك الصراعات التي حدثت بين الكنيسة كمؤسسة تمثل الدين، وبين جاليليو والتي انتهت بمحاكمة جاليليو ومنعه من الترويج لنظرية مركزية الشمس التي قال بها أولاً كوبرنيكوس، لم يكن صراعاً بين الدين والإلحاد كما يحاول البعض أن يفسره، لتشويه صورة الدين التاريخية، بل كان صراعاً بين الدين حينها، أي الكنيسة بموروثها الفكري وبين العلم الحديث حينئذ، فجاليليو لم يكن ملحداً بمعنى إنكار وجود إله للكون، بل كان مؤمناً على الطريقة المسيحية، وكل ما هنالك ان الكنيسة كانت تنظر إليه على أنه مبتدع مهرطق، بل كان جاليليو يصر على أن نظريته لا تخالف الدين ونصوص العهد القديم والجديد، إلا أن أعداءه أثاروا مشكلته عند البابا يومها وحدث ما حدث.

فتحويل الصراع إلى صراع بين الإلحاد والدين فكرة غير صحيحة وخاطئة، ومن يروجها فإنما يروجها لتشويه صورة الدين التاريخية، وأنه لا يتقبل الآخر.

أما الإسلام فلم يتحدث عن الإلحاد المعروف بإنكار وجود إله، لأنها مسألة محسومة بالنسبة للإسلام، وهي فكرة لا يمكن الاعتراف بها ولا بأي شكل من الأشكال، وإنما تكلم عن الدهريين الذين ينكرون البعث بعد الموت[1].

* * *

كانت هذه النظرة هي السائدة حتى نهاية القرن الثامن عشر حيث فتحت الثورة الفرنسية حقبة جديدة للشعوب عنوانها **التمرد على الأديان**، ونستطيع أن نقول إنها فتحت باب أنظمة التفاهة في أول بداياته، حيث كانت ثورة على كل المألوف، وليس على الكنيسة

---

(١) انظر: مقال أحمد محمد حسن وأحمد دعدوش بعنوان: وجود الله، على موقع موسوعة السبيل.



فقط، فانتشرت العلمانية بين الدول، وأخذت الدول تجاهر بحربها للدين، ورفضها له.

وجاء منتصف القرن التاسع عشر حيث ظهرت بعض النظريات الإلحادية، والتي تفسر الكون وفق المادة وغيرها، وعلى رأسها نظرية داروين في التطور، أو نظرية النشوء والارتقاء، وبدأت فكرة التخلي عن وجود الخالق الأعظم، وتزامن ذلك العصر بظهور عدد من الملحدين ككارل ماركس، ونيتشه، وسيغموند فرويد، الذين بدأوا بتحليل الظواهر العلمية والنفسية والاقتصادية والاجتماعية، بطريقة لم يكن لفكرة الإله أي دور فيها.

كان بعضهم يعبر عن الدين على أنه فزاعة من صنع البشر يخوفون بها الأولاد، وينظمون بها الحياة، أو على أنه أفيون ومخدر كما يراه ماركس، أو أن الإله ينوب مكان الأب الكامل كما يرى فرويد، وبالتالي فالبشرية كما يقولون ليست بحاجة اليوم إلى الإله.

أما العرب والمسلمون فأعتقد أن صراع مجتمعاتهم الحقيقي مع الإلحاد بدأ في نهايات القرن التاسع عشر، حيث بدأت الدول الاستعمارية الأوروبية بالدخول إلى بلاد العرب والمسلمين كمحتلين، وبصورة حاملي الحضارة، وتقاسم تركة الرجل المريض الذي تمثل بالدولة العثمانية، بعد ضعفها، وبداية انهيارها، فكان دخول الأوروبيين إلى بلاد المسلمين عن طريق المستشرقين والمبشرين وعن طريق الإرساليات العلمية والتنويرية، وبداية الاحتكاك المباشر بين المجتمع العربي والمسلم وبين العلمانية الأوروبية بما تحمله من مفرزات الحضارة والتقدم العلمي.

هذه النقطة فتحت أمام علماء الأمة باباً عظيماً من **الصراع الجديد** حول التأويل والتفسير، ومحاولة الجمع بين ما تفرزه الحضارة الأوروبية من وقائع ومعلومات، وبين نصوص الشريعة الإسلامية، وظهرت عندها الكثير من التيارات التأويلية، وخاصة قبيل الحرب العالمية الأولى، وبعدها مباشرة حيث سقطت الخلافة، وبالتالي سقط خط الدفاع الأول عن فكرة القوة



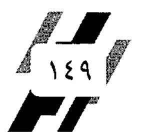
الإسلامية وعزتها، وبالتالي أصبحت كل فكرة تطرح على الساحة قابلة للأخذ والرد، والتخطئة والتصويب، ووقف الإسلام بأفكاره وكتّابه ونصوصه وجهاً لوجه أمام مئات الشبهات التي يعتقد أنها شبهات، وأمام الكثير من التفسيرات التي يعتقد بأنها تخالفه، وخاصة مع ظهور الكم الكبير من التكنولوجيا من تلفاز وغيره، والتقدم السريع الذي لم يستطع المسلمون والعرب مجاراته، بسبب الاحتلال وسياسة التجهيل التي تبعها، إلى أن وصلنا إلى عهد وسائل التواصل الحديثة والثورة العلمية والرقمية.

وخلال هذه الفترة ظهر تيار الحداثة وظهر من ينادي به، وينادي بإعادة قراءة النصوص الشرعية من القرآن والسنة، وفق ما يتناسب مع العصر الحديث، مع تمكن الأنظمة العلمانية ووصولها إلى السلطة، وفصل الدين عن الدولة، بل ومحاربة الدين والمتدينين، ومحاولة السلطات العلمانية كبتهم، وتقييدهم وزج الآلاف منهم في السجون.

ثم ظهر -بنوع من التداخل مع الحداثة- تيار ما بعد الحداثة الذي يشكل خط الدفاع الأول عن فكرة التفاهة، بل هو المتحدث الرسمي للتفاهة، ومع كل هذه المادة التشكيكية بالدين وأهله، ومحاولة تسويق مفهوم الإلحاد والإله الجائر والشرير، إلا أن الإلحاد حتى الآن لم يظهر كحالة من الممكن اعتبارها في المجتمعات العربية والإسلامية ظاهرة وسمة واضحة.

ويعود ذلك إلى تمكن الإسلام بشكل عام من نفوس الناس، وأيضاً بسبب -وهذا أهم الأسباب برأيي- هو العقيدة السهلة والواضحة التي قدمها الإسلام للعالم، وهي عقيدة التوحيد، على خلاف العقيدة الكنسية المسيحية واليهودية الغامضة، والمعقدة.

ولابد من إلقاء الضوء على أهم الأفكار التي شكلت مقدمة **تجميل الإلحاد** في نفوس العرب والمسلمين، لا القول به، فهذه الأفكار لم تقل بالإلحاد، ولم تتبناه كفكر، ولكنها قدمت



الإلحاد على أنه حالة يمكن التعايش معها، وقبولها في المجتمع، وأنه رأي صحي، بعد أن كان المجتمع ينظر إليه على أنه حالة شيطانية ومريضة وغير صحية، لا تختلف كثيراً عن عبادة الشيطان، إن لم تكن أقبح منها وأسوأ.

وهذه النقاط التي قدمها الحداثيون وما بعدهم تدور كلها في فلك نقد الدين الإسلامي، وزعزعة الثقة به في نفوس الناس، ومحاولة إعطاء الناس صورة عن الدين الإسلامي تشابه تلك التي تركتها الكنيسة المسيحية في نفوس العالم، **وأهم هذه النقاط هي:**

❊ **تأويل النص أو (كسر النص)**: أو التأويل المنفلت، ويريدون به فتح باب التأويل للنص القرآني أو النبوي للجميع، دون استثناء، وبدون ضوابط، أو بدون الضوابط التي وضعها العلماء المسلمون على مدى القرون، حيث لا يجوز لكل من (هب ودب) أن يفسر النص كما يشاء، فهناك ضوابط معينة لا يجوز تجاوزها.

وهذا الكسر للنص يعني إباحته للجميع، فيتصرفون به كما يشاؤون، ويفسرونه هم، على وفق مصالحهم لا على ما يريد الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، فيتم اختراق النص بأفق اجتهادي تجديدي كما يقولون، ومن خلاله يتم إقامة التوازن بين القرآن وبين الواقع المتغير[1].

ويعتمدون في كسر النص وفتح باب التأويل على أن التأويل هو الأصل في التعامل مع النص، لأننا نتعامل مع لغة النص، وهي لغة بشرية، فالتأويل لازم من لوازمها[2].

❊ **نفي الحيادية في تأويل النص**، أي: أنه لا توجد قراءة بريئة، حيادية، أثناء التعامل مع النص لأن الجميع -كما يقولون- يخفي بواعثه وغاياته التي دفعته إلى تأويل النص على النحو الذي أوله به، وبالتالي لا قراءة هي أولى من غيرها، فكما أول الأوائل النص، فلنا أن نؤوله، ونحمله على المعنى الذي يحتمله العصر، وليسوا بأولى منا[3].

---

(١) انظر: مقال عبداللطيف المحيمد بعنوان: القرآن الكريم في الفكر الحداثي، على موقع موسوعة السبيل.

(٢) انظر: العلمانيون والقرآن الكريم، أحمد إدريس الطعان، دار ابن حزم، الرياض، ط: ١، ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م، ٤٢٢.

(٣) انظر: العلمانيون والقرآن الكريم، أحمد إدريس الطعان، ٤٢٤.

❊ **التأويلات الكثيرة**: أو عدم ثبوت المعنى في النص، فالمعنى الذي لا يحتمل إلا تأويلاً واحداً، أو تأويلات محددة ليس موجوداً، بل في كل تاريخ ومجتمع من الممكن أن يحمل النص على ما يناسبه من معان وتأويلات(١).

❊ **أنسنة النص أو نزع القدسية عنه**: ويقصدون به أن كل شيء في النصوص القرآنية يحتمل التأويل، ومن الممكن صرفه عن ظاهره إلى المجاز، وبالتالي نستطيع أن نجعل من الإسلام ديناً مرناً نسقط الكثير من أصوله التي توارثها المسلمون عبر الأجيال، ويستطيع المسلمون من خلال التأويل في كل عصر أن يفصِّلوا إسلاماً يناسب مصالحهم(٢).

فالحداثيون يرون أن النص فعل إنساني محض، وهم يلمحون بذلك على أنها ليست وحياً من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وثابت المعنى، أو ليست نصاً مقدساً لا يحتمل التأويل، وهذا التعريف والفهم مخالف لما فهمه علماء الأمة(٣).

❊ **نسبية معنى النص**: أو لا نهائية المعاني للنص، أي أن كل إنسان يرى حقيقة المعنى من وجهة نظره هو، فالحقيقة تتعدد بتعدد التأويلات والأشخاص، ولا يجوز لأحد أن يفرض معنى معيناً على غيره، لأنه سيصادر الحقيقة، وسينصب نفسه وصياً على الخلق حينها(٤).

❊ **البحث عن المعنى المفقود وراء السطور**، فالحداثيون ينظرون إلى النص على أنه يخفي من المعاني، أكثر مما يظهر، ولذلك لابد من فتح الباب لاستخراج المعاني الخفية بين السطور والكلمات(٥).

---

(١) انظر: العلمانيون والقرآن الكريم، أحمد إدريس الطعان، ٤٢٤ وما بعد.

(٢) انظر: مقال عبداللطيف المحيمد بعنوان: القرآن الكريم في الفكر الحداثي، على موقع موسوعة السبيل.

(٣) انظر: مقال عبداللطيف المحيمد بعنوان: موقف الفكر الحداثي من السنة النبوية، على موقع موسوعة السبيل، وانظر أيضاً العلمانيون والقرآن الكريم، الطعان، ص: ٤٢٥.

(٤) انظر: العلمانيون والقرآن الكريم، أحمد إدريس الطعان، ٤٢٦.

(٥) انظر: العلمانيون والقرآن الكريم، أحمد إدريس الطعان، ٤٢٩.



❊ **نسخ النص من خلال التأويل**: ويقصدون أن التأويل يقدم بديلاً عن النص، وأنه ناسخ له، وبالتالي يجب إنهاء العمل بالنص الإلهي لأنه نسخ بشرحه وتأويلاته[1].

❊ **رمزية النص**: أي: أن كل كلمة هي رمز، أشبه باللغز، ولا بد من حل غوامضها، من خلال التأويل، وإخراج المعاني من مجازاتها، فيجب تقويل النص، وليس فقط تأويله[2].

❊ **تناص النص**: أي: ارتباطه بالنصوص السابقة له، كالإنجيل والتوراة والشعر الجاهلي، فهو مستمد منهما بشكل من الأشكال[3].

وهكذا عمل الحداثيون وما بعدهم على تشكيل قاعدة من التأويلات والحجج والشبه مهدت لظهور بدايات الإلحاد في العالم العربي والإسلامي، ولابد من الإشارة إلى أن غالب من تكلم بهذه الأمور من الحداثيين وما بعدهم هم خريجو الجامعات والكليات الأوروبية، وليسوا من خريجي الجامعات والكليات العربية والإسلامية.

هذه النافذة للملحدين -أو الذين لديهم استعداد فكري ونفسي للإلحاد- التي فتحها الحداثيون وما بعدهم، جعلت المجتمع العربي والإسلامي أمام **ثنائية تكوّن منظومة التفاهة** التي تغزو المجتمعين، وهذه الثنائية هي:

أولاً: القراءة الجديدة للتراث النصي الإسلامي، وفتح باب التأويل للنصوص الشرعية على مصراعيه، ولكل إنسان، وبالتالي تستطيع استخراج واستنباط المعنى الذي تريده، وإن كان تأويل معنى الإله، أو نفيه، أو على الأقل تقبيحه في نفوس الشباب والناس.

ثانياً: التفاهة المتمثلة بالكم الكبير من المادة المرئية والمسموعة والمقروءة، التي قدمت في

---

(١) انظر: العلمانيون والقرآن الكريم، أحمد إدريس الطعان، ٤٣١.

(٢) انظر: العلمانيون والقرآن الكريم، أحمد إدريس الطعان، ٤٣٢.

(٣) انظر: العلمانيون والقرآن الكريم، أحمد إدريس الطعان، ٤٣٤.



الصحف والجرائد والتلفاز والسوشل ميديا، من يوتيوب وفيسبوك وتويتر وغيرها، والتي أعطت الفضاء الكافي للإنسان لنشر أفكاره وتأويلاته ووجهة نظره المناسبة عن النص، أو عن الدين بشكل عام.

وبذلك بتنا نعيش في منتصف وقلب عصر التفاهة..

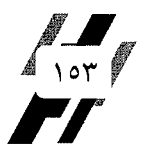
وساعد ذلك في ظهور بعض الملحدين هنا وهناك، كحالات فردية غير منظمة، إلا أن إعلام التفاهة يحاول إظهارها أمام الرأي العام على أنها ظاهرة ومنتشرة، وفي وسط هذه المعمعة من حالة التفاهة اليومية التي نعيشها نستطيع أن نضع بعض النقاط التي توضح لنا حالة الإلحاد والملحدين كإفراز عن التفاهة وسياستها وأنظمتها.

أولاً: ساعد بعض الإسلاميين على ظهور حالة التفاهة هذه، ولا أقصد بهم الحداثيين بل أقصد بهم نوعين من رجال الدين الإسلامي إن صح التعبير، والمتكلمين باسم الإسلام، والذين ينظرون في الدفاع عنه، وعن نصوصه، وشكلوا جانبي **الإفراط والتفريط**، وهم:

❊ **رجال الدين التقليديين والمشايخ الذين ما زالوا يفسرون الأشياء بشيء من السذاجة،** كأولئك الذين يأخذون نصوص العلماء القديمة على أنها مسلمات، وبالتالي يغلقون الباب على التجديد، أو النقد، بشكل كامل، وهؤلاء ظهروا كنوع من ردة الفعل على الهجمة المفاجئة للحداثة والاستشراق على العالم الإسلامي، في عصر الضعف وتسلط الاحتلال على الأمة، وهؤلاء ساهموا في تسطيح وعي الأمة، وتجهيلها، من خلال عدم القدرة على إعداد أجوبة علمية وشرعية كافية.

كبعض المشايخ الذين ما زالوا يتكلمون عن أن الأرض مسطحة، وغير كروية..

وكبعض المشايخ الذين وقفوا مع أنظمة التفاهة، وبرروا لهم جرائمهم ومجازرهم بحق الشعوب، وكانت لهم كلمتهم المؤثرة في المجتمع المناصر للحكام، كالدكتور البوطي في سوريا،



وكالمفتي علي جمعة في مصر، ووسيم يوسف في الإمارات، وعبدالعزيز الريس في السعودية، وظاهرة المدخلية وغيرهم ممن يسمون مشايخ السلطان..

❊ **رجال الدين المتنورون التغريبيون**، والذين أخذوا يفسرون الإسلام وفق قواعد علمية وفيزيائية غير يقينية، ينسبونها إلى العلم والبرهان، كعدنان إبراهيم الذي له مئات الخطب والدروس والمجالس على اليوتيوب وغيره يفسر الكثير من غيبيات أو نصوص الدين وفق الفيزياء الحديثة وغيرها، بل ويمدح علماء الإلحاد، وتصويرهم على أنهم العقلاء ورؤوس العالم في العلم، كريتشارد دوكنز، وستيفن هوكينغ، وأينشتاين، وبالتالي بدأت تترسخ صورتهم هذه مع الأيام في تفكير الشباب، وبدؤوا يطالعون كتبهم ونظرياتهم مع ضعفهم في العلوم الشرعية، فألحدوا، أو مالوا للإلحاد.

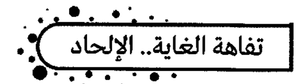
وكمحمد حبش دكتور التفسير السوري، والذي تبنى نظرية تعدد الثقافات، وإخاء الأديان، وبالتالي التماس العذر لكل مخالف، وإن نقض أصول الدين، ويتم ذلك بشيء من التأويل وتفسير النصوص، وتضعيفها، وإن كانت صحيحة، في سبيل إظهار الإسلام كدين يقبل الجميع، ولا يقصي أحداً، وأنه لا يحتكر الحقيقة.

ثانياً: جعل الإعلام الإلحاد موضة العصر، من خلال كثرة الحديث عنه، وتزيينه، ونشر مقاطع تعرف الناس بأئمة الإلحاد، ومن خلال تصويرهم أنهم الطبقة التي تمتلك الحقيقة، وأنهم الطبقة المثقفة التي من وصلها نال السعادة.

وبالتالي يلجأ الشباب إلى نوع من كسر المألوف ولفت الانتباه بالانضمام إليهم، وذلك أن الشاب إذا ألحد فستسلط عليه الأضواء، ويصبح مشهوراً، وستعد دراسات ونشرات عنه، وعن توجهه، وأسباب تركه لدينه، واختياره الإلحاد منهجاً.

وهذا ما حدث تماماً مع نورهان نصار التي سكنت في بريطانيا وألحدت، حيث اهتم





الإعلام بشكل كبير في تحولها من الإسلام إلى الإلحاد، ونشرت مئات الفيديوهات على نطاق واسع في التلفاز والسوشل ميديا عنها.

ثالثاً: تصوير الإلحاد على أنه حالة صحية، ومقبولة في المجتمع العربي والإسلامي، وذلك لأنهم قدموا للعالم **خدمات جليلة،** ولا يمكن -وفق هذا التصور- أن نعدهم كفاراً، وإن قالوا بنفي الإله، وألحدوا، فلا يمكن الحكم عليهم بأنهم من أهل النار، وأن الجنة ليست للمؤمنين وحدهم، بل الدخول إليها مرتبط بما تقدمه من خدمة للإنسانية والبشرية.

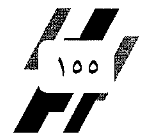
وهذا ما حدث أثناء وفاة الملحد ستيفن هوكينغ من جدالات، وصلت ببعض الشباب المسلم إلى الاستنكار على الكثيرين من العلماء والدعاة أنهم لا يجيزون الترحم على هذا الملحد، لأنه قدم جهوداً كبيرة في خدمة البشرية!.

وكانت هناك أصوات للمطالبة بقبول الملحد والترحم عليه، وقبول الكافر والترحم عليه، وعدم تكفير النصارى واليهود، والعجيب أن بعضهم استدل بقوله تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ﴾ [الكهف: ٢٩]، وأن الله جعل لهم الحرية الكاملة في اختيار الطريق الذي يريدونه، وكلاهما صواب، ومأجور!

رابعاً: انتشار ثقافة تمييع المبادئ والثوابت من خلال القول بنسبية وعندية الاعتقادات، وأن كل معتقد وإن كان مخالفاً للإسلام، وناقضاً له، فقوله صحيح، بناء على القول بعندية الحقيقة.

هذا هو مجتمع التفاهة..

وهو عصر لا قيمة فيه للخالق عَزَّوَجَلَّ، ولا لكلامه، ولا للأنبياء والرسل الذين بعثهم ليخرجوا الناس من الظلمات إلى النور، وكل شيء قابل للنفي والإثبات، ولكل وجهة نظره



المعتبرة، والواجب احترامها، وإن كان فيها تسفيه ونفي للخالق.

وهو عصر ينعت فيه العلماء بأقدح النعوت من التافهين، باعتبارهم قادوا الإنسانية إلى التخلف والقيم والأخلاق، فالله يعرض في أدبيات التفاهة على أنه كذبة وخيال لا وجود له، إلا كقوة مخيفة وتأديبية، يحتاج الإنسان إليها خلال حياته عرضاً.

وفي هذا العصر أيضاً سقطت قيمة الستر والعفة، فأصبح التبجح والافتخار بالرذيلة والمنافسة على الوصول إليها، واختلط فيه كل شيء حتى لم يعد للكلمات معناها.

ولم يعد النجاح والتفوق بالمعنى الذي كان عليه، ولم يعد التميز يحتاج إلى مجهود كبير، وأصبح الإنسان يسعى من أجل راحته المزيفة التي لا يريد أن يدرك أن فيها مهلكته..

وفي هذا العصر لا يلقى صاحب الخير تنويهاً ولا تشجيعاً، بل يلقى فيه نكراناً وتهميشاً، فلم يعد المجتمع بحاجة لشيء يسعى لرقيه، بل أصبحت تعوضه الألحان التي يتمايل معها.

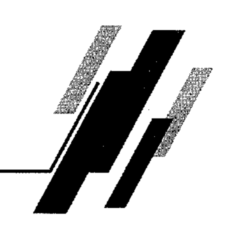
وأصبح الشباب متفرغاً للضحك والمتعة، فصارت أيامه كلها استمتاع، فلن تلمس ولا لحظة للجد بين لحظاته التي تتكرر كل يوم، بل أصبح يبحث فيها عن الجديد لتحقيق المتعة، والبعض أصبح يرى هلاك أمته أمامه، ويتناول الأمر بشكل عادي، وبحالة من عدم الاكتراث والاهتمام.

وهو عصر أصبح فيه تعطيل العقل سمة تميز جل أفراده، والذين قبلوا العيش على استهلاك ما تنتجه العقول التي أصبحت غير ذي قيمة، لأنها تزعجهم وتدفعهم للتفكير والتأمل الذي يتعب عقولهم التي أصبحت تفكر فيما يفكر فيه الأطفال وتلهو وتجد متعة بالذي يلهون به من ألعاب وبرامج وتطبيقات توفر له لهواً ومتعة[1].

---

(١) انظر: مقال عبدالغفور اقشيشو بعنوان: عصر التفاهة بامتياز، على موقع الحوار المتمدن.





درهم علاج وقنطار وقاية

يقـع علينا الكثير من المسؤولية في مواجـهة التفاهة وأشكالها، فيجب علينا الصدح بالحقيقة، خارج دائرة الخـوف والصمت، ولا سبيل أمامنا إلا المزيد من النضال، فواجبنا محاربة التفاهة في كل صورها وعدم إعطاء أصحابها أدنى أهمية، لنقضي على التفاهة كسلوك أصبح رائجاً.

ويجب علينا أن نحارب التافهين بالموضوعات ذات الأهمية الأخلاقية والعلمية والنفسية حتى يخرجوا من عمق مياههم الراكدة المليئة بالفيروسات والجراثيم الفكرية، التي يتأثر بها الشباب والناشئة أكثر من غيرهم[(١)].

فالتغيير المجتمعي أصبح ضرورة قصوى نحو ترسيخ المعارف المفيدة والعلوم المباركة؛ حتى يرتقي الفرد والمجتمع، وإلا تغيير الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ قادم لمن يجحف بنعمه، ويحوِّل الشكر والحمد إلى آثام ومعاصٍ[(٢)].

ولدينا في سبيل التغيير طريقان:

---

(١) انظر: مقال سليمان الطعاني، بعنوان: ثقافة التفاهة، على موقع وكالة عمون.

(٢) انظر: مقال نوفل المصارع، بعنوان: ثقافة التفاهة، على موقع الآلوكة.



أولاً: درهم علاج

درهم واحد، أو دراهم معدودة، لأن العلاج إنما يقدم للمريض الذي تمكَّن منه المرض، واستشرى في جسمه، وهذا المريض لا ينفع معه إلا الدواء، فما هو الدواء الذي من الممكن أن أقدمه لشاب قد مرضت نفسه ونال شيئاً من التفاهة، وانتشر مرض التفاهة في نفسه وجسمه، وأدمن عليها وعلى استخدامها وسماعها!؟

أعتقد أن الدواء لا يكون إلا بشيئين، وكلاهما قد لا يفيد بعد أن يقع الفأس في الرأس، وهما:

الأول: النصيحة والموعظة: فننصحه، براءة لذمتنا أمام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ ولأن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**الدين النصيحة**»[1]، وهي من الواجب علينا كمجتمع أن نقدمه للشباب الذين وقعوا في مستنقع التفاهة وأوحالها.

والنصيحة وتكرارها بأوقات مختلفة ومتعددة من قبل المقربين إلى الشخص لها أثر كبير على النفس، وهي جزء كذلك من واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي أُمرنا به، وهذا الزمان والعصر من أوجب أزمنة إظهار هذه العبادة وهذه الشعيرة لحماية الشباب من هذا الوباء.

إذاً.. لابد لتفعيل النصيحة وتأثيرها من شروط:

❊ **لابد من اختيار المكان والزمان المناسبين للنصيحة**، بحيث تكون حالته النفسية والجسدية مناسبة لإبداء هذه النصيحة، فلا يجوز أن أنصحه في وقت غضب وشدة ومرض وغيره، لأنها لن تجدي نفعاً، ولن تعطي نتيجة، بل ستزيد الطين بلة.

---

(١) أخرجه أبو داود، في سننه، كتاب الأدب، باب في النصيحة، برقم: ٤٩٤٦، ٤/ ٤٤١.



وكذلك لا يجوز إبداء النصيحة له أمام أصدقائه وأصحابه أو في مكان عام، لأنها ستكون بمثابة تحقير، واستهزاء منه، أو ربما يفهمها على هذا النحو، وخاصة إذا كان من الشباب المتمسكين برأيهم، بحيث لا يقبل نصحاً من غيره، فتكون ردة فعله كارثية إن كانت في مكان عام، أو أمام أحد ممن لا يريد له أن يطلع على خصوصياته..

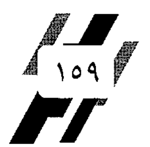
❋ **اختيار الشخص الذي يقدم النصيحة**، إذ أن كثيراً من الشباب لا يقبلون النصائح من والديهم، لعدة أسباب، ربما منها اختلاف الأجيال، ومتطلبات كل جيل، فهو يعتقد أن والده الذي ينصحه بهذا الشيء لا يعرف جيله حق المعرفة، ولذلك لا يدرك الموضوع وأهميته.

أو ربما بسبب الفجوة الكبيرة بين الآباء وأبنائهم، وهذا منتشر بشكل كبير بين المجتمعات اليوم، فلا يقبل الشاب نصيحة أحد والديه، فربما يقبلها من أحد أصدقائه، أو من أستاذه في المدرسة أو الجامعة، أو من أحد أقربائه..

❋ **اختيار الطريقة المناسبة في النصيحة**، بحيث تقدم بطريقة سهلة وواضحة، ومختصرة، وبدون إدخاله بتشعبات قد تُمله، وتجعله يتظاهر بأنه قد اقتنع، ومن ثم يعود إلى الشيء المنهي عنه بعد وقت، أو في السر والخفاء.

ولا شك أن مرافقة النصيحة شيء من الابتسام والضحكة والمزاح قد يعطي النصيحة فاعلية أكثر، وقوة أكبر، فالجفاف في النقاش لا يعطي ثمرته.

الثاني: نبين له خطر التفاهة بشتى أنواعها، وأنها خطر على الأمة، وتقود إلى أشياء كثيرة لا تحمد عقباها، فالتفاهات تلهيه عن التفاعل مع قضايا الأمة، وقضايا الأسرة، وقضاياه الفردية في الحياة، من تأسيس لحياته الفكرية والواقعية، بل تلهيه عن الشيء الذي خلق من أجله في هذه الحياة، وهو عبادة الله تعالى، والاستخلاف في الأرض، وبناؤها وفق ما أراد الله تعالى.



فلابد من الجلوس مع الشباب الذين أصيبوا بداء التفاهة، ولابد من الإجابة عن أسئلتهم، وتفنيد الشبه التي سيطرت على عقولهم، بحيث إن كانت الشبهة التي ترواده حول وجود الله تعالى مثلاً، فيكون التركيز منصباً عليها لأهميتها.

وإن كانت متركزة حول التراث الإسلامي فالتركيز يكون عليها، وعلى شرح الحالة السياسية والاجتماعية في كل زمن من الأزمان الإسلامية، فكثير من الشباب يحاكمون العلماء المسلمين والتراث والكتب على واقعنا نحن، وفي هذا القرن، وما وصلنا إليه من تكنولوجيا، وبالتالي يعتقد أننا إذا تمسكنا بتلك الكتب (الصفراء) فإنه تخلف ورجعية.

وإن كانت شبهته متركزة حول السوشل ميديا، والإدمان عليها، من فيسبوك، وتويتر، ويوتيوب، وغيرها من التطبيقات والبرامج، فيكون الحديث منصباً على استغلالها بالطريقة السليمة كما سنوضح في قنطار الوقاية.

والمقصود هو تحديد نوعة الشبهة، وتعيينها، وبالتالي يكون الحديث مركزاً عليها، حتى لا يتشعب الموضوع، فندخله في شبه أخطر وأعظم من شبهته، فأحياناً الشبهة تكون في بدايتها ولا تحتاج إلى الكثير من الجهد، والعناء، ولكن كثرة الحديث عنها، وتعظيمها يجعلها تتغلغل وتأخذ مكاناً في قلبه أكبر من حجمها، فلابد من الاكتفاء بموضع الحديث، واختصاره.

والأفضل هو الاستعانة بالمختصين، إن كان عويصاً كأن يكون فلسفياً أو نفسياً.

ولست في هذه الدرهم أدعو إلى ترك الشباب بمعاناتهم، فهذا لا يمكن أن يقول به مسلم، ولا أنني أهون وأقلل من دور النصيحة في بناء الجيل الشبابي بشتى الأعمار والأزمان، وإنما قصدي ومرادي أن العلاج لابد أن يكون كافياً شافياً، وجامعاً مانعاً، وشاملاً لجميع المراحل، ولابد من اختيار علاج يترك أثره لمدة طويلة وبعيدة، بحيث يكسب العقل والفكر والجسم مناعة من كل فكرة تافهة قد تخطر أو تحاول الحلول بعقله وذهنه، وهذا لا يكون إلا من خلال الوقاية الأولية من هذا الداء السرطاني..



ثانياً: قنطار وقاية

وقلت: قنطار وقاية، لأن الوقاية أهم من العلاج، فالعلاج لا يقدَّم إلا للسقيم، أما الوقاية فإنها تكون للسليم المعافى، فهي كبناء سد أمام طوفان، وكالتنبؤ بوقت حدوث زلزال واتخاذ التدابير المناسبة.

ولأنني إن قدمت الوقاية لشباب الأمة، فإنني أستطيع أن أقدم لهم نظام حماية بقية عمرهم، فأضمن مستقبل أمة بأكملها، وقنطار الوقاية من التفاهة يكون بكثير من الأمور، فإنه قنطار وليس درهماً، **وأهم طرق الوقاية:**

١- تربية المنزل [الأسرة]

فالأسرة هي الخلية الأولى، التي ينشأ فيها الطفل، ويكتسب منها أخلاقه، وقيمه.

وهذه التربية هي أول خطوة يتبعها الآباء في سبيل صيانة أبنائهم من داء التفاهة، فهي أهم ما يمكن أن يترك أثره في نفس الطفل، فيجب أن يكون الوالدان قدوة حسنة لابنهما، وكذلك يجب أن تكون تصرفاتهما منضبطة أمامه، وهذا فيه إشباع لرغبات الطفل، وإشباع لغرائزه.

قال رسول الله ﷺ في بيان دور الوالدين في توجيه حياة ابنهما: «**ما من مولودٍ إلاَّ يولد على الفطرة؛ فأبواه يهوِّدانه وينصِّرانه ويمجِّسانه**»(١)، فالطفل ينظر لوالديه ويقلدهما، وهو على دين أبويه، فإن وجد منهما الأخلاق السامية تربى عليها، وإن وجد التفاهة كبر عليها.

والطفل مسؤولية أبويه، ففي الحديث: «**كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته، وامرأة الرجل راعية على بيت بعلها وولده وهي مسؤولة عنهم، ألا فكلكم**

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين، برقم: ٢٦٥٨، دار إحياء التراث العربي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، ٤/ ٢٠٤٧.

راع وكلكم مسؤول عن رعيته»[1].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وقال بعض أهل العلم: إن الله سبحانه يسأل الوالد عن ولده يوم القيامة، قبل أن يسأل الولد عن والده؛ فإنه كما أن للأب على ابنه حقاً فللابن على أبيه حق، فكما قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا﴾ [العنكبوت: ٨]، قال تعالى: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦].. فمن أهمل تعليم ولده ما ينفعه، وتركه سدى، فقد أساء إليه غاية الإساءة، وأكثر الأولاد إنما جاء فسادهم من قبل الآباء وإهمالهم لهم، وترك تعليمهم فرائض الدين وسننه، فأضاعوهم صغاراً فلم ينتفعوا بأنفسهم ولم ينفعوا آباءهم كبارا)[2].

فالتربية لا تعطي ثمرتها إلا إن كانت متناسقة، ومبنية على حمل هم المسؤولية، وبالتنسيق بين الوالدين، أما إن كانت التربية مزدوجة، ومتضاربة، فستؤثر على نفسية الطفل والابن، كأن يجعل الأب لابنه برنامجاً معيناً للدخول إلى السوشل ميديا وبرامجها وتحت مراقبته، فتأتي الأم وتقرر منع ذلك بشكل كامل، فيضطر الابن في هذه الحالة إلى الانحياز إلى أبيه، والكذب والتحايل والتمويه على أمه.

فلابد للأبوين أن يتفقا على صيغة معينة من التعامل مع أبنائهم ليتجنبا أي آثار أخرى.

٢- تربيتهم على الأخلاق

لأن الأخلاق هي الجناح الآخر للدين، مع الشريعة والأحكام، وكل الأديان جاءت بهذه الأخلاق وقررتها، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، وهذه الآية تجمع بين القدوة والأخلاق، وقد جمعهما الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجمعة، باب الجمعة في القرى والمدن، برقم: ٨٩٣، ٢/ ٥.

(٢) انظر: تحفة المودود بأحكام المولود، لابن قيم الجوزية، دار البيان، دمشق، ط: ١، ١٣٩١هـ، ١٩٧١م، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، ٢٢٩.



وقد أمر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالأخلاق فقال: «**وخالق الناس بخلق حسن**»[1]، كما يجب أن تكون التربية الأخلاقية مادة أساسية في كل مرحلة دراسية، لأهميتها، وأثرها في التربية، فيجب أن تتم تربية الطفل على الصدق والأمانة والمحبة والسلام والتسامح وحب المجتمع الذي من حوله، كما قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**»[2]، ويجب أن يتم تجنيبه الأخلاق السيئة كالكذب والسرقة والعداوة والكره والحسد، لأنها أمراض تفتك بالفرد والمجتمع، ولأن الانتهاء واجتناب المذموم مطلوب.

وقد ربط الشاعر وجود الأمم بالأخلاق، وعدها مقياساً وميزاناً للاستمرارية الحضارية فقال:

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت ... فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

ولاشك أن من ساءت أخلاقه سيكون أثره سيئاً على المجتمع، ولذلك بيَّن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ألا يكون سيء الطبع في التعامل مع الناس حتى لا يتركوه ويبتعدوا عنه، فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

فلا يوجد أقوى وأمتن في الثبات على الحق، ودرء الشبهات من الأخلاق، فهي أقوى سلاح نستند إليه في عصر التفاهة والشبهات الذي نعيشه.

٣- ربطهم بـ [الكتاب والسنة والأذكار]

وذلك من خلال تعليم وتحفيظ الطفل والشاب القرآن الكريم، وتحفيظه السنة النبوية، وأحاديث النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في معاشرة الناس، برقم: ١٩٨٧، ٤/ ٣٥٥.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، كتاب آيات رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التي هي دلائل النبوة، برقم: ٤٢٢١، ٢/ ٦٧٠.



فالكتاب والسنة هما عماد الأمة، والضامن لحمايتها؛ فإن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه**»[1]، وقال: «**تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما ما تمسكتم بهما، كتاب الله وسنتي**»[2]، فالضلال لا يجتمع في قلب الإنسان إن كان فيه قرآن وسنة.

فلا شيء يعصم الإنسان من هذه التفاهة كحفظ القرآن الكريم، وأن يكبر الطفل وهو ملازم لكتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولذلك جعل الإسلام تحفيظ الأطفال القرآن الكريم أصل لا يمكن التنازل عنه، لأنه استمرارية لفطرة الإيمان.

ومما يدل على هذا دأب الصحابة ومن تبعهم على حفظ القرآن الكريم، وفهمه، والالتزام به، وتأملوا قول ابن عباس: «جمعت المحكم في عهد رسول الله؟ فقيل له: ما المحكم؟ قال: المفصل!»[3]، أي: من الحجرات إلى آخر القرآن.

وقال أيضاً: «سلوني عن التفسير فإني حفظت القرآن وأنا صغير»[4].

وروي عنه أيضاً أنه قال: «من قرأ القرآن قبل أن يحتلم، فهو ممن أوتي الحكم صبياً»[5].

وقال الشافعي: حفظت القرآن وأنا ابن سبع سنين، وحفظت الموطأ وأنا ابن عشر[6].

ومن أجمل القصص التي تروى في ذلك ما رواه سهل بن عبد الله التستري عن نفسه حيث قال: كنت -وأنا ابن ثلاث سنين- أقوم بالليل؛ فأنظر إلى صلاة خالي محمد بن سوار.

فقال لي يوماً: ألا تذكر الله الذي خلقك؟

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب السنة، باب في لزوم السنة، برقم: ٤٦٠٦، ٤/ ٣٢٨.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب العلم، برقم: ٣١٩، ١/ ١٧٢.

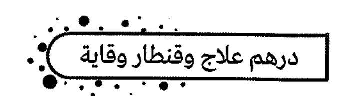
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب تعليم الصبيان القرآن، برقم: ٥٠٣٦، ٦/ ١٩٣.

(٤) ذكره ابن حجر في فتح الباري، دار المعرفة، بيروت، ط: ٢، ٢٥/ ١٥٥.

(٥) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، برقم: ١٩٤٩، ٢/ ٣٣٠.

(٦) ذكره زين الدين العراقي، في طرح التثريب في شرح التقريب، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م، تحقيق: عبدالقادر محمد علي، ١/ ٨٢.





فقلت: كيف أذكره؟

فقال: «بقلبك عند تقلبك بثيابك ثلاث مرات، من غير أن تحرك به لسانك، الله معي الله ناظري، الله شاهدي»، فقلت ذلك ليالي ثم أعلمته.

فقال: قل كل ليلة سبع مرات، فقلت: ثم أعلمته.

فقال: قل كل ليلة إحدى عشر مرة، فقلته.

فوقع حلاوته في قلبي، فلما كان بعد سنة قال لي خالي: «احفظ ما علمتك، ودم عليه إلى أن تدخل القبر، فإنه ينفعك».

ثم قال لي خالي يوماً: «يا سهيل، من كان الله معه، وناظراً إليه، وشاهده؛ أيعصيه؟ إياك والمعصية».

فكنت أخلو بنفسي، فبعثوا بي إلى المدينة، فمضيت إلى الكتَّاب، فتعلمت القرآن، وحفظته، وأنا ابن ست سنين، أو سبع سنين[1].

وكان أبناء الصحابة يحفظون أحاديث الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ففي الحديث عن سمرة ابن جندب قال: كنت على عهد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غلاماً، فكنت أحفظ منه، ما يمنعني من القول إلا ها هنا رجالاً هم أسن مني[2].

٤- تربيتهم على محبة الله ورسوله

لأن ذلك يجعله يكبر على شيء نبيل، وهم كبير، من خلال طلب رضى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، بالتزام أوامره، واجتناب نواهيه، ومنها قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]،

---

(١) ذكرها الغزالي في إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت، ٣/ ٧٤.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنائز، باب أين يقوم الإمام من الميت للصلاة عليه، برقم: ٩٦٤، ٢/ ٦٦٤.



ومنها أن إيمان الإنسان لا يكتمل إلا بحب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولما قال عمر للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: والله يا رسول، إنك لأحب إليَّ أكثر من مالي وولدي، وحتى من نفسي، قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الآن يا عمر**»، أي: الآن اكتمل إيمانك يا عمر[1].

وفي الحديث الآخر: «**ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان**»، ومنها: «**أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما**»[2].

ولابد أن نرسخ في ذهن الطفل أن اتباع النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جزء من محبته، وجزء من محبة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فقد قال الله تعالى: ﴿**قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ**﴾ [آل عمران: ٣١].

ومحبة الله تعالى والنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ باقية إلى يوم القيامة، ففي الحديث: «**من أشد أمتي لي حباً، ناس يكونون بعدي، يود أحدهم لو رآني، بأهله وماله**»[3]، وليس هذا بغريب، فسيرة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهديه تدل على أنه يستحق كل الحب والاتباع، إضافة إلى ما كان عليه من صفات حسنة، وأخلاق حميدة، وما اتسمت به حياته من رحمة وعفو وحب للخير، وإنفاقه عمره كله في سبيل دعوة الناس إلى رسالة الإسلام، وهدايتهم إلى الله، وإرشادهم إلى الحق، وتحمّله في سبيل ذلك المتاعب والمشاق وشديد الأذى، فمن عرف ذلك كله فإنه سيجد في نفسه حباً عظيماً له صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو ما يجده كل مسلم من نفسه ضرورة.

وحب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قرين ببعض الأشياء التي لابد أن ترافقه، كقراءة ومطالعة سيرته، والحرص على امتثال سنته، وكثرة الصلاة عليه، والدفاع عنه، وعدم الرضى بسببه

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك، ذكر مناقب عبدالله بن هشام بن زهرة القرشي، برقم: ٥٩٢٢، ٣/ ٥١٦.

(٢) أخرجه أبو البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان، برقم: ١٦، ١/ ١٢.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب فيمن يود رؤية النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، برقم: ٢٨٣٢، ٤/ ٢١٧٨.



وشتمه من قبل أحد، وبذلك نجعل للطفل مثلاً أعلى، وهدفاً أسمى، يسعى إليه، ونزرع في ذهنه فكرة عظيمة تكون سداً منيعاً أمام الشبه.

٥- ربطهم بالعلماء والمربين

فالعلماء هم ورثة الأنبياء، وهم المقابلون لأهل التفاهة، فإن الإنسان إما أن يكون مع العلماء والمربين والدعاة، وإما أن يسحبه أهل التفاهة إلى صفهم وحزبهم، فلا بد من ربط الشباب بالعلماء، وتحبيبهم الجلوس إليهم، من خلال دروس المساجد، التي تساهم بتنمية عقله من خلال المعارف، والنصائح، ودروس الفقه والتفسير والحديث والعقيدة.

فدور العلماء في المجتمع يكمن في إيجاد الحلول لجميع مشاكل الأفراد، كالتخلص من الاكتئاب والقلق، والصدمات، ومختلف أنواع الإدمان، ولذلك قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١]، وقال: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨].

وقد أشار النبي ﷺ أن المجتمع إذا لم يكن فيه علماء يعلمون الناس ويدلونهم على طرق الخير فإنه سيضل، فقال: «**إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يُبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا**»[١]، وهذا مصداق هذا الزمان الذي خرج إلينا فيه بعض الجهال الذين يفتون الناس ويضلونهم عن الطريق القويم، والصراط المستقيم.

والعلم أهم بكثير من العبادة، ففي الحديث: «**فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم**»[٢].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب كيف يقبض العلم، برقم: ١٠٠، ١/ ٣٢.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الاستئذان، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، برقم: ٢٦٨٥، ٥/ ٥٠.



كما أن العلماء هم صمام الأمان لهذه الأمة، وهم أحق الناس بالاتباع، فهم الذين ينفون الشبه، ويبينون بطلانها، ويميزون بين الفكر السليم والفكر السقيم، وبين الصحيح والغلط، ففي الحديث: «**يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين**»[1].

وهذا يبين مدى أهمية وخطورة اتخاذ الشباب بعض التافهين قدوة وتعلقهم بهم، وبعدهم عن أهل العلم ودروس المساجد، والجامعات، وعن الحياة الثقافية الإسلامية بشكل عام.

٦- ربطهم روحياً بالمساجد

من خلال تعويدهم الحرص على تأدية الصلوات الخمسة جماعة في المسجد، وخاصة صلاة الفجر التي لها شأن عظيم، فإنها تعلم الشاب الجدية في الحياة، ومن خلال حثهم على المحافظة على دروس المساجد، والالتزام مع العلماء.

فيجب تعويد الأطفال بالأخص على الذهاب إلى المساجد وعدم منعهم من ذلك، فقد روي أن أبا هريرة دخل مرة المسجد يوم الجمعة، فوجد غلاماً، فقال له: يا غلام، اذهب العب.

قال: إنما جئت إلى المسجد.

قال له: يا غلام، اذهب العب.

قال: إنما جئت إلى المسجد.

قال: فتقعد حتى يخرج الإمام؟

قال: نعم[2].

وكأنه خشي أن يلعب في المسجد في أول الأمر، فلما تأكد من أنه جاء لقصد العبادة تركه.

---

(١) ذكره التبريزي في مشكاة المصابيح، المكتب الإسلامي، بيروت، ط: ٣، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م، تحقيق: ناصر الدين الألباني، ١/ ٥٣.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، مسند أبي هريرة، مؤسسة قرطبة، القاهرة، برقم: ١٠٢٧٦، ٢/ ٤٨٣.



فالمسجد هو أول مؤسسة إسلامية أقامها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لتكون هذه رسالة إلى عموم المسلمين حول محورية دور المسجد في حياتهم، وكيف أنه ليس مكاناً للصلاة فحسب، بل مركزاً لإدارة كل شؤون الناس، وتسيير مصالحهم الدنيوية، وحل مشكلاتهم اليومية.

وفي حياة الشباب بوجه خاص يؤدي المسجد دوراً محورياً، فهو يربي، ويدعم التواصل الاجتماعي، ويساعد على اصطفاء الأصدقاء، ويشغل وقت الفراغ، ويفرغ الطاقات، وغير ذلك من الأدوار التي غابت اليوم عن مساجدنا.

فالمساجد فيها إرث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفيها كان شباب الصحابة يقومون الليل ويتدارسون القرآن ويصلون، وفي النهار يصبحون فرساناً وجنوداً في خدمة الدين، وكان المسجد في الماضي منبراً لمناقشة بعض المشكلات والقضايا الخاصة بالشباب، وخاصة مشكلات الفراغ[1].

فالمسجد جامعة تثقيفية، وبرلمان للتشاور والتفاهم، ومعهد للتربية والتعليم.

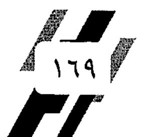
٧- القدوة الحسنة

وذلك من خلال ربط الطفل بالشخصيات العظيمة، وصاحبة الهدف السامي، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قال: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤]، وقال الله عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١].

فأشار إلى أهمية القدوة، ولاشك أن تعليم الطفل سيرة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بطريقة متقنة سيؤثر على ميول الطفل، وسيكون ذلك تحصيناً له ضد التفاهة، وكذلك لفت انتباهه إلى سيرة الخلفاء الراشدين، وبقية الصحابة رضوان الله عليهم، ومن تبعهم من قادة الأمة كالأئمة الأربعة، وصلاح الدين الأيوبي، وأن يربط الطفل بماضيه المشرق.

---

(١) انظر: مقال دور المسجد في حياة الشباب، على موقع إسلام ويب من إعداد: مركز الإعلام العربي.



٨- اختيار الأصدقاء

فالصديق يؤثر بقوة على توجهات واهتمامات صديقه، قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**المرء على دِين خليله؛ فلينظر أحدكم من يُخالل**»[١]؛ على دينه: أي يتطبع بطباعه ويتصرف كما يتصرف، وقد قال تعالى: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾[الزخرف: ٦٧].

قال ابن كثير: «إن كل صداقة وصحابة لغير الله، فإنها تنقلب يوم القيامة عداوة إلا ما كان لله عَزَّوَجَلَّ، فإنه دائم بدوامه»[٢].

وقد نصح النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الشباب بحسن اختيار الصديق فقال: «**لا تصاحب إلا مؤمناً**»[٣]، وقد جعل الصداقة المبنية على التقوى سبباً من أسباب دخول الجنة، فقال: «**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله.. وعد منهم: ورجلان تحابا في الله، اجتمعا عليه وتفرقا عليه**»[٤].

وفي الحديث الآخر: «**قال الله تعالى: حقَّت محبتي على المتحابين فيَّ، وحقت محبتي على المتناصحين فيَّ، وحقت محبتي على المتزاورين فيَّ، وحقت محبتي على المتباذلين فيَّ، وهم على منابر من نور يغبطهم النبيون والصديقون بمكانهم**»[٥].

ولأهمية الصداقة فقد كان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يشبه الجليس الصالح بحامل المسك، قال: «**مثل الجليس الصالح والسوء، كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك،**

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب البر والصلة، برقم: ٧٣١٩، ٤/ ١٨٨.

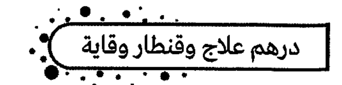
(٢) انظر: تفسير ابن كثير، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٢م، ١٤١٢هـ، ٥/ ٣٣٣.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب من يؤمر أن يجالس، برقم: ٤٨٣٤، ٤/ ٤٠٧.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد، برقم: ٦٠٦، ١/ ١٣٣.

(٥) أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب البر والصلة، برقم: ٧٣١٤، ٤/ ١٨٦.





وإما أن تجد ريحا خبيثة»[1].

فالصديق الصالح لا يأتيك منه إلا ما هو طيب وصالح، وصديق السوء لا يأتيك منه إلا ما هو مؤذٍ ومضر، وكان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يشكل أعظم صديق للصحابة رضوان الله عليهم، ولذلك حرصوا أشد الحرص على مرافقته، والاستفادة من هديه.

٩- تربيتهم على الجدية

وبالتالي الابتعاد عن الهزل والتفاهة، كما قال تعالى لبني إسرائيل: ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٍ﴾ [البقرة: ٦٣]، وقال لنبي الله يحيى: ﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ﴾ [مريم: ١٢]، أي: بجد واجتهاد، فلابد من المبادرة، والعمل، والتحذير البالغ من التفريط، والإهمال، والكسل؛ لأن الندم هو العاقبة.

ويقول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلٍّ خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله، ولا تعجز**»[2].

وقد كان أبناء الصحابة لجديتهم في تناول أمور الحياة، يتقاتلون للقتال مع النبي، فقد روي عن سمرة بن جندب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: كان يعرض على رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبناء الصحابة، فيلحق من أدرك منهم، فعرضت عاماً، فألحق غلاماً وردني، فقلت: يا رسول الله، لقد ألحقته ورددتني، ولو صارعته لصرعته، قال: فصارعته فصرعته، فألحقني[3].

وروى سعد بن أبي وقاص، قال: رأيت أخي عمير بن أبي وقاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قبل أن يعرضنا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم بدر يتوارى، فقلت: ما لك يا أخي؟ قال: إني أخاف

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب البيع، باب في العطار وبيع المسك، برقم: ٢١٠١، ٣/ ٦٣.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله، برقم: ٢٦٦٤، ٤/ ٢٠٥٢.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب البيوع، برقم: ٢٣٥٦، ٢/ ٦٩.



أن يراني رسول الله فيستصغرني فيردني، وأنا أحب أن أخرج لعل الله يرزقني الشهادة[1].

وقد كانت الجدية هي السمة الأساسية لمجتمع الصحابة، فأبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بمجرد دخوله إلى الإسلام حمل هم المسؤولية، واتخذ الأمر بجدية، فدعا بعض الناس إلى الإسلام فأسلم بعضهم ومنهم: عثمان والزبير وعبدالرحمن وسعد بن أبي وقاص وطلحة وغيرهم.

ومن مظاهر الجدية، أن يكون الشاب جاداً في أمور دنياه، وفي طلب رزقه، وفي أمور دينه، وفي التنفيذ الفوري للتكاليف، وعدم التسويف والتأجيل، والعزم والقوة في مواجهة العراقيل والمشاكل، وعدم الاستسلام.

١٠- تنمية علمهم ومواهبهم

ويتم ذلك من خلال تعويده على شراء الكتب النافعة، شرعية أو غير شرعية، وتنمية الذائقة الأدبية عنده في اختيار الموضوعات، من خلال حثه على قراءة الروايات الهادفة والممتعة، والتي يخرج منها بغاية نبيلة وأخلاقية.

فتعلم العلوم من أهم الأشياء التي تفتح آفاق الطموح والحياة عند الشباب، فمعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أرسل يزيد ليتعلم العربية، وأنساب قريش، وعلم النجوم، والأنساب، ولما دفع عبدالملك بن مروان أولاده إلى الشعبي ليعلمهم قال له: علمهم الشعر يمجدوا وينجدوا، وحسن شعورهم تشتد رقابهم، وجالس بهم علية الرجال يناقضوهم الكلام[2].

وجاء في بعض الآثار: ما نحل والد ولداً من نحل أفضل من أدب حسن[3].

---

(١) ذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة، ١/ ٣٩٤.

(٢) ذكره المزي في تهذيب الكمال، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: ١، ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م، تحقيق: بشار عواد معروف، ٢١/ ٣٨٤.

(٣) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في أدب الولد، برقم: ١٩٥٢، ٤/ ٣٣٨.



وكان ابن شهاب الزهري يقول للفتيان: لا تحتقروا أنفسكم لحداثة أسنانكم؛ فإن عمر ابن الخطاب كان إذا نزل به الأمر المعضل دعا الفتيان فاستشارهم، يتبع حدة عقولهم[1].

١١- تنمية ثقته بدينه وخالقه

وإبعاده عن الوسوسات والشكوك التي قد تعتري الإنسان في مسيرة حياته، والإجابة عن أسئلته بشيء من الجدية، واختيار الجواب السهل الواضح، والذي يتناسب مع عمره، وربط الجواب بالدين، وذكر أدلة الكتاب والسنة وردهما على الشبهة.

كان النبي ﷺ يقول لابن عباس: «**احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، واذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، جفت الأقلام ، ورفعت الصحف**»[2].

فيجب علينا أن نزرع في نفوس أبنائنا أهمية الدين، وعظم تخطئة الدين، أو تخطئة الله ورسوله، وأنه قبل أن يتكلم بشيء، أو يفكر بتخطئة العلماء، يجب عليه أن يطالع كتبهم، ويعرف ظروفهم، والأسباب المحيطة بهم، وأن قولهم مقدم على قول غيرهم، وخاصة من المعاصرين.

١٢- تنمية ثقته بنفسه وقدراته

وأنه قادر أن يغير من واقع الأمة، وألا يشعر باليأس والإحباط، وأنه يتحمل مسؤولية في توعية المجتمع، ونقله من حالة الجهل، إلى حالة العلم والحضارة، وأنه يجب عليه أن يتصدى للأمور الكبار والصعاب في سبيل تحقيق أهدافه.

---

(١) أخرجه البيهقي في سننه، باب من يشاور، برقم: ٢٠١١٨، ١٠/ ١١٣.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب ٥٩، برقم: ٢٥١٦، ٤/ ٦٦٧.



كان يقال لهند بنت عتبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عن ابنها معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إن عاش ساد قومه، وهو بجانبها، فتقول: ثكلْتُهُ إن لم يسد إلا قومه[1].

وكان عمر يعلم ابنه عبدالله الجرأة والثقة بالنفس، وعدم الخجل والخوف، فاصطحبه في يوم من الأيام إلى جلسة من جلسات الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وسأل الرسول في تلك الجلسة سؤالاً: «**ما هي الشجرة التي تشبه المسلم، توتي أكلها كل حين ولا تسقط أوراقها**»؛ فسكت الجميع، وتبادر إلى أذهان سيدنا عمر وأبي عبيدة بن الجراح وأبي بكر أنها شجرة البوادي، ولكن الرسول كان يقصد النخلة، وبعدما انفض المجلس، قال عبد الله لأبيه: والله قد وقعت في نفسي أنها النخلة، فقال له سيدنا عمر: لما لم تقل، لو قلت لكان لهذا عندي فضل كبير[2].

١٣- تذكيره بالموت والآخرة

بين الحين والآخر، حتى يكون عنده ردع ذاتي لنفسه، يبقى معه أينما كان، فيخاف من ارتكاب الإثم والمعصية، أو الاهتمام بالتفاهات وغيرها، وروي عن ابن عمر أنه خرج في سفر فرأى غلاماً يرعى غنماً، فقال له: تبيع من هذه الغنم واحدة؛ فقال: إنها ليست لي، فقال: قل لصاحبها إن الذئب قد أخذ منها واحدة، فقال الغلام: فأين الله؟[3].

فمراقبة الله تعالى، وتذكر الموت، وتعليم الطفل والشاب استشعار مثل هذه الأمور تنمي عندهم حس الخوف والابتعاد عن كل ما فيه شبهة وريبة.

---

(١) ذكره ابن كثير في البداية والنهاية، ٢٤/ ٣٠٠.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء، برقم: ٤٦٩٨، ٦/ ٧٩.

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، برقم: ١٣٠٥٤، ١٢/ ٢٦٣.



١٤- ترشيد استعمال السوشل ميديا

من خلال التركيز على المواد النافعة، وتعليم الطفل كيفية استخدامه النافع والمفيد، بعيداً عن مواقع التفاهة ومظانها، وتنظيم ذلك أيضاً ضمن برنامج محدد، كأن يتم استغلال هذه المواقع في إغناء دروس المدرسة، ومحاضرات الجامعة، وتوسيع مادتها، وعدم الاقتصار على التواصل من خلالها.

وفي هذه المواقع خير كثير إن تم استغلالها في الوجه الصحيح، فالتيليجرام مثلاً فيه مئات القنوات النافعة من مكتبات حيث بإمكانك تحميل الكتاب بأسهل طريقة وأسرعها، وقنوات أخرى مفيدة، وفيها مادة علمية وثقافية كبيرة، مع كثير من الميزات التي تسهل الحصول على المعلومة، أو التواصل مع المختصين من المفكرين والمثقفين والاستفسار منهم عن الشبهات وغيرها.

وكذلك اليوتيوب، ففيه قنوات كثيرة مرئية، وفيه كمية كبيرة جداً من الفيديوهات الشارحة للمسائل العلمية، وخاصة التي تتعلق بالشباب والأطفال، وتقديم الحلول لمختلف المشاكل النفسية، والعلمية، والاجتماعية، والفلسفية، وميزة (الفيديو) حيث يقوم العالم أو الباحث أو المفكر بشرح فكرته بطريقة مبسطة وواضحة.

وقد قام الكثير من الشباب والدعاة والعلماء في استغلال هذه التطبيقات والبرامج والتكنولوجيا في الدعوة إلى الله تعالى، وفي رد الشبهات، وهداية الشباب، وتحذيرهم من التفاهة التي في السوشيال ميديا، وقدموا مادة كبيرة ومتينة، واستطاعوا أن ينقذوا الآلاف من الشباب الذين جرفتهم المعاصي والذنوب وأشكال التفاهة.

والمقصود أن علينا أن نستغل الوجه المضيء في هذه التطبيقات والبرامج في خدمة وتهذيب وتعليم أطفالنا وشبابنا، ووضع برنامج للاستفادة منها، وتطوير العمل فيها لخدمة الدين والدعوة، وتوعية الأجيال الحالية والقادمة.



١٥- استخدام التقنيات المباحة لحجب التفاهة

وهذه تتبع لما قبلها، ومتصلة بها، وذلك من خلال مراقبة أجهزته الشخصية، والمواقع التي يرتادها، واستخدام تقنية التهكير، ومنع وحجب المواقع غير المفيدة، وهناك الكثير من التطبيقات التي تفيد في ذلك، والتي صممت لحماية الطفل والشاب واختيار المادة النافعة له، كتطبيق يوتيوب المخصص للأطفال والذي يقوم بحجب المادة السيئة والتافهة عن الأطفال، ويبقي المادة المسلية والمفيدة.

١٦- زيادة الوعي

والمقصود بالوعي أن يملك قدرة التمييز بين الصواب والخطأ، وبين ما ينفع وما يضر، من خلال معرفة وجوه الحسن والقبح في الأشياء، وإعطاء الطفل نوعاً من الرقيب الذاتي، والذي يستطيع من خلاله الاستغناء عن التفاهة، والتزام المعاني السامية في حياته.

فالعلاج بالطبع لا يمكن أن يكون بمنع الشبكات الاجتماعية، فقد دخلت أدق تفاصيل حياتنا، فلا خيار لنا في محوها من وجودنا، لكن الحل الأنسب ينبع من المزيد من الثقافة، والفكر العميق، والوعي الأعمق.

فالفرد عليه مسؤولية الصعود بمستواه الفكري الثقافي السلوكي، والجماعة كذلك، والدولة ومؤسساتها، والمنظمات المتباينة في مهامها وأهدافها، فالكل تقع عليه مهمة جعل منصات التواصل وشبكات الاجتماع محطات انطلاق للأعمق والأقوى والأصح من الفكر والوعي والسلوك[1].

---

(١) انظر: انظر: مقال عبدالرزاق عبدالحسين، بعنوان: صناعة التفاهة ماركة الشبكات الاجتماعية، على موقع شبكة النبأ المعلوماتية.



فعلى الشاب أن يكون مبدعاً في حياته، وأن تكون مبدعاً معناه أن تكون متفرداً ومتميزاً في إبداعك، ولا تكون نسخة مكررة من الآخرين.

وفي نفس الوقت يجب أن تبقى وفياً لمبادئك وقيم مجتمعك الأصيلة، تستفيد من تراثه وأصالته ومعاييره النفسية الاجتماعية، ملتزماً بقضاياه وهمومه، مساهماً في حل مشاكله وعوائق نهضته، حريصاً كل الحرص على أمنه الروحي والنفسي والأخلاقي.

وعليك أيضاً تحمل مسؤولية بناء مجتمعك، وذلك بأن تسخر قوتك للسمو والرقي الاجتماعي والإنساني، وأن تظل حارساً على بوابة الصرح التاريخي والحضاري لمجتمعك وأمتك[1].

وعندما بدأت أمريكا ودول أوروبا وأستراليا وكندا تشعر بخطورة تسويق التفاهة على مجتمعاتها، انتشرت لديها لوحات تحذر من تنامي هذه الظاهرة، ولاقت ردود فعل واسعة كتب عليها: (Stop Making Stupid People Famous) أي: **توقفوا عن جعل الأغبياء مشاهير**.

وفي أمريكا جرى إنشاء برامج لاستضافة العلماء والبارعين من مختلف التخصصات في القانون والفلسفة وغيرهما من العلوم بهدف إبراز وتسويق الكفاءات الوطنية الأمريكية، وقد لاقت فكرة هذه البرامج استحساناً وقبولاً واسعي النطاق لدى مختلف شرائح المجتمع الأمريكي.

فالمجتمع يتم سوقه وقيادته من قبل الإعلام، فإن قدم الإعلام مادة سامية ونافعة، كانت الأجيال التي تربى عليه سامية ونبيلة، وإن كانت المادة تافهة وسيئة كانت الأجيال تافهة وضحلة.

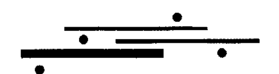
---

(١) انظر: انظر: مقال شكوح عزوز، بعنوان: معنى أن تكون مبدعاً في زمن التفاهة، على موقع الديوان.



فيجب على وزارات الإعلام والتعليم والمؤسسات الثقافية العربية والإسلامية فرصة كبيرة؛ لإقامة برامج جذابة، بأسلوب ذكي، لإظهار الصورة المشرفة للكفاءات الثقافية والعلمية في مختلف المجالات، بما يسهم في تعزيز الطموح لدى الأجيال القادمة[1].

ومن المفكرين من نظر إلى موضوع التفاهة من منظور آخر، وذلك بدراسته، والتعرف عليه، ومواجهته من خلال طرح القضايا المحورية في الساحة الشعبية، كقضايا الفلسفة، والعقيدة، وتوعية الشعب إلى هذا الأمر، ونقله من التفاهة إلى التفكير العميق والسليم.



(١) انظر: مقال ناصر الهزاني، بعنوان: لماذا لا نسوق الكفاءات بدلاً من صناعة التفاهة في الإعلام، على موقع مركز مكة الابداعي.



الخاتمة

في النهاية..

خرجت خلال عصور الإسلام، ومنذ عهد النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الكثير من فقاعات التفاهة هنا وهناك، ولكنها ذابت بفضل جدية شباب الأمة، وهذا قدر وسنة من سنن الله تعالى، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الرعد:١٧]، وهذه بشرى لنا كي نعيد ترتيب أوراقنا، وصلتنا بديننا، ونعيد العزة للأمة..

وعلى الشباب أن لا يحقروا من المعروف شيئاً، فإن الكلمة قد تكون في وقتها المناسب كالرصاصة، فنصيحة تسديها لأختك، أو لأخيك، أو لابنك، أو ابنتك، قد تكون كفيلة بترجيح الكفة لصالح أهل الإسلام والإيمان، وهذا يساعد في تقوية الصفوف في معركتنا مع أهل الإلحاد والتفاهة.

وعلينا ألا نلتفت لأهل التوهين، أحفاد ابن سلول، فالمعركة مفروضة علينا، وقد اصطفانا الله تعالى أن كنا مع أهل الحق فيها، لا مع أهل الباطل، فنحمد الله تعالى على ذلك، ونستعين به في القيام بواجباتنا تجاه الأمة، ورفعتها وعلو شأنها، وبشيء من الهمة والإصرار، ﴿وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص:٨٣].

وقد ينظر أحد ما إلى الكلام الذي سطرناه في الكتاب بعين النقد فيقول: إنه غير مهم في هذا العصر، عصر التكنولوجيا، ولن ينصت إليه أحد، وأنك تنفخ في رماد، لا حياة فيه، وماذا يفعل كتاب من وريقات في بحر من التفاهة!؟.



والجواب كما قدمنا..

﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الرعد:١٧]..

ولو سلمنا لذلك، ما كُتب كتاب، ولا أُسديت نصيحة، ولا فُنِّدت شبهة، ولم نعش على هذا الذل والهوان، بل إننا نعرف سيرة حبيبنا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ بتحمل الصعاب في الدفاع عن الدين والتوحيد.

أسأل الله تعالى أن تكون هذه الوريقات نفخة في نار ملتهبة..

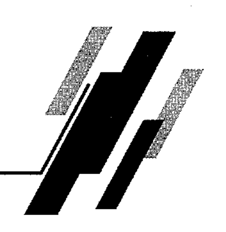
تأكل عصف الباطل المأكول..

وأن يكتب لنا أجرها في الدنيا والآخرة..

وأن يكون خالصاً لوجهه الكريم..

آمين..





المراجع والمصادر والمقالات

المراجع:

* إحياء علوم الدين، الغزالي، دار المعرفة، بيروت.

* الأدب الروائي عند غسان كنفاني، رفيقة البحوري، دون بيانات.

* الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م، تحقيق: علي محمد البجاوي.

* آفاق فلسفية عربية معاصرة، طيب تيزيني وأبو يعرب المرزوقي، دار الفكر، ط: ١، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.

* البداية والنهاية، لابن كثير، دار إحياء التراث العربي، ط: ١، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م، تحقيق: علي شيري.

* تحفة المودود بأحكام المولود، لابن قيم الجوزية، دار البيان، دمشق، ط: ١، ١٣٩١هـ، ١٩٧١م، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط.

* تفسير ابن كثير، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٢م، ١٤١٢هـ.

* التمهيد، ابن عبدالبر، مؤسسة قرطبة، تحقيق: مصطفى العلوي ومحمد البكري.

* تهذيب الكمال، المزي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: ١، ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م، تحقيق: بشار عواد معروف.

* حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، دار الكتب العلمية، بيروت.

* الذكريات للطنطاوي، دار المنارة، جدة، ط: ١، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

* زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: ١٤، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٦م.



* الزهد الكبير، البيهقي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط: ٣، ١٩٩٦م، تحقيق: عامر أحمد حيدر.

* سنن ابن ماجه، دار الفكر، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي.

* سنن أبي داود، دار الكتاب العربي، بيروت.

* سنن البيهقي، مكتبة الباز، مكة، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا.

* سنن الترمذي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق: أحمد محمد شاكر.

* السوفسطائية وأثرها على ما بعد الحداثة، ديفيد ج كوج، ط: الأولى، نشر حروف منثورة للنشر الإلكتروني.

* سير أعلام النبلاء، الذهبي، مؤسسة الرسالة، تحقيق: شعيب الأرناؤوط.

* السيرة النبوية، ابن كثير، تحقيق: مصطفى عبدالواحد، د/ بيانات.

* شعب الإيمان، البيهقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ١، ١٤١٠هـ، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول.

* صحيح البخاري، دار طوق النجاة، ط: ١، ١٤٢٢هـ، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر.

* صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي.

* صفة الصفوة، دار المعرفة، بيروت، ط: ٢، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م، تحقيق: محمود فاخوري، محمد رواس قلعه جي.

* طرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين العراقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م، تحقيق: عبدالقادر محمد علي.

* العلمانيون والقرآن الكريم، أحمد إدريس الطعان، دار ابن حزم، الرياض، ط: ١، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م.

* فتح الباري، ابن حجر، دار المعرفة، بيروت، ط: ٢.



* قضايا في الفكر العربي المعاصر، محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط: ١.

* كنز العمال، المتقي الهندي، مؤسسة الرسالة، تحقيق: بكري حياني، والشيخ صفوة السقا.

* لسان العرب، لابن منظور، دار صادر، بيروت، ط: ١.

* مجموع الفتاوى، لابن تيمية، مجمع الملك فهد، ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م، تحقيق: عبدالرحمن بن محمد.

* مستدرك على الصحيحين، الحاكم، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ، ١٩٩٠م، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا.

* مسند أحمد، مؤسسة قرطبة، القاهرة.

* مسند عائشة، أبو داود، مكتبة الأقصى، الكويت، ط: ١، ١٤٠٥هـ، تحقيق: عبدالغفور عبدالحق حسين.

* مشكاة المصابيح، التبريزي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط: ٣، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م، تحقيق: ناصرالدين الألباني.

* معجم الكبير، الطبراني، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ط: ٢، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٣م، تحقيق: حمدي السلفي.

* معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، دار اتحاد الكتاب العرب، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م

* من عبث الرواية، عبدالله العجيري، دون بيانات.

المقالات

* أثر الحركة السوفسطائية على الفكر الفلسفي، عصام أسامة، على موقع الباحثون المصريون.

* أثر وسائل التواصل الاجتماعي في تفكك الأسرة والمجتمع، نجاح شوشة، على موقع البيان.

* ارتقاء التفاهة، إسماعيل أبو البندورة، على موقع سوالف.



* الإعلام وصناعة التفاهة، مالك الأحمد، على موقع جريدة الأمة الإلكترونية.

* أمواج التفاهة تعلو في الرجال والمواقف! فماذا وراء الأكمة؟ عبدالله عيسى السلامة، على موقع رابطة العلماء السوريين.

* أهمية القدوة ونماذج منها، سناء الدويكات، على موقع موضوع.

* أيقونات التفاهة، إكرام عبدي، على موقع هسبريس.

* برامج الأطفال، بين ما اعتدنا عليه في صغرنا ونوعية البرامج الحديثة الموجهة لأطفال اليوم!، أحمد بركات، على موقع موفيكتوس.

* تأثير النجاح أو الفشل على الإنسان، نبيل حاجي نائف، على موقع أكاديمية علم نفس.

* التفاهة تتحكم بمصير العالم والدولة، منى فياض، على موقع الحرة.

* تكاثر التافهين، نورة حسن (مقال على موقع Caramellapp).

* التيار المدخلي النشأة والتوظيف، نبيل غزال، على موقع طريق الإسلام.

* ثقافة التفاهة، سليمان الطعاني، على موقع عمون.

* ثقافة التفاهة، نوفل المصارع، على موقع الآلوكة.

* ثقافة الفقر في حقل الأنثربولوجيا، خالد طحطح، على موقع مؤمنون بلا حدود.

* الحرب العراقية الأمريكية وآثارها الاجتماعية على الأطفال في المجتمع العراقي، ضمن مجلة كلية التربية الأساسية جامعة بابل

* الحركة النسوية الراديكالية، محمد السعد، على موقع إيلاف.

* حرية للمرأة في الغرب هي من عبودية الديمقراطية، حازم بدر، على موقع مجلة الوعي.

* دور المسجد في حياة الشباب، على موقع إسلام ويب من إعداد: مركز الإعلام العربي.

* زمن التفاهة، إكرام لمعي، على موقع جريدة الشروق.

* الصعود إلى تفاهة، ابتهال الخطيب، على موقع الحرة.



* صناعة التفاهة ماركة الشبكات الاجتماعية، عبدالرزاق عبدالحسين، على موقع شبكة النبأ المعلوماتية.

* عصر التفاهة بامتياز، عبدالغفور اقشيشو، على موقع الحوار المتمدن.

* عن التفاهة، سامي عبدالعال، على موقع الحوار المتمدن.

* الفقر المدقع وتأثيراته على النفس والسلوك، محمد عبدالكريم الشوبكي، على موقع صحيفة الرأي الكويتية.

* في الخلط المفهومي الشعر الحر بالعربية، شربل داغر، على موقع جريدة المدن.

* في مواجهة التفاهة الثقافية، إدريس مقبول، على موقع ديوان العرب.

* القدوة الأهمية، وتحولات الدور، منتدى الفكر اللبناني، نشرته جمعية المعارف الإسلامي الثقافية.

* القدوة بين المفهوم والواقع، هل النماذج المنتشرة حالياً تمثل قدوة حقيقية، محمد مجدي، على موقع بالعقل نبدأ.

* قراءة منهجية لكتاب نظام التفاهة للفيلسوف الكندي آلن دونو، صبري محمد خليل، على موقع صحيفة سودانيل.

* القرآن الكريم في الفكر الحداثي، عبداللطيف المحيمد، على موقع موسوعة السبيل.

* قنوات الشعوذة والسحر تتنافس على تغييب وعي المشاهد، شيرين الديداموني، على موقع العرب.

* كفى تطبيعاً مع التفاهة والرداءة، رحمة خميسي، على موقع تونس Altra.

* كيف تتخلص من عقدة النقص؟ ليلى العاجيب، على موقع موضوع.

* لماذا أمسى الفن قبيحاً؟، أنس عزة، على موقع حكمة.

* لماذا لا نسوق الكفاءات بدلاً من صناعة التفاهة في الإعلام، ناصر الهزاني، على موقع مركز مكة الابداعي.



* ما العمل بخصوص نظام التفاهة؟، غسان عبدالخالق، على موقع حفريات.

* مدرسة المشاغبين: مرآة عاكسة لواقع المدرسة أم ترذيل لها؟ وفاء الحكيري، على موقع مجلة ميم.

* مشهورون لكن فارغون، سامح عودة، على موقع ميدان.

* معنى أن تكون مبدعاً في زمن التفاهة، شكوح عزوز، على موقع الديوان.

* موقف الفكر الحداثي من السنة النبوية، عبداللطيف المحيمد، على موقع موسوعة السبيل.

* الميديوقراطية وتسييد التفاهة، عبدالرحيم العطري، على موقع عربي TRT.

* نزار قباني وشعر الحداثة، وليد قصاب، على موقع الآلوكة.

* هستيريا الحرب، الآثار النفسية للحروب، مروة كريديه، على موقع منبر حر.

* هل تفوقنا في التفاهة؟، عبده خال، على موقع العربية.

* هواة التفاهة، عبدالرحمن رفيق، على موقع مقال.

* وجود الله، أحمد محمد الحسن وأحمد دعدوش، على موقع موسوعة السبيل.

